مجلة التأصيل جامعة دنقلا

العدد الأول يناير ٢٠١٩م

قواعد النشر:

* تُعنى المجلة بنشر البحوث العلمية المقدَّمة إليها وفق رؤية تأصيلية.
* تقبل البحوث من كافة الباحثين داخل وخارج السودان.
* ألاَّ يكون البحث قد نشر أو قيد الدراسة للنشر في أية دورية أو مجلة علمية أخرى.
* ألاَّ تكون الورقة جزءً من رسالة جامعية أو كتاب منشور.
* يرسل البحث إلكترونياً على بريد المجلة بنوع خط Simplified Arabic بنط ١٤ بمسافة واحدة.
* يُقدم البحث مطبوعاً على ورق A4. على ملف وورد (٢٠٠٧).
* ألاَّ تزيد عدد الصفحات عن (٢٠ صفحة) (٧٠٠٠ كلمة) باللغة العربية ويرفق ملخص للبحث لا يزيد عن (١٠٠ كلمة) باللغة العربية.
* مراعاة الجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية.
* تُوضع إحالات المراجع داخل النص (المنهج الأمريكي) وتأتي تفاصيل المراجع كالآتي:

- اسم العائلة، الاسم الأول، سنة النشر، عنوان الكتاب، دار النشر، مكان النشر.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ٢٠٠٤م، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفاء، القاهرة.

- في حالة التوثيق من المجلات: اسم المؤلف ، سنة النشر، ويُوضع عنوان المقال بين علامتي تنصيص، ثم اسم الدورية ، المجلد أو العدد ، بلد النشر، ثم ترتيب صفحات المقال داخل العدد.

حسن، صالح رمضان، ٢٠٠٢م، «الصحابي المجاهد، النعمان بن مقرن المزني«، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد الرابع والعشرون، دبي، ص ص٢٣٠- ٢٤٨.

- بالنسبة للرسائل الجامعية: اسم الباحث، سنة النشر، عنوان الرسالة، نوع الرسالة (ماجستير – دكتوراه)، الجامعة المانحة للدرجة.

عبد الرازق، فائز أحمد ، ٢٠٠٨م ، فاعلية استخدام مسرح العرائس في تنمية بعض الجوانب الاجتماعية والأخلاقية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة بور سعيد.

* تُعرض البحوث المقدَّمة للنشر في المجلة حال قبولها مبدئياً على محكمين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهم بسريَّة تامة.

* للمجلة الحق في إجراء أي تعديلات شكلية تتناسب ورسالة المجلة.

* تعتذر المجلة عن النظر في البحوث المخالفة لقواعد النشر.

* تهدي المجلة الباحث نسختين من العدد الذي يحتوي على بحثه.

* تنقل حقوق طبع البحث ونشره إلى مجلة التأصيل جامعة دنقلا بعد إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر.

* الأفكار الواردة في المجلة تعبِّر عن رأي الباحثين وليس عن رأي المجلة.

* يتم دفع رسوم وقدرها مائتا جنيه للبحوث بالداخل، وخمسون دولاراً للبحوث بالخارج بغرض التحكيم.

* البحوث التي لا تنشر لا ترد لأصحابها.

* ترسل البحوث إلى مدير تحرير المجلة على العنوان التالي: مجلة التأصيل جامعة دنقلا جمهورية السودان على البريد الإلكتروني الآتي : jruofd2018@gmail.com

أو الاتصال على التلفونات التالية: ٠٠٢٤٩١٢٣٣٢٣٢٦٤ – ٠٠٢٤٩٩١١٠٨٠٠٠١

هيئة التحرير

رئيس مجلس الإدارة

البروفيسور عمر حسن محمد حسن

رئيس التحرير

د. محمود محمد أحمد علي عثمان

نائب رئيس التحرير

د. حاتم عبد الماجد الصادق

مدير التحرير

د. الأمين عثمان شعيب

المحررون:

د. بلولة محمد بلولة

د. الغزالي محمد محمد الحسن زمزم

د. فيصل عبد الله عمر

التدقيق اللُغوي:

د. الوسيلة إبراهيم محمد درار

سكرتاريا التحرير

أ. اعتماد عباس الحسين

أ. استشهاد عبد الهادي

هيئة المستشارين

أ.د. عبد الحكيم حسن إبراهيم

أ.د. معاوية بابكر حسن المهدي

أ.د. كباشي حسين قسيمة

أ.د. طلحة عبد الحميد الحسن

أ.د. الزهور حسن الماهل

أ.د. كمال الحاج الحسين

أ.د. قيس عبد الله إبراهيم الحاج

أ.د. عمر محمد السيمت الشيخ

أ.د. مهيد محمد المتوكل

د. أبو القاسم خليفة التهامي

د. أحمد محمد زين

د. رحاب عبد الرحمن الشريف

د. كمال المهلاوي

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
كلمة العدد	٧
أثر البيئة وتعاليم الإسلام في تخطيط العمارة الإسلامية (السودان حالة دراسة) د. محمد فتح الرحمن أحمد إدريس	٨
أثر الأمراض المعديـــة والإدمـــان في الحيـــاة الزوجيـــة أ.د طلحة عبد الحميد المنشاوي	٢٠
مفهوم الحرب و الجهاد في الحكم الراشد (رؤية إسلامية) د. شوقي عبد المجيد عبيدي	٣٣
إفادة المناسبة للعلية عند الأصوليين د .أشرف إبراهيم عبد الله إبراهيم	٥٠
رأي ابن القيم الجوزية في الصفات د. صلاح بكري محمد يوسف	٧٢
القيم الإسلامية التربوية للنشاط الطالبي في الجامعات د. محمود محمد أحمد علي عثمان	٨٩
أثر بلاغة النص القرآني في قبول التكليف الشرعي (الأمر والنهي نموذجاً) د. محمد علي عبد الله شمين	١١٩
واقع العنف الأسري ضد الأطفال في محافظة الدوادمي بالمملكة العربية الـسعودية من منظور إسلامي واجتماعي د. ماجدة خليفة محمد خليفة و د. هبة عثمان مدني محمد	١٤٥
(دور الحديث النبوي في تغيير الأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس بمحلية كسلا من وجهة نظر المعلمين –تلاميذ الحلقة الثالثة نموذجا) د. حاج حمد تاج السر حاج حمد محمد و د. علي موسى أبكر	١٧٠
طبيعة النظام الإداري والسياسي في دولة الفونج د. الزين تيراب إسماعيل محمد	١٩٤
مصادر دراسات القضية الفلسطينية في دار الوثائق السودانية د. عبد العزيز محمد موسى	٢٢٢
القيم الإسلامية في خطاب الشيخ فرح ود تكتوك (دراسة بلاغية تحليلية) د. محمد حسن عطا المنان ، د. آمنة الجميل علي عبد الرحمن	٢٥١

افتتاحية العدد الأول لمجلة التأصيل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين

عزيزنا القارئ الكريم ... يسر هيئة تحرير مجلة التأصيل بجامعة دنقلا أن تقدم لقرائها الكرام العدد الأول من إصدارتها والتي تهدف إلى :

تمكين رسالة التأصيل، رد العلم والمعرفة إلى مصادر التشريع الإسلامي (الكتاب والسنة)، تبيان الفوائد العظيمة التي تعود على الأمة حال احتكامها للمنهج الرباني، وتعزيز تجربة تأصيل العلوم، وتطبيقها على الحياة العامة في المجتمع والأمة.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكر الباحثين الذين قاموا بإعداد هذه الأوراق العلمية الواردة في هذا العدد، ونعتذر لهم لتأخير نشر بحوثهم.

كما نشكر الأخوة الأساتذة الذين تفضلوا بالتدقيق والتحكيم لموضوعات هذا العدد، والذين كانت لملاحظاتهم القيمة الأثر الواضح على جودة الموضوعات التي سيطلع عليها القارئ الكريم، ونعد بمزيد من الضبط والتدقيق والمراجعة حتى تخرج الإصدارات بشكل متميز ومحتوى يجد القبول والتقدير.

ونعد الأخوة الكرام الذين تقدموا بأبحاثهم وموضوعاتهم للنشر في هذه المجلة أن هيئة التحرير ستبذل قصارى جهدها في أن يجد كل موضوع مكانه للنشر متى ما كان مستوفياً لشروط النشر ومتى ما اجتاز مراحل التحكيم والتدقيق والمراجعة.

ونرفع أكف الضراعة للمولى عز وجل أن يؤجر كل من إدارة التأصيل بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي وإدارة جامعة دنقلا، الذين أولوا هذا العدد عنايتهم وأنفقوا عليه في غير منٍ ولا أذى.

وفي خاتمة هذه الافتتاحية ندعو القراء الكرام بتزويد هيئة التحرير بملاحظاتهم وآرائهم حول ما يتم نشره، والتي ستكون محل نظرنا واهتمامنا، ونسأل الله تعالى أن يتوالى إصدار الأعداد التالية لهذه الإصدارة بصورة منتظمة، وما التوفيق إلا من عند الله.

ودمتم في رعاية الله وحفظه

هيئة تحرير المجلة

أثر البيئة وتعاليم الإسلام في تخطيط العمارة الإسلامية
(السودان حالة دراسة)

د. محمد فتح الرحمن أحمد إدريس
جامعة دنقلا كلية الآداب قسم الأثار

المستخلص:
العمارة الإسلامية هي الخصائص البنائية التي استعملها المسلمون لتكون هوية لهم، وقد نشأت تلك العمارة بفضل الإسلام؛ وذلك في المناطق التي وصلها الإسلام، بالإضافة إلى المناطق التي حكمها المسلمون لمده طويلة، وتأثرت خصائص العمارة الإسلامية وصفاتها بشكل كبير بالدين الإسلامي، والنهضة العلمية التي شهدتها الدولة الإسلامية، وكذلك نرى تطور الشكل والوظيفة عبر الزمن تبعاً لتغير الظروف السياسية والمعيشية والثقافية للسكان. كما تأثرت العمارة بالبيئة ؛ فالإنسان قبل أن يشيد عمارته لا بد أن يكتشف النظام البيئي المحيط به سواء كانت ظروف طبيعية كالمناخ والتضاريس وموارد المياه والمواد المتاحة للبناء، وغيرها حتى يضمن المواءمة بين العمارة والطبيعة. وسنتناول في هذه الورقة الدور الذي تلعبه البيئة والتعاليم الإسلامية، وأثرهما في تخطيط العمارة الإسلامية، مع الوضع في الاعتبار اختلاف البيئات في المناطق المختلفة. بتسليط الضوء على السودان بكل بيئاته وثقافاته المختلفة.

مقدمة:
إن فنون العمارة الإسلامية ميادين كُتب فيها الكثير، إلا إن هذا الكثير ما زال قليلاً؛ فالعمارة بكل وظائفها تعطينا فكرة واستلهام للمستقبل من خلال الدروس التي يلقيها علينا هذا الكم الهائل من الأبنية المعمارية، فنمط البناء وشكل وطبيعة المواد المصنوع منها – قد تكون أصلح للبيئة التي تم فيها البناء ، وأماكن السكن دائماً تعطي فكرة عامة عن الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الفترات السابقة. وأسوار المدن والقلاع والقصور المحصنة، وأماكن تشييد المدن تمدنا بالأفكار والأوضاع التي تعيشها ألامه في ظروف الحرب والسلم. ومواد البناء من حجارة وطين وأخشاب ومعادن تبين لنا التقدم الحضاري عموماً ، والتقني خصوصاً، كما تشير إلى العوامل الجغرافية، وتأثيرها

في نمط العيش والحياة عموماً. وكلما وقفنا على المزيد من التفاصيل داخل هذه العمارة، كلما كشفنا الشخصية التاريخية للأمة، وموقعها الحضاري، وما أخذته من السابقين، وما تركته للاحقين (زيادة، ١٩٨٨: ٤).

من أعظم نعم الله على الإنسان قدرته الفائقة على التلاؤم مع ظروف البيئة المتغيرة؛ فالإنسان يستطيع أن ينظم حياته ويجعلها مواكبه، حسب التغيرات البيئية والاجتماعية من حوله، ودائماً ما يصحب هذه التغيرات البيئية تغير في المجال العقلي والفكري(قاسم، ١٩٧٢: ٥٥).

لكل أرض ملامحها التي تختص بها دون غيرها، وعالمنا الذي نسكن، وأن اشترك في أمور كثيرة – يتباين في أخرى، وقد ظهر ذلك في العمارة باعتبارها نتاج مادي يتفاعل مع خصائص النفس البشرية بكل ما فيها، حتى قبل إنشائها، فالمنشأ المعماري هو فكرة وتصور قبل أن يتحول إلى واقع مادي ملموس، والعمارة فن وعلم امتزجا مع بعضهما البعض، بل أن العمارة مرتع خصب لتفاعل كل شيء، الفكر والإنسان والعقيدة والعلاقات الاجتماعية، والحاجات المادية والروحية، والعوامل البيئية والمناخية والاقتصادية، وعوامل أخرى (الربيعي، ١٩٩٩ : ٦).

تعكس المعالم الحضارية المعمارية تاريخ الجماعات البشرية، وتدل على ما وصلت إليه من تقدم عمراني حضاري، وتعبر عن أصالة تاريخها واستغلال وجودها وتمييز شخصيتها وعطائها وإقامتها في المكان، وآخر ما توصل إليه فكرها المعماري من خلال الزخارف والتصاميم، وتناسق البناء، وتوزيع الوحدات داخل المسكن (الموسى، ١٩٩٥: ٢٦).

كانت العمارة نتاج لحاجات الإنسان البيئية والاجتماعية والثقافية والسياسية ممتزجة مع الفكر الذي يحرك السجايا، ويتطور مع الزمن بحسب المتغيرات، ولا يرسى على حالة ثبوت، ولا يمكث في عالم المحنطات ، ويبقى قابعاً في التاريخ. وهذا يشكل التباين بين مفهومي العمارة، كفكر وفلسفة، وعمارة المسلمين كنتاج وأشكال تبين الهوية الثقافية، والمستوى الإبداعي، والجمالي للإنسان.

تمثل مواقع التراث العمراني الإسلامي في السودان معالم وشواهد حية تؤكد على أصالة العمران، وعراقته، وارتباطه الوثيق بالبيئة المحلية، والعادات، والتقاليد المتوارثة؛ فهو

يشكل عنصراً ومكوناً مهماً من عناصر الهوية الثقافية والمعمارية، كما أنه يمثل ذاكرة الأمة بكل ما فيها من أحداث على مر التاريخ. وتتأثر العمارة بالظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والبيئية؛ فهي تعكس عمق التفاعل الإيجابي مع البيئة المحيطة بها(عزب، ٢٠٠٢ :٢٠١).

منذ أن وجد الإنسان على الأرض، وهو دائب الجهد في تكييف الطبيعة حوله لملائمة حاجاته الجسدية والروحية، وأنه كذلك بفطرته وحسه المرهف للجمال وعشقه للإبداع، وقد حاول أن يصوغ كل ما تشكله يداه في قالب فني، يعبر به عن رغباته الكامنة على صور مختلفة، تتباين في تشكيلاتها وفق قدراته، ومقدار تأثره بما حوله(عكاشة، ١٩٩٣: ١٧).

يحتل المسكن، أو المأوى مرتبة عليا بين حاجات الإنسان ؛ ففي كل العالم في الأقاليم الباردة، الحارة، الممطرة والصحراوية يقوم الأفراد بتشييد المساكن؛ لأنها تمثل النقطة المركزية لحياتهم اليومية، وللمسكن وظائف متعددة كالحماية من البرودة والحرارة والرياح والمطر والحيوانات المفترسة، وغالباً ما تكون مادة البناء المتاحة في أي منطقة جنباً إلى جنب مع الاختلافات في أنماط البناء، ونجد أن المادة المتاحة في الغالب كانت مادة الطين اللبن والحجارة التي استخدمت في إقامة المساكن، وهذه المادة كانت قاسماً مشتركاً لدى معظم العمارة في السودان، وعلى هذا الأساس فإن استخدام الطين اللبن والحجر في هذا المضمار مرتبط بنشاط الإنسان في حياته اليومية عبر عصور التاريخ المختلفة. ولذا تُعدُّ صناعة الطوب والطين اللبن من أقدم الصناعات التي عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ الحضاري (عبد الهادي، د.ت :١٦٢).

إن من أهم صفات العمارة الجيدة، التصميم الذي يشتمل على القيم الوظيفية والجمالية معاً، ومهما يكن المهندس المعماري مراعياً للقواعد الفنية، ومهما يكن التنفيذ دقيقاً – فإن جمال العمارة، وكمالها يعتمد في كثير من جوانبه على شخصية الصانع التي يريد أن يحققها. وللعمارة الإسلامية شخصيتها، وطابعها المميز، سواءً كان ذلك نتيجة للتصميم الإجمالي، أم العناصر المعمارية المميزة، أم الزخارف المستعملة (الألفي، د.ت :١٢٠).

الثابت تاريخياً أن فن العمارة في السودان نشأ منذ أقدم العصور، وقد شهدت الأرض قبل آلاف السنين تشاطر البناء والعمارة؛ فكان للإنسان إبداعه وتقنيته في البناء، رغم قلة ما لديه من مواد مستخدمة، وتقنيات حديثة؛ فنجده أبهر الناظر بمخلفاته المعمارية التي ظل بعضها باقٍ ليومنا هذا، وبالرغم من أفول نجم تلك الحضارات إلا أن آثارها ظلت باقية، ومع مرور الزمن أصبحت رموزاً صامتة تحكي عن عظمة الإنسان.

١- أثر البيئة في تخطيط العمارة الإسلامية:

البيئة هي الإطار الذي يحيط بالإنسان، وكل مكوناته الطبيعية والاجتماعية التي تؤثر في حياته ونشاطاته ويتأثر بها، ويمكن تقسيمها إلى الآتي:

أ. البيئة الطبيعية التي تتكون من الهواء والماء والتربة والنبات والحيوان والإنسان، بالإضافة إلى تفاعلاتها مع بعضها البعض.

ب. البيئة الاجتماعية التي تكونها علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وتشمل اللغة والدين والثقافة والتقاليد والأعراف ونظام الحكم. البيئة المنشأة، وتشمل كل ما هو من صنع الإنسان من معمار وطرق وصناعات ومركبات وغيرها.

ت. البيئة الاقتصادية التي كان لها تأثيراً كبيراً في توجيه الفنون في مراحل تطورها؛ فقد كان للرخاء والفقر أثرهما في حجم الإنتاج الفني، وأنواعه وقيمته، ومن ناحية أخرى فإن نظم توزيع الثروة على أبناء الأمة تركت أثرها في فن العمارة.

هذه الأنواع الثلاثة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ببعضها البعض، وكل واحدة تؤثر في الأخريات بطريقة مباشرة، وغير مباشرة؛ وهذا يعني أن البيئة هي مصدر كل احتياجات الإنسان الأساسية في حياته اليومية(عبد اللطيف، ١٩٩٩: ٢٠).

يتفق الجغرافيون على أهمية المناخ وعناصره، وفي تقديرهم أن المناخ من أهم العناصر التي تشترك في صياغة الواقع الطبيعي في أي إقليم. ويعتقد البعض أن عامل المناخ يؤثر في القدرة العضلية والعقلية، وعلى مزاج الفرد والجماعة، ويؤثر في أنماط استخدام الأرض، ودائماً ما يحرص الإنسان في أي إقليم على مواجهة ضوابط المناخ وتحدياته؛ لكي يطوع الواقع المناخي بشكل لا يحول دون استخدام الأرض لغير احتياجاته، في إطار نمط من أنماط الاستجابة والتلاؤم (الشامي، ٢٠٠٠ ، ٩٩).

لا شك أن فن البناء عند أي شعب من الشعوب لا يبدأ من الصفر، إذ لا بد وأن يكون في ميراث كل شعب من هذا الفن شيء، أو قليل، وبالتالي تصبح مهمة أجياله في كل عصر من العصور هي التغيير والتطوير عن طريق إضافة عناصر جديدة إلى مكونات فن البناء عند هذا الشعب، وهكذا كان الأمر بالنسبة للعمارة الإسلامية، في السودان؛ فالمعمار والبناء هو فن يدخل ضمن النشاط البشري للإنسان، ويرتكز على خبرته الجمالية التي تُعدُّ تجربة إنسانية لا يختص بها قوم دون قوم، أو جنس دون جنس آخر، أو حتى عصر تاريخي دون عصر آخر، بل هي ظاهرة بشرية عامة، وفن البناء والعمارة يعكس إحساس الإنسان بالطبيعة المحيطة به إحساساً عميقاً، وهذا الإحساس لا يأتي من فراغ بل يسبقه اكتشاف لنظام البيئة المحيطة بهذا الإنسان، ويعقب مرحلة الاكتشاف مرحلة الانسجام مع البيئة والتوافق معها والانتفاع بعناصرها (حسين ، ١٩٨٧: ٢٣٦).

يستخدم الإنسان دائماً الموارد المتاحة في بيئته؛ ليحقق أهدافه التي ترضي طموحه، فنجده استخدم الأرض في مجالات عديدة في مقدمتها المعمار الذي يُعدُّ جزءً أصيلاً من قصة الحياة على الأرض. كما يعبر عن صورة من صور الانتفاع بها، بصرف النظر عن كل التباين بين أشكال العمارة، والعوامل التي تؤثر في عملية استخدام الأرض لحسابها، فإن العمارة بكل وظائفها تُعدُّ حاجة ملحة، أو أساسية في حياة الإنسان؛ لأنها مكان راحته، وأمنه، وممارسة معتقداته، وأماكن خصوصيته(الشامي، ٢٠٠٠: ١٩٩٨).

يعد الإنسان أهم عامل حيوي وفعّال في البيئة، ولقد كرمه الله عز وجل، وفضله على سائر عناصر البيئة، بل سخرها له؛ يقول الله سبحانه وتعالى: (وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ) (سورة الأعراف آية ٧٤). بوأكم في الأرض أي أسكنكم، وكلمة البيئة مشتقه من بوأ وتبوأ، أي: أقام وسكن واتخذ منزلاً، وعلى ذلك فبيئة الإنسان هي مكان سكنه، وكل ما يحيط به من عناصر طبيعية كالماء والهواء والتربة والكائنات الحية. هنالك عدة عوامل بيئية تساهم في إعداد الإنسان لعمرانه منها :

أ. طبيعة الأرض إذا كانت مستوية أو جرداء أو صحراء أو غابات، ونوع التربة أو أرض صالحة للزراعة، ومرتفعات ومنخفضات؛ فالبيئة في السودان مختلفة شماله عن جنوبه وشرقه عن غربه؛ فلذا نجد أن أنماط المساكن تختلف باختلاف البيئات. فكل منطقة في السودان لها عمارتها التي تتناسب مع بيئتها.

ب. العوامل المناخية كالأمطار، الرطوبة والإشعاع واتجاهات الريح (عبد العال، ١٩٧٦: ٢٥). فمثلاً منطقة شمال السودان تقع ضمن المناخ الصحراوي الجاف، وتقل فيه الأمطار، وترتفع فيه درجات الحرارة؛ لذلك لا بد من أن يشيد الإنسان مسكنه ليتلاءم مع بيته؛ فنجد العمارة مشيده أغلبها من الطين باعتباره أكثر المواد وفرة في المنطقة، وهذه المادة الطينية تكاد تكون مجانية، ويتم تصميم السقوف المائلة قليلاً؛ لأن كمية الأمطار بسيطة فلا توجد ضرورة لاستخدام السقف المائل، والأسقف نفسها صنعت من جريد النخيل، وهو من أكثر المواد المتاحة في شمال السودان؛ عليه نجد أن الظروف المناخية والبيئية هي التي فرضت نفسها على الإنسان في شمال السودان ليختار عمارته بهذا الشكل. كذلك اختلفت عمارة الإنسان الموجود في وسط، وجنوب، وشرق السودان تبعاً للعوامل المناخية؛ ففي وسط السودان نجد معدل نزول الأمطار متوسطاً؛ لذلك استخدم الإنسان في عمارته المواد التي تتناسب مع مناخه؛ فاستخدم الطوب الأحمر والأسمنت، وتميل الأسقف قليلاً لتسمح بنزول الأمطار. وفي المناطق التي يكون فيها معدل الأمطار عالياً يستخدم الإنسان القطاطي المصنوعة من القش، ويكون سقفها مائلاً ليسمح بنزول المياه(منطقة القضارف مثلا). وفي شرق السودان نجد المناخ رطباً؛ فاستخدم الإنسان بعض المواد التي تتلاءم مع البيئة كالأسمنت والخشب وإمالة الأسقف.

ت. يظهر أثر البيئة في المواد التي يصنع منها العمران، ولا بد من وجود التكيف، والمواءمة في كل الأحوال بين البيئة الطبيعية، والعمارة بكل وظائفها السكنية والدينية والجنائزية والدفاعية، ودائماً ما تختلف المباني المعمارية في موادها التي تبنى بها وخطتها وحجمها وشكلها. هنالك ارتباط وثيقٌ بين الإنسان، والبيئة،

وأن توزيع السكان على سطح الأرض يمكن تفسيره من قراءة ظروف بيئته. وتوزيع السكان على الأرض لا يمكن ربطه بظاهرة طبيعية واحدة؛ لأنه نتاج ظروف طبيعية وبشرية متعددة (محمدين وآخرون، ٢٠٠٢: ٣٢٧).

ظهرت العمارة في بلاد مختلفة المناخات؛ لذلك تأثرت عمارتها باختلاف البيئات، وأصبح لكل بيئة أثرها في عمارتها؛ فحيث كانت الصحراء نجد عمارتها تأثرت بالبيئة الصحراوية؛ فجاءت تحكي ما يقع عليه البصر في الأرض، وما يمتد إليه الطرف في السماء.

إن تخطيط العمارة ما هو إلا انعكاس للحياة اليومية، وحياة المجتمع على المدى الطويل، ولا بد من ربط العمارة، والتخطيط بجميع العناصر المحيطة بها سواء كانت اجتماعية، أو دينية، أو مادية، يُراعى فيها الماضي والمستقبل (عكاشة، ١٩٩٣: ١٩).

إن سطح الأرض بكل ما ينطوي عليه من تنوع شديد تمليه الصفات، والخصائص الطبيعية. وكان من شأن الإنسان أن يسعى بكل أسلوب ممكن لاستخدام الأرض في كل منطقة، وفي كل بيئة من البيئات. فنجد أن التباين والتنوع الشديد في صفات، وخصائص البيئات والأقاليم، يؤثر بالضرورة في عملية السكن. بل يفرض هذا التباين في البيئات انتخاب، أو اختيار الموقع المناسب للسكن، كما يفرض النمط والأسلوب في التفاصيل، وخصائص الوحدات السكنية، والأدوار الوظيفية الأخرى(الشامي، ٢٠٠٠: ٩٩).

التكوين المعماري للمباني يكون له دائماً خلفية بيئية اجتماعية وثقافية؛ فالعمارة العمرانية السليمة هي التي تستمد أصالتها من بيئتها، فكل مجتمع له عاداته وتقاليده وبيئته(عبد العال ، ١٩٧٦ : ٢٢).

إن التحولات السياسية لها أثرها في طراز وأنماط العمارة، خاصة العمارة الإدارية والعسكرية والسياسية، والمقصود بالتحولات انتقال السلطة من جماعة إلى جماعة، أو من فرد إلي فرد، وهذا الانتقال يكون له في أغلب الأحوال أثر مباشر في العمارة، ويتضح ذلك بصفة خاصة في مقر الحكم. وهذا المقر أما أن يستمر في ضوء انتقال السلطة في أداء دوره الوظيفي، أو تتغير طبيعة هذه الوظائف تبعاً لمراسم، وتقاليد السلطة الجديدة، أو يتغير التركيب الداخلي لهذا المقر تبعاً لنمط السلطة الجديدة، أو ينتقل مقر الحكم إلى

مكان آخر بعيدٍ عن المقر القديم الذي يكون في بعض الأحيان محاطاً بأنصار السلطة القديمة. وقد يكون المقر الجديد محاولة من السلطة لإثبات وجودها على الساحة السياسية للبلاد. وهذا يفسر وجود علاقة بين العمارة والسلطة، وهذا يُعدُّ من التأثيرات السياسية والاجتماعية في العمارة (عزب ،٢٠٠٢ :٢٠٣).

٢- أثر تعاليم الإسلام في تخطيط العمارة الإسلامية:

لقد اهتم الإسلام بالإنسان وكرمه حياً وميتاً، لذلك نجد أن هناك منهجاً اتبعه الإسلام في مسالة تخطيط العمارة الإسلامية؛ لذلك ظهر التوافق بين مظاهر العمارة بكل أنواعها مع تعاليم الإسلام؛ بل استمدت هذه التعاليم من روح الإسلام. وكتب فقهاء المسلمين العديد من المؤلفات، ووضعوا القواعد والأسس، وسميت بفقه البنيان ومنها كتاب (إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى). (والإعلان بأحكام البنيان) لأبي عبد الله محمد إبراهيم. واعتمد هؤلاء الفقهاء في تناولهم لأحكام البنيان على آية في القرآن الكريم، وعلى حديث نبوي شريف؛ فالآية هي قوله تعالى: (خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ) (الأعراف: ١٩٩) ، ويفسرون العُرف في هذه الآية بالنسبة لأحكام البنيان بما جرى عليه الناس وارتضوه، ولم يعترضوا عليه طالما لا يتعارض ذلك مع القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف. أما الحديث النبوي الشريف الذي يعتمد عليه الفقهاء في أحكام البنيان فهو قوله صلى الله عليه وسلم: (لا ضرر ولا ضرار)، ويُعدُّ هذا الحديث أحد الأحاديث الخمسة التي يقوم عليها الفقه في الإسلام.

كما صنفت القوانين الإسلامية البناء إلى: بناء واجب كالمساجد والأربطة والحصون والأسوار والجسور والسدود. بناء مندوب كالمآذن والأسواق. وبناء مباح كالمسكن والحوانيت، وبناء محظور كبناء الكنائس وحانات الخمور وغيرها من المباني التي تخالف أحكام الدين الإسلامي.

أولاً - العمارة المدنية (المساكن):

لقد وضع الإسلام أسساً، وضوابط للعمارة بكل أنواعها، وهذه الأسس مستقاة من تعاليم الدين الإسلامي؛ فمثلا العمارة المدنية، أو السكنية وضع لها ضوابط وهي:

١- بناء المسكن المباح شرعاً، لذلك ينبغي للمسلم عند الشروع في البناء عدم المباهاة، والإسراف، والتفاخر، ويجب مراعاة الضوابط الشرعية.

٢ - عدم إهمال الأبعاد الدينية والاجتماعية والجمالية والبيئية الأمنية للمسكن عند البناء.

٣- الحجم الأمثل لمجاورة سكنية إسلامية تحقق الترابط، والتراحم، والانسجام بين المسلمين.

٤- الخصوصية البصرية، أي بمعنى أن تتوفر في المسكن الخصوصية بمنع المحارم من الاختلاط بالمجالسة، أو المشاهدة، سواء من الجيران، أو الضيوف الأجانب.

٥ - الخصوصية السمعية، وهي حفظ أسرار المنزل في الداخل.

٦- الخصوصية المعيشية، ونعني بها التقسيم، أو التوزيع الوظيفي للمسكن من الداخل بحيث يضم مواقع غرف للنوم والجلوس والاسترخاء والطعام وغيرها.

٧- النهي عن التطاول في البناء ، تنهي الشريعة الإسلامية المسلم من التطاول في البناء لما فيه من مضار خاصة الجيران؛ قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يوذِ جاره).

٨- توجيه الغرف نحو القبلة؛ فالمسلم مطالب بتوجيه مسكنه نحو القبلة؛ حتى تكون صالحة، ومناسبة للصلاة.

٩- المجاورة في المساكن، وفي هذا مناداة للترابط، والتلاحم بين المسلمين، والتعاون بين الجيران، ومعرفة أحوالهم.

١٠- وضعية مكان قضاء الحاجة، يجب أن يراعى في المسكن وضع دورات المياه عمودية على اتجاه القبلة؛ قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (لا تستقبلوا القبلة بغائط، أو بول، ولا تستدبروها، ولكن شرقوا، وغربوا) (أحمد آدم خليل، ٢٠٠٨ : ١١٩).

ففي السودان نجد أن العمارة المدنية في أغلب الأحيان التزمت بما جاء به الدين الإسلامي مع الوضع في الاعتبار أن المجتمع السوداني فيه بعض الأقليات غير المسلمة، ولكنها التزمت، ولو بالقليل في تصميم المساكن، كم نلاحظ اختلاف المساكن في المدن من ناحية التصميم كل حسب بيئته، كما نلاحظ أن الجانب الاقتصادي للسكان يجعل هناك تبايناً في التصميم، ومواد البناء التي يشيد منها المسكن.

ثانياً - العمارة الدينية:

أما العمارة الدينية فعرف المسلمون بناء المسجد الذي ظهرت على تصميمه التعاليم الدينية، وروح الإسلام؛ لذلك شيد المصلى مربعاً، أو مستطيلاً حتى يستطيع المصلون الاصطفاف خلف الإمام، ومن معالم المسجد أيضاً المحراب، أو المنبر الذي يوجه ناحية القبلة. وأيضاً اختلفت المساجد باختلاف البيئات، فهناك المساجد البسيطة في تصميمها، وموادها التي شيدت بها، إضافة إلى بعض المساجد شيدت بها المآذن العالية، إضافة إلى الخلاوي التي لعبت دوراً مهماً في التعليم الديني في السودان واختلفت عمارتها باختلاف المناطق والبيئات.

ثالثاً - العمارة العسكرية:

لقد حث الإسلام على الاستعداد لمقابلة العدو، وإظهار القوة له بقوله تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (الأنفال: ٦٠). وجاء في السنة النبوية قول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف). لذلك اهتم الدين الإسلامي بالعمارة العسكرية، أو الدفاعية (الحصون والقلاع والطوابي والأربطة)؛ لتشكل الحماية ضد هجمات العدو، وخضعت هذه العمارة لموازين هندسية في تصميمها حتى تؤدي الوظيفة التي شيدت من أجلها، وكل هذه العمارة شيدت في مناطق إستراتيجية؛ لتسهيل عملية المراقبة، وكانت أسوارها عالية وسميكة، وفي بعض

الأحيان يكون لها أكثر من سور، وبها بعض الفتحات التي تعرف بالمزاغل (مرامي السهام). كما توجد في أركان السور أبراج للمراقبة (حجامي ١٩٨٧: ٥١٢).

خاتمة:

شُيدت في الفترة الإسلامية في السودان شتي أنواع العمارة (دينية ومدنية وعسكرية). وارتبطت هذه العمارة في تخطيطها بالظروف الخاصة بكل منطقة، وهذا أدى إلى وجود تباين واضح في العمارة والتخطيط، حسب البيئة المحيطة به، وكان الطين والحجر هما العنصران الأساسيان في تصميم العمارة بكل أنواعها.

لعب الجانب الاقتصادي دوراً مهماً في المواد الخام والتصميم؛ فغالباً ما نجد الأشخاص الذين يتمتعون بمستوى اقتصادي عالٍ قد شيدت عمارتهم من الحجارة، وأحياناً من الطين والحجر معاً، وأما الذين يتمتعون بمستوى اقتصادي متدنٍ فقد شيدت عمارتهم من الطين فقط.

إضافة إلى البيئة التزم الإنسان في تخطيطه للعمارة الإسلامية بالمنهج الإسلامي، خاصة في العمارة الدينية؛ حيث يتجه المحراب ناحية القبلة، ويكون المسجد مربعاً، أو مستطيلاً لاصطفاف المصلين، وراعى فيه البساطة، كما كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم. أما العمارة السكنية فراعى فيها الجوانب التي لا تتعارض مع تعاليم الشريعة الإسلامية كالخصوصية السمعية والبصرية وعدم التطاول في البنيان، وبناء المسكن الشرعي، والاهتمام بتفاصيله الداخلية. وراعى حماية الإنسان من هجمات العدو والاستعداد له؛ لذلك تُعدُّ العمارة الإسلامية نتاجاً لتفاعلات كثيرة بين العوامل الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية والطبيعية، وغيرها من المؤثرات التي تطبع كل مجتمع بطابع خاص يختلف من مكان إلى آخر، ومن عصر إلى آخر.

نجد أن العمارة الإسلامية في السودان تميزت بطابع خاص لعبت البيئة والتعاليم الإسلامية أدواراً مهمة في مسالة التخطيط المعماري، وبالرغم من تغير الظروف المناخية إلا أن الالتزام بما تفرضه الظروف البيئية، والتعاليم الإسلامية موجود.

المصادروالمراجع :

١- أحمد آدم خليل، ٢٠٠٨: (الضوابط الإسلامية في تخطيط المساكن في مراكز العمران البشري) في مجلة الآداب جامعة أمدرمان الإسلامية – العدد الأول، ص ١١٩-١٣٨ – الخرطوم.

٢- الباشا، حسن ١٩٩٩: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية – المجلد الأول – لبنان.

٣- الشامي، صلاح الدين، ٢٠٠٠: السودان دراسة جغرافية – الإسكندرية.

٤- ثروت عكاشة، ١٩٩٣: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية -مطبعة دار الشرق.

٥- خليل الموسي، ١٩٩٥: (الشعر والعمارة العربية الإسلامية) في مجلة آفاق الثقافة والتراث العدد التاسع.

٦- حجامي إبراهيم، ١٩٨٧: (القلاع وتطور الفكرة الهندسية) في مجلة المنهل العدد٤٥٤ ص٥١٢. السعودية.

٧- عبد الفتاح وهيبة، ١٩٨٣: جغرافية الإنسان – دار المعارف، الإسكندرية.

٨- عبد الفتاح وهيبة،١٩٩٠: جغرافية العمران -دار المعارف، الإسكندرية.

٩- عيسي محمد عبد اللطيف، ١٩٩٣: المنظور البيئي للتنمية في السودان – الخرطوم.

١٠- عون الشريف قاسم، ١٩٧٢: دراسات في العامية في السودان- الخرطوم.

١١- معن زيادة، ١٩٨٨: (الآثار والحفريات على اتصال بشخصية الأمة ودورها الحضاري) في مجلة الفكر العربي، العدد٥٢ ص٤-١٢ – السعودية.

١٢- محمود إبراهيم حسين، ١٩٨٧، (العمارة الإسلامية شاهد علي التطور) في مجلة المنهل العدد ٤٥٤ ص٣٣٩-٣٤٥ المملكة العربية السعودية.

١٣- محمد عبد الهادي محمد، د.ت دراسات عملية في صيانة وترميم الأثار غير العضوية – مكتبة الزهراء.

١٤- محمد عبد العال إبراهيم، ١٩٧٦، البيئة والعمارة –الإسكندرية.

١٥- محمدين وآخرون، ٢٠٠٢، المدخل الي علم الجغرافية والبيئة – الرياض.

أثر الأمراض المعديــة والإدمــان في الحيــاة الزوجيــة

أ.د طلحة عبد الحميد المنشاوي
جامعة دنقلا كلية الآداب - قسم الدراسات الإسلامية

المستخلص:

تأتي هذه الدراسة عن الحياة الزوجية في جحيم الأمراض المعدية التناسلية الفتاكة التي انتشرت عالمياً، وكذلك إدمان الخمور؛ حيث كانت النتيجة انعدام السعادة، والاستقرار، والراحة النفسية بين الأزواج في كثير من الأسر التي يكون شريك الحياة من ذوي تلك الأمراض التي تؤدي إلى تصدع صرح الحياة، وانفصام عراها، وتشرد أفرادها، وانعدام التفاهم، والعيش في جحيم البؤس والشقاق.

المقدمــة:

إن ما ولَّدته المدنية المعاصرة، وأملته الحضارة السائدة من مفاتن خداعة، ومباهج خلابة، ومحاسن مصطنعة وملامح جمال مستجلبة - أدى إلى انتشار مشكلات في العلاقات الزوجية، كثيراً ما تتصدع الحياة الأسرية بسببها ؛ ويكون مآلها إلى الفشل الذريع، وإصابة أحد شريكي الحياة بعقد نفسية، قد يستحيل بعد الإصابة بها التعايش مع شريك آخر للحياة في ظل سعادة مستقرة، بل قد تؤثر تلك العقد في مسار الحياة إلى الأبد، فكم وقع شاب أو شابة في شرك مرض فتاك مودٍ بالحياة، أو إدمان يقلب الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق يؤدي إلى الانفصال بين الزوجين، وللإدمان على الخمر أكبر الأثر في حدوث تلك المشكلات الزوجية التي تحرمهم من السعادة المنشودة، وفي الواقع الذي نعيشه أوضح برهان، وأسطع حجة على ذلك.

والزواج في هذا العصر ، وإن تميز بظهور بعض المشكلات فيه، لا يعني أن الزواج في العصور الأولى خالياً تماماً من عقبات، وربما تتشابه به المشكلات في الماضي والحاضر إلى حدٍ كبير ، أو تتحد ، ولكن بروزها في الحاضر كان أشد.

إن فقه الزواج المستمد من الرافدين اللذين لا ينضب معينهما (كتاب الله وسنة رسوله) لهو المائدة التي جعلها الله عيداً لأول هذه الأمة وآخرها، وآية منه يقتبس من نورها من

كتبت له الهداية ؛ ففي هذه المائدة نجد الحلول النهائية لكل معضلة تعجز عن حلها النظم البشرية.

الأمراض المعدية عن طريق الاتصال الجنسي:

إن من الأمراض الفتاكة التي أجمع كبار أطباء العالم على أنه ينتقل بطريق العدوى بسبب الاتصال الجنسي، أو نقل الدم من شخص مريض إلى شخص سليم، أو استعمال محقن واحد في شخصين (فكتور، ١٩٨٩، ١٤) ، هو مرض (الإيدز) المتمثل في نقص المناعة المكتسبة للجسم؛ بحيث لا يستطيع بعد الإصابة به مقاومة أي مرض يلم به، وهو مرض معروف من الأمراض المعاصرة (رفعت كمال، ١٩٩١، ١٧)، وقد أكد الأطباء في (تقرير منظمة الصحة العالمية، ١٩٨٨م) أن هذا المرض ينتقل بأحد العوامل السابقة.

وهناك أيضاً أمراض أخرى لا تقل خطراً عن هذا المرض تنقلها العدوى بسبب الاتصال الجنسي، وقد أوضح الأطباء أن مجموع الأمراض التي يكون سبب العدوى بها ذلك الاتصال شاذاً، أو طبيعياً ثلاثة وعشرون مرضاً، قسموها بحسب العوامل المسببة لها إلى أربعة أقسام (البكتريا، الفيروسات، والبروتوزوات والطفيليات). ومن أكثرها شيوعاً هي الزهري والسلس، ومرض السيلان، والجرب، وكذلك التهابات قنوات البول (العمري، ١٩٩٥م، ٣٣).

هل يجب أن تبقى العصمة الزوجية في حالة ظهور أحد تلك الأمراض:

إن الدين لم يقف عقبة في تحقيق السعادة المنشودة من الحياة الزوجية، فقد جعل حل ذلك العقد بين الزوج، فشرع الطلاق عند الحاجة إليه، ولكنه شدد على أن لا يكون إلا في الحالة القصوى؛ فجعله أبغض الحلال إلى الله، كما أنه لم يحرم المرأة من حقها في التخلص مما يضر بحياتها، أو نسلها، ولقد وضعت الشريعة الغراء قاعدة عريضة لذلك الحكم وأمثاله، يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: (لا ضرر ولا ضرار) (ابن ماجة، ١٩٥٨م، ٧٨٤)، كما أشارت الآية الكريمة إلى ذلك (وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا) (البقرة، ٢٣١).

وقد أدرك فقهاء الإسلام ضرورة الأخذ بعين الاعتبار ما يوجد في كلا الزوجين، أو أحدهما، مما يؤثر في مستقبل حياتهما، أو نسلهما من عيوب، أو أمراض اقتباساً من

السنة المطهرة، وآثار الصحابة؛ فالجمهور منهم يحكمون برد النكاح، وحل عُرى الزوجية عن اكتشاف عيب مانع من الاتصال الجنسي في أحد الطرفين إذا لم يكن أحد الزوجين على بينة منه قبل عقد النكاح، أو الرضى به، كالعنة في الرجل بعد تعذر العلاج، ومثل ذلك ما لو كان الرجل مجبوباً، أو مخصياً، أو صغير الآلة بحيث لا تغني، وبالنسبة للمرأة فمثل أن يكون بها عقل، أو رتق، أو نحوهما من كل داء في الفرج يمنع من الجماع (سناء الخولي، ١٩٨١م، ٧٨). كما يحكمون برد النكاح بسبب وجود جزام، أو برص، أو جنون بأحد الطرفين.

وعن يزيد بن كعب عن أبيه، قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني غفار؛ فلما دخلت عليه، ووضعت ثيابها رأى بكشحها بياضاً؛ فقال: البسي ثيابك، والحقي بأهلك (البيهقي، ١٩٦٠، ٦٦)، وأمر لها بالصداق.

وفي منهج الطالبين: فمن تزوج امرأة بها شيء من هذه العلل، ولم يعلم بها، ثم علم قبل الدخول بها، كان له الخيار، إن شاء أمسكها، وأعطاها مهرها، وما يلزمه لها من نفقة وكسوة وسكن، وإن شاء أخرجها، ولا شيء لها. ولا تخرج منه إلا بطلاق، لأن هناك علة قد ثبتت، وإن شاء أمسكها، ولا أعلم أن امرأة ترد بعد الزواج بلا صداق إلا التي تزوج على أنها حرة، فإذا هي مملوكة (الشقصي، ١٩٥٥م، ٢٧٤).

إن الفقه الإسلامي لم يقف جامداً إزاء أي معضلة تحول دون استقرار الحياة الزوجية، أو تؤدي إلى ضرر أحد الزوجين، فقد صرح الفقهاء بأن الجزام، والبرص عيبان يرد بهما نكاح من وجد فيه، وأن للخالي منهما الحق في التخلص من المصاب إنما ذلك من أجل العدوى، والنفرة وخشية انتقال ذلك إلى النسل بعدهما، فيكون سبباً إلى انتشار ذلك الداء في المجتمع، قال ابن قدامة: فإن قيل فالجنون، والجزام، والبرص لا يمنع الوطء، قلنا بل يمنعه، فإن ذلك يوجب نفرة قربانه بالكلية ومسه، ويخاف منه التعدي إلى نفسه ونسله(ابن قدامة، ١٩٧١م، ٦٥٠). وإذا كان الشأن كذلك في الجزام، والبرص، فما بالك بالإيدز، ونحوه من تلك الأمراض التي تكون العدوى فيها عن طريق الاتصال الجنسي، والتي هي أدهى منهما وأمر، أليس إنقاذ البريء من شرك الهلكة أمراً تفرضه

الشريعة السمحة الغراء؟، ولقد فطن المحققون إلى أمثال هـذا؛ فحكمـوا بـرد النكـاح فيمـا دون ذلك (الكندي، ١٩٧٦م، ٣٢).

وإذا تأملنا الأدلة التي استنبط الفقهاء منها جواز حل عروة الزواج بسبب وجـود منفـر، أو مرض، والفقهاء إذا لم ينصوا على أعيان تلك الأمـراض الـتي كـشف الطـب حـديثاً أنهـا تنتقل بسبب المباشرة بين الجنسين، فما ذلك إلا لكونهم لم يقفـوا علـى رأي الطـب فيهـا، وإلا فلو وصلهم لما وقفوا جامدين.

أثر الإدمان في الحياة الزوجية:

لقد صرحت النصوص القاطعة بأن الخمر رجس، وأن المدمن عليها لا يـدخل الجنـة، ولا يجد ريحها ما لم يتب ، وأكد الطـب قـديماً، وحـديثاً أن لتعـاطي المـسكرات أكـبر الأثـر في انهيار الجسم، واضطراب العقل، وحدوث التشوه في النسل والأولاد، ولا أدل على ذلـك من الواقع المشاهد. والمخمور، وإن تمتع بنشوة، وظهـرت عليـه بـوادر الـصحة والقـوة في ريعان شبابه – فلا تسأل عن الانتكاسات التي يُمنى بها عندما تتقدم به السن قلـيلاً. قـال أحد الأطباء الألمان: إن السكير يكون نسيج جسمه كنـسيج ابـن الـستين، ويكـون كـالهرم جسماً وعقلاً (بوطامي ، ١٩٩٩م، ١٠٦). وأما تأثير الخمـور في النـسل، فإنهـا تـؤدي إلى العقم في كثير من الحالات، ولا يقتـصر ذلـك علـى المـدمنين وحـدهم، بـل يتعـداهم إلى أبنائهم؛ فأولاد المدمنين يكونون بلهاء ناقصي العقل، خـصوصاً الـذين يبـدأ الحمـل بهـم وقت أن يكون الأب، أو الأم تحت تأثير المـسكر (بوطـامي: ١٩٩٩، ١١٣)، ولا أريـد أن أطنب في هذا؛ فله مظانه، غير أني أريد أن ألتمس حلاً مـن الـشريعة الغـراء للمـشكلات التي تعاني منها المتزوجات من المدمنين، فكم وقعـت عفيفـة مـصونة في قفـص حديـدي، وشرك شائك بسبب زواجها من سكير مدمن دون علم منها، أو أوليائها، أو حدث ذلـك أثناء زواجها منه، ثم قاست من جراء الحياة معه الويلات، وذاقت الأمرّين، وسمعت مـن فمه المنتن ألفاظ الطلاق الصريحة، فإذا صحا أنكر أنه طلق، ولقيـت مـن الهـوان، وضـنك العيش ما لا يُصبر عليه ساعة ، فكيف بحياة العمر.

إن أولياء الفتيات لو بنوا اختيارهم في المصاهرة، وتخيرهـم مـن يـضعون حـرمهم عنـدهم وأمانتهم لديه على الأساس الذي أرشد الشارع الحكيم إلى أن يكون مسار الحياة الزوجيـة

على وفقهِ – لاستراحوا، وأراحوا، ولما لحقهم العار من جراء قطيعة الرحم، ولشعر متعاطو أم الخبائث بأثر العزلة، ونبذ المجتمع لهم، ولكن طغيان المادة أعمى البصائر، كما أعمى الأبصار، وزان على القلوب، كما أصم الآذان. أين منا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ولا تجعلوا كرائمكم إلا عند ذي دين فإنه إذا أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها) (الترمذي، ١٣٥٦هـ، ١٥٦)، وعن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال: (من زوج حرمته سفيهاً فقد عقها، ومن زوج كريمته بفاسق وهو يعلم، فقد قطع رحمها)، أي قرابة ولده منها (العسقلاني، ١٤٠١هـ، ج٧، ٩٤). وفي منهج الطالبين: (ويوجد عن محمد بن الحسن أن الكافر للنعم ليس هو بكفء للحرم ولا أميناً لغدره بالذمم) (الشقصي، ١٩٥٥م، ج١٥، ص٢٨٣).

هل يجبر المدمن على الطلاق إذا طلبته الزوجة:

فإذا وقعت عفيفة مصونة في شرك سكير مدمن، فما المخلص لها؟ لم نجد فيما بين أيدينا من كتب العلماء أن ذلك مما يُرد به النكاح، ولكن أخذاً من قوله عليه الصلاة والسلام: (لا ضرر ولا ضرار)، وتمشياً مع مقاصد الشريعة لا بد أولاً أن يستتاب، فإن لم يتب، وأصر على كبيرته أجبر على الطلاق؛ قال تعالى: (وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا)(البقرة، ٢٣١).

وإذا كان الجنون عيباً يرد به النكاح، وتطلق المرأة بسببه، وهو عارض سماوي ليس فيه لأحد اختيار – فلأن يجبر المدمن على الخمر المختار لنفسه على التطليق أولى، قال ابن قدامة: فإن قيل: فالجنون والجزام والبرص لا يمنع الوطء، قلنا: بل يمنعه، فإن ذلك يوجب نفرة تمنع قربانه بالكلية ومسه، ويخاف منه التعدي إلى نفسه ونسله، والمجنون يخاف منه الجناية، فصار كالمانع الحسي (ابن قدامة، ١٩٧١م، ٦٥٧). وقال والجنون نفرة، ويخشى ضرره، وليس الجنون عيباً في الرجل وحده يرد به النكاح، بل كذلك هو في المرأة، ففي المنهاج: ومن تزوج مجنونة تقع في الشهر مرة، أو مرتين، ثم علم بها قبل الدخول، أنه لا يلزمه نكاحها، إن لم يكن جاز بها لزمه ذلك، وعليه صداقها (الشقصي، ١٩٥٥م، ٢٩٧)، ولا يخفى أن من به الجنون، والسكران نظيران في ذهاب العقل، وفقدان الوعي؛ فالضرر الذي يخشى من هذا هو بعينه الذي يخشى من ذاك.

ومن الذي يأمن على هذه المرأة أن يفاجئها هذا السكير بضرب، أو قتل في أي وقت من الأوقات، وربما أمكنها الاحتراس من المجنون لعلمها بجنونه، ولا يمكنها أن تحترس من السكير لعدم ضبطها لوقت صحوه، وتميزه من وقت سكره، على أن السكران قد يكون أسوأ حالاً من النائم الذي يمكن تنبيهه، وإيقاظه، ومن المجنون الذي يفهم بعض الكلام.

كثيراً ما تنطلق ألسنة السكارى علناً بما يوجب فراق زوجاتهم، بل قد يطلق أحدهم أكثر من ثلاث دفعة واحدة، وفي مجلس واحد ثلاث مرات، أو أكثر، وهي حالة منتشرة على نطاق واسع، ابتلي به المسلمون في هذا العصر أكثر من غيره؛ لكثرة السكارى، وتنوع المسكرات، وسهولة تحصيلها، فهل يُلزم السكران بالطلاق الذي أنشأه حال سكره لأنه تعاطى المسكر اختياراً، أو يُعدُّ ذلك هذياناً لا حكم له؛ إذ هو صادر عن غير قصد؟، ومن هو السكران الذي نبحث في شأنه هذه القضية؟ إن من نعني ببحث تلك القضية في شأنه هو من ستر عقله بفعله، أو بفعل غيره بسبب تعاطي مسكر من المسكرات شرباً، أو أكلاً، أو حقناً، أو تطعيماً، أو شماً، ومن أجل الإيضاح، وإزالة الغموض - يجدر بنا أن نذكر، ولو بإيجاز أن حصول السُكر إما أن يكون بطريق مباح أو بطريق محظور.

السُكر بطريق مباح:

إن السُكر الذي يحصل بطريق مباح شرعاً هو ما غيّر العقل من غير هوى وقصد من صاحبه، ويكون ذلك بعدة أسباب:

١. شرب المسكر، أو جهله على أنه مسكر.
٢. أن يشرب، أو يأكل المسكر مضطراً اضطراراً يخاف منه التلف، كما إذا شربه في ظمأ شديد، أو مخمصة شديدة بقصد إحياء نفسه، أو تخليصها من التلف (السالمي، ١٩٨٤م، ١١٧).
٣. أن يُكرهه على شرب المسكر، أو أكله جبار بالإكراه بالقتل، فإنه يحل له.
٤. أن يشرب، أو يأكل دواء؛ فيسكر كالبنج، أو الأفيون، كما نص على ذلك الإيضاح في الأحكام (أبو زكريا، ١٩٨٥م، ١٨٨).
٥. أن يشرب لبناً أو ماء أو أي شراب من الأشربة المباحة فيسكر به.

السكر بطريق محظور:

وأما السكر الحاصل بطريق محظور فهو ما غيّر العقل بهوى وقصد من صاحبه من غير اضطرار، ولا إكراه، ولا جهل به مثل أن يأكل، أو يشرب المسكر لغير الأسباب السابقة الذكر، وهذا الصنف هو الذي جاء فيه اختلاف الفقهاء في الطلاق الواقع من المتلبس به حال سكره. أما السكر الحاصل بطريق مباح فحكمه حكم الإغماء؛ لأن كل واحد من الإغماء، والإسكار المباح مغير للعقل من غير هوى، وقصد من صاحبه، فلا يتوجه خطاب التكليف إليه، لأن شرط توجه الخطاب العقل والفهم والتمييز، والسكر ينافي ذلك، إذ السكر، وإن كان لا يزيل العقل، ولا ينقصه - فإنه يستره، ويمنعه عن العمل، ولا يقدر السكران على فهم الخطاب؛ فيمنع هذا السكر من صحة الطلاق، والعتاق، وسائر التصرفات؛ لأن ذلك ليس من جنس اللهو؛ فصار قسماً من أقسام المرض (السرخي، ١٩٧٧م، ٨٩).

آراء العلماء في طلاق السكران بمحرم:

ذهب كثير من فقهائنا إلى أن السكران بمحرم ينفذ طلاقه؛ لأن سكره لا ينافي الخطاب، إذ هو متعرض بنفسه لتغيير تحصله اختياراً، فناسب أن تجري عليه الأحكام الشرعية سواء بسواء، هو أحد قول الشافعي (النووي، ١٩٦٧م، ٦٥)، وقول مالك (أبو البركات، ١٩٨٤م، ١٧– ١٨) ، وقد استدل القائلون بذلك بأدلة من المنقول ، والمعقول نسوق أهمها:

أ. من المنقول : قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى) (النساء، ٤٣). ووجه الدلالة من الآية أن الله جل شأنه نهاهم أن يقربوا الصلاة وهم سكارى، وهذا الخطاب متوجه إليهم حال السكر ؛ لأن الواو في (وَأَنتُمْ سُكَارَى) للحال.

قال البزدوي عند الاستدلال بالآية الكريمة: إن كان هذا خطاباً في حالة السكر ، فلا شبهة فيه، وإن كان في حال الصحو فكذلك ألا يرى أنه لا يقال للعاقل إذا جننت فلا تفعل كذا (البزدوي، ١٩٨٦م، ١٦١).

ب. ومن المنقول:

١. إن العقل موجود في أصله، وستره كان باختياره وبأمر حرَّمه الشارع الحكيم فهو مسئول عن الضلال الذي وصل إليه بتناول ما تناوله بعد أن حظر الشارع الحكيم عليه، ومسئول عن نتائج ذلك السكر من إهمال الواجب عليه واعتدائه على حق الغير.

٢. إن الإثم لا يبرر الإثم فمن سكر وقذف فقد ارتكب إثم السكر وإثم القذف ومن سكر وقتل فقد ارتكب إثم السكر وإثم القتل، وأنه لا عذر له فيما يترتب على سكره من آثام لأنه أقدم على السكر مختاراً وهو عالم أن السكر يفقد الوعي وفي فقده الوعي لا يأمن من ارتكاب الجرائم فقد أقدم على السبب وهو يعلم ما يتسبب عنه والإقدام على السبب إقدام على المسبب ما دام قد اختاره.

٣. إن تكليف السكران إذا كان بسكر محرم ومعاقبته على ارتكاب الجرائم حال سكره – يعد من باب الذرائع التي جاءت نصوص الشارع الحكيم بسدها (البزدوي، ١٩٨٦م، ١٦١)، ذلك لأن السكران لو لم يكلف ، ولم يعاقب ، ولم يؤاخذ بما صدر منه من أقوال، وأفعال – لاتخذ بعض الناس السكر ذريعة لارتكاب المحرمات، وترك الواجبات، أما إذا علم الشخص أنه يؤاخذ بأقواله وأفعاله حال سكره، فإنه يمتنع عما يؤدي إليه ويترك أسبابه ، كما لو رفع عنه الخطاب بسبب سكره المحرم؛ لأدى ذلك إلى الإفراط في الشرب من غير رادع ، ولا زاجر (أبو زهرة، ١٩٩٨م، ٦٤)، فإذا ظهرت صحة تعلق الخطاب بالسكران ، فإنه تجري عليه أحكام الصاحي؛ فيثبت طلاقه لزوجته بناءً على ما تقدم. قال البزودي وإذا ثبت أن السكران مخاطب ثبت أن السكر لا يبطل شيئاً من الأهلية ؛ لأنها بالعقل والبلوغ، والسكر لا يؤثر في العقل بالإعدام فيلزمه أحكام الشرع كلها من الصلاة، والصوم، وغيرها، وتصح عباراته بالطلاق (البزدوي، ١٩٨٦م، ١٣٢).

وذهب آخرون منهم محمد بن بركة: أن السكران الذي لا يعي ما يقول لا يصح طلاقه كسائر تصرفاته، ولا إقراراته، ولا يؤخذ بإقامة الحدود عليه إذا ارتكب ما يوجبها حال سكره، وهذا أحد قولي الإمام الشافعي (النووي، ١٩٦٧م، ٦٣) ومذهب الظاهرية (ابن حزم، ١٣٨٢هـ، ١٨٠) ، وهو اختيار الحسن الكرخي، و أبي جعفر الطحاوي من

الحنفية (البزدوي، ١٩٨٦م، ٣٥٤) ، ونقل ذلك عن عثمان بن عفان، وهو قول من مذهب الإمام مالك (حسين حامد، ١٤٠٢هـ ، ٧٢).

استدل القائلون بهذا الرأي بما يلي:

١. إن التصرفات تتوقف على صحة الإرادة والقصد السليم ، ومن الواضح أن السكران لا يتحقق معه شيء من ذلك مهما كان سبب السكر ، ومهما كانت المادة التي سكر منها (الحنبلي، ١٣٧٨هـ، ج٢، ١٣٧).

٢. العقود أساسها الرضا ، وقد فقد السكران الوعي ؛ فلا يُعد راضياً.

٣. إن غفلة السكران فوق غفلة النائم ينتبه إذا نبه ، والسكران لا ينتبه، ثم طلاق النائم لا يقع ؛ فطلاق السكران أولى بعدم الوقوع.

٤. إن مناط أهلية الخطاب هو العقل ، والتمييز ، وفهم الخاطب ، والسكران في ذلك لا يعقل ، ولا تمييز له.

وأبطل أصحاب هذا الرأي استدلال أصحاب الرأي الأول بالآية السابقة ، كما دفعوا أدلتهم العقلية ، وبيان ذلك فيما يلي :

أ. إن الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى) لا تصلح دليلاً على تكليف من ليست له القدرة على التمييز ، ولا يستطيع فهم الخطاب ؛ لأن ذلك يُعد من التكليف بالمحال ، وبيان ذلك أن خطاب التكليف يتضمن الأمر بالفهم ، وكيف يقال أفهم لمن ليست له القدرة على فهمه؟

وقد أورد المفسرون للآية عدة تأويلات منها:

إنه خطاب لغير السكارى يطلب منهم الكف عن الشرب إذا قرب وقت الصلاة، وليس خطاباً للسكارى يطلب منهم عدم قربان الصلاة حال السكر، وذلك كقولك لا تقرب قراءة القرآن ، بل النهي عن الكسل حال القراءة حتى لا تثقل على القارئ ، وقد كان ذلك النهي في صدر الإسلام قبل تحريم الخمر ؛ فكان أمراً لهم بعدم الشرب إذا اقترب وقت الصلاة، وفي جامع أحكام القرآن للقرطبي ، والخطاب لجماعة الأمة الصالحين، وأما السكران إذا عدم التمييز لسكره ، فهو ليس بمخاطب في ذلك الوقت ؛ لذهاب عقله (القرطبي، ١٩٥٨م، ٤٦).

ومن التأويلات أن الخطاب في الآية للمنتشي الذي ظهرت عليه علامات الطرب، ومبادئ النشوة ، ولكن عقله ما زال باقياً، وهو في هذه الحالة يفهم الخطاب بعقله، ولكن لا يحسن أداء الصلاة على الوجه المطلوب ؛ فكان خطاب الشارع الحكيم في وقت يعقل فيه الخطاب ويفهمه، وهذا الخطاب يطلب منه الكف عن الصلاة في هذه الحالة ؛ لأنه قد تختلط عليه القراءة ، أو يهمل بعض الواجبات ، وهذا الأمر يحتاج إلى الصحو الكامل (الطبري، ١٣٩٨هـ، ٦٢).

ب. وأما ما ذكر من الأدلة العقلية ، فيما لا يخفى على متأمل أن السكر إن كان بمحرم ، فقد فرض له الشارع الحكيم عقوبة معينة، فلا تجوز الزيادة على تلك العقوبة بالاجتهاد، فكيف يجعل نفوذ التصرفات ، ووجوب العبادات ، والتزام العقوبات عقوبة السكر الحرام فوق العقوبة التي فرضها الشارع الحكيم ؟

وأما قاعدة سد الذرائع فإنها لا يمكن أن تطبق في مثل هذا الخصوص ؛ لأن السكر إذا كان يؤدي إلى ارتكاب ، فإنه يجب أن يقتصر أثره عليها ، بمعنى أن السكران يلتزم بعقوبة ما ارتكبه منها ، دون أن تلزمه العبادات ، والإقرارات، وأما إقامة مظنة الشيء مقام الشيء نفسه أيضاً ، فلا تطبق هنا ؛ لأن السكر قد يكون مظنة للقذف مثلاً ، ولكنه لا يكون مظنة لغيره من الجرائم.

الخاتمة:

إن المتأمل بإنصاف في ما ذكره الفريقان من الأدلة ، والناظر في مقاصد الشريعة - يتبين له بجلاء أن السكران إذا كان مميزاً يستطيع أن يفرق بين الضار والنافع ، يثبت طلاقه سواءً أكان سكره بمحرم ، أم بغير محرم ؛ لأن من باب أن ذلك عقوبة له ، بل لأنه قد يعي ما يقول ، وكذا القول في سائر تصرفاته وإقراراته.

أما السكران الذي لا تمييز له بحيث صار كالمجنون، فلا يعي ما يقول، ولا يفرق بين الضار والنافع، فطلاقه غير ثابت كسائر تصرفاته، وإقراراته، فإلزامه بإقراراته، وتصرفاته من طلاق، أو غيره من حيث أنه أدخل السكر على نفسه عقوبة له، ذلك مما لم يرد به نص، وأما ما ادعاه القائلون بإلزام السكران بمحرم بالعقوبة، وغيرها من أن ذلك يخاطب

الوضع الذي يجعل السكر بمحرم سبباً في العقوبة مثلاً، ولا نمانع في ذلك إذا ثبت مثل هذا الخطاب – فيبقى عليهم إثباته، وعند ذلك فلا منازعة.

والسكران إذا كان لا تمييز معه، كالمجنون المُلقى في قارعة الطريق – فسبيله سبيل المجنون الذي تقع أفعاله على غير قصد، والخطاب متوجه لمن يعقل الخطاب. ومن لا يعقل لا يلزمه أحكام العقلاء. والسكران الذي لا يعقل، لا يقع منه طلاق ولا غيره؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى) (البخاري، ١٩٥١م، حديث رقم ١)، فإذا عدمت نيته لزوال عقله بسكر أو جنون، أو غير ذلك، كانت أفعاله غير محكوم بها. غير أن التحقق من زوال عقل السكران بالكلية، وفقد وعيه تماماً أمر في غاية الصعوبة، ولا يكفي ادعاؤه أن ذلك كان وقت تلفظه بالطلاق، أو نحوه من الإقرارات، بل لا بد من تيقن ذلك ببينة تثبت وقت زوال العقل، وفقدان الوعي فيحكم بمقتضاها، والأصل بقاء العقل والإدراك حتى يتبين انتفاؤه.

على أن كثيراً من المدمنين الذين اعتادوا تعاطي المسكرات – يصير ذلك عندهم شيئاً عادياً، لا تتغير به عقولهم ، ولا يفقدون معه وعيهم.

النتائج:

من أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة أن كثيراً من الأمراض المعدية الفتاكة تؤدي إلى إيقاف مسيرة الحياة الزوجية، كما أن للإدمان أكبر الأثر في حدوث المشكلات الزوجية التي تحرم الزوجين من السعادة والاستقرار، وأن الالتزام بمنهج الله هو العلاج الناجع، والحل الشامل لجميع المشكلات في الماضي والحاضر.

التوصيات:

١. نوصي بالفحص الطبي لطرفي الزواج قبل عقد الزواج.
٢. أن توجه الدولة أجهزة الإعلام بتوعية الشباب بمخاطر الإدمان.
٣. على أجهزة التوجيه والتربية وضع المناهج العلمية التي تُعرِّف الشباب بالأمراض المعدية التناسلية الفتاكة.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم
٢. ابن حزم ، ١٣٨٢هـ ، المحلي، مكتبة الجمهورية العربية، مصر.
٣. ابن قدامة، ١٩٧١م، المعنى ج٦، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
٤. ابن ماجة، ١٩٥٨م، السنن، الحلبي، القاهرة.
٥. أبو البركات الدردير ، ١٩٧٤م، السرح الصغير على أقرب المسالك للإمام مالك، دار المعارف، مصر.
٦. ابوبكر الكندي، ١٩٧٦م، المصنف، السلطانية، مسقط.
٧. أبو زكريا يحيى بن سعيد، ١٩٨٥م، الإيضاح، وزارة التراث والثقافة، مسقط.
٨. أحمد بوطامي، ١٩٩٩م، الخمر والمخدرات والتدخين، الفكر، عمان.
٩. البخاري محمد بن إسماعيل، ١٩٥١م، الصحيح، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠. البزدوي أحمد رواحي، ١٩٨٦م، أئمة الفقه، دار العلوم، القاهرة.
١١. الترمذي أبو عيسى، ١٤٠٦هـ، السنن، الحلبي، القاهرة.
١٢. تقرير منظمة الصحة العالمية، ١٩٨٨م.
١٣. حسين حامد، ١٤٠٢هـ، الفقه الإسلامي، دار الفكر، بيروت.
١٤. الحنبلي أبو يوسف، ١٣٧٨هـ، غاية المنتهى، درا السلام، دمشق.
١٥. رفعت كمال، ١٩٩١م، المناعة المفقودة ، الحلبي ، القاهرة .
١٦. السالمي عبد الله نور الدين، ١٩٨٤م، مفارج الآمال، دار الفتح، بيروت، لبنان.
١٧. السرخي شمس الدين ، ١٩٧٧م، المبسدوا، دار المعارف، بيروت، لبنان.
١٨. سناء الخولي، ١٩٨١م، الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.
١٩. صبحي العمري، ١٩٩٥م، الجهاز التناسلي، الأطباء للنشر، عمان، الأردن.
٢٠. الطبري أبوجعفر، ١٩٧٨م، تاريخ الأمم والملوك، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٢١. العسقلاني، أحمد بن حجر ، ١٤٠١هـ ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المطبعة السلفية ، القاهرة .

٢٢. العلامة سيد الشقصي ، ١٩٥٥م، منهج الطالبين ، وزارة التراث ، عُمان .
٢٣. فكتور دانيال ، ١٩٨٩م ، الايدز ، العلم للملايين ، بيروت .
٢٤. القرطبي، ١٩٥٨م ، الجامع لأحكام القرآن ، البابي الحلبي ، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة .
٢٥. محمد أبوزهرة ، ١٩٩٨م ، أصول الفقه ، الحلبي ، القاهرة .
٢٦. النووي يحيى شرف الدين ، ١٩٦٧م ، المجموع ، مطبعة الإمام ، القاهرة .

مفهوم الحرب و الجهاد في الحكم الراشد (رؤية إسلامية)

د. شوقي عبد المجيد عبيدي
أستاذ مشارك كلية الشريعة والقانون – جامعة دنقلا

المستخلص:
أصبحت أينما تندلع حرب بين طائفتين، أو دولتين، أو حضارتين، ومع التسليم بالخسائر المادية والمعنوية والقتل والتقتيل - تندلع مشكلة تظل ملازمة للحرب، وإلى ما بعد الحرب، وهي مشكلة أسرى الحرب أثناء الحرب والسلم، كل طرف يحتفظ بأسرى الطرف الآخر؛ مما أثار مشكلة كيفية معاملة كل طرف لأسراه، سواء بتسوية هذا الأشكال بتبادل عدد محدد بين أسرى كل طرف، أو بتطبيق نصوص الاتفاقية الثالثة المتعلقة بأسرى الحرب .تفترض الدراسة أن عالم بلا حروب غير متصور، ويبدو ذلك أمرا بعيد المنال، بل، وحلم من أحلام الخيال، وفي المقابل تفترض الدراسة أن حروب بلا أسرى غير متصور على الإطلاق ؛ لذا على الدول الراشدة ، والحكم الراشد أن تكون جاهزة لدرء آثار الحروب ، ومنها مشكلة أسرى الحروب ، والخلافة في الأهل للشهداء ، وخلافه .

المقدمة :
الحرب، كما يقول ابن خلدون، لم تزل واقعة في الخليقة منذ بدأها الله، وستبقي الحرب ملازمة للمجتمعات البشرية؛ لأن الاعتداء، ورفض الحق من الغرائز في البشر، كما أن رد العدوان، وإلزام الغير بالحق، ولو بالقوة، والقتال -مما فطر الله تعالى الإنسان.
إن حسن الخلق، ولين الجانب، والرحمة بالضعفاء، والتسامح مع الأعداء تفعله كل أمة في أوقات السلم مهما أوغلت في الهمجية، ولكن حسن المعاملة في الحرب، ولين الجانب مع الأعداء، والرحمة بالنساء والأطفال والشيوخ، والتسامح مع المغلوبين لا تستطيع كل أمة أن تفعله، ولا يستطيع كل قائد حربي أن يتصف به.
إن رؤية الدم تثير الدم، والعداء يؤجج نيران الحقد والغضب، ونشوة النصر تسكر الفاتحين فتوقعهم في أبشع أنواع التشفي، والانتقام، ذلك هو تاريخ الدول قديمها وحديثها.

إن الاشتباكات المسلحة بين الدول، والحروب الأهلية، والحركات التحررية، فضلا عن آخر حروب القرن، وهي الحرب ضد الإرهاب، والتي أعلنتها الولايات المتحدة كلها - تترك آثارا سيئة في العلاقات الدولية، ودمارا في الاقتصاد والموارد، وهلاكا للبشر من قتلى وجرحى ومفقودين، ووقوع الآلاف من الأفراد في الأسر في يد الطرف الآخر.

فالحرب آفة مهلكة للحرث والنسل، ولا يحصل منها إلا الشر والخراب، وتقضى على الأخضر واليابس، فالحكمة تقضى تجنب أسباب الفتن والحروب، وتوجب على ولاة الأمور في العالم، كل العالم التحلي بالحلم والحكمة إذا آثار الأشرار أسباب إشعال الحروب.. وعلى الحكومات، والمنظمات، والهيئات الدولية الإنسانية بذل الجهود اللازمة في علاقاتها الدولية، وغير الدولية لإشاعة الأمن والسلم الدوليين في العالم، وتوطيد أركانه، وإطفاء نار الحروب والفتن(حامد سلطان، ١٩٨٥م، ٢٣١).

فالعالم اليوم يسير على سنة الغاب؛ القوي يقتل الضعيف، والمسلح يسترق الأعزل، والأسير معرض للتعذيب والقتل في كافة أنحاء العالم على اختلاف مللهم واتجاهاتهم العقائدية والسياسية. ومن أجل ذلك بات من الضروري التصدي لهذا الموضوع، والكتابة فيه لأبراز النواحي الإنسانية التي قررتها الشريعة الإسلامية، والقانون الدولي العام، والمواثيق والاتفاقيات الدولية، والعلاقات الدولية في شأن الحروب.

إن من المسلم به أن قواعد ومبادئ الشرع الإسلامي الدولي تسبق قواعد القانون الدولي العام، ويكاد يجمع عليه كُتَّاب الغرب في أوربا وأمريكا؛ لأن المبادئ الأساسية لقواعد القانون الدولي حديثة العهد لا ترجع إلا إلى ما قبل القرون الأربعة الأخيرة؛ إذ بدأ اهتمام الدول الأوربية في تنظيم علاقتها على أساس من القواعد القانونية الثابتة استنادا إلى القانون الروماني القديم. والصحيح أن جل هذه المبادئ، وغيرها مما يتعرض له القانون الدولي الحديث واردة في أحكام الشريعة الإسلامية نزل بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً. وصلات المسلمين بغيرهم من الشعوب، والدول في حالتي السلم والحرب كانت تخضع لقواعد مفصلة مستمدة من القرآن والسنة النبوية، واستمر تطبيقها في جميع العصور الإسلامية؛ وبذا سبقت مبادئ الإسلام الإنسانية مبادئ القانون الدولي في السلم والحرب(الفاضل دولان ، ١٩٨٨م، ٢٨).

أما بشأن الحرب وآثارها وضحاياها، فقد كانت للحرب قواعد، وآداب ارتبط بها المسلمون قادة وجنوداً ورعاة ورعية في حروبهم، وكان الواحد منهم لا يحيد عما أمر الله تعالى به وما نهى عنه؛ لأنها جزء من عقيدته، كما التزموا بطاعة رسول الله صلي الله عليه وسلم بحكم قوله تعالى: (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ) (الحشر: ٧).

أما بالنسبة للقوانين الوضعية، فإن الالتزام بها صعب جداً؛ لأنها ليست من العقيدة في شيء، ومن السهولة بمكان تجاوزها، ومخالفتها على نطاق الأفراد والأمم، وعلى النطاق الدولي في كافة الهيئات. فكل المبادئ والقوانين، والاتفاقات الدولية يصعب الالتزام بها؛ لأن العبرة في صلاح النفوس لا بصلاح النصوص.

وحيث أن الحرب لها آثار، ونتائج - فلا بدَّ من تناول مفهوم الحرب في الإسلام، والقانون الدولي العام، والعلاقات الدولية في العصور القديمة والحديثة توطئة لما نريد بحثه من أحكام، ونتائج في الفقه الإسلامي، والقانون الدولي؛ لنوضح ما أحكام هؤلاء وأولئك في الفقه الإسلامي!

إن موضوع البحث الذي هو عن مفهوم الحرب، والجهاد في الحكم الراشد، وما يتعلق بهم من أحكام، والناس بحاجة إلى معرفة هذه الأحكام في شريعة الإسلام، والقانون الدولي؛ لأن الحرب غير منقطعة، ولا منتهية في العالم، بل إن كثيراً من الحكام، والحكومات يخالفون هذه الأحكام، وكثيراً ما تنقل إلينا الأخبار العالمية، وتؤيده الهيئات الدولية، مثل هيئة الصليب الأحمر الدولي، ومنظمات حقوق الإنسان من قتل لبعض الأسرى، وهذا فعل يناقض ما أوجبه الإسلام من حسن معاملة غير المسلم؛ فكيف إذا كان المقتول مسلماً؟ علماً أن للمسلم على المسلم حقوقاً مقررة، أبسطها المحافظة على دمه، ثم إن الاعتداء على المقهورين، والمأسورين حتى ولو كانوا غير مسلمين ظلم؛ طبقاً للشريعة الإسلامية، وحيث إن الظلم محرم على المسلم تجاه أي إنسان، حتى ولو كان غير مسلم، أو ظالم، كما قرره فقهاء الإسلام.

ولا يخفي علينا أن الاشتباكات المسلحة في العالم، وخاصة الحروب، ومنها الحرب العالمية الأولى والثانية – قد أهلكت الملايين من الناس بين قتيل وجريح ومعوق، ومفقود، وأسير .. ولقد جاء الإسلام في عصر لم يكن فيه للرفق بالأسرى وجود حتى استنبط فقهاء المسلمين من الشريعة الإسلامية، ومصادرها، وخاصة كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الشيء الكثير من أحكام الحرب، وما تضمنته من لزوم المعاملة الحسنة لهم تنفيذا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استوصوا بالأسارى خيراً) (ابن رشد، ١٤٠٩هـ، ٢٥).

وإذا كان الهدف العام، والمجمل للدراسة – هو تسليط الضوء، والوصول إلى جذور المشكلة في التعامل مع الأشكال الذي تثيره الحرب – فإن الدراسة تهدف إلى تسليط الضوء على الأخلاق في السلم، والحرب، واتباع القواعد الأساسية لقانون الحرب، وقواعد السلوك أثناء القتال، فضلا إن البحث يهدف إلى تسليط الضوء على إعلان الحرب، والجهاد، وكيف على الحكم الراشد أن يتفادى الوقوع في أتون الحرب.

أصبحت أينما تندلع حرب بين طائفتين، أو دولتين، أو حضارتين، ومع التسليم بالخسائر المادية، والمعنوية، والقتل والتقتيل – تندلع مشكلة تظل ملازمة للحرب، فما هي أسباب الحروب، ومتى تكون الحرب مشروعة، ومتى تكون غير عادلة؟، ومتى يعلن الجهاد، ومتى يكون الحرب جهاداً؟، وما هي آثار الحرب، وإعلان الجهاد؟، ما هو الحكم الراشد من المنظور الإسلامي للتعامل مع الجهاد، والحرب والقتال؟

تفترض الدراسة أن عالم بلا حروب غير متصور، ويبدو ذلك أمراً بعيد المنال، بل وحلم من أحلام الخيال، والدراسة تفترض أن الحرب فيها من القسوة والضراوة، والتعسف، والخروج عن المبادئ الإنسانية من عدم رفق ورحمه.

وفي المقابل تفترض الدراسة أن حروباً بلا خسائر في الأنفس، والممتلكات –غير متصور على الإطلاق؛ لذا على الدول أن تكون جاهزة لدرء آثار الحروب، ومنها مشكلة أسرى الحروب، وكفالة أسر الشهداء، وخلافه (شالز روسو ، ٢٠٠٥م، ٧٣)

إن المنهج المتبع لدراسة مفهوم الحرب في الحكم الراشد هو المنهج التحليلي الوصفي، والمنهج التاريخي، والذي يوضح نهج التشريع الإسلامي، والقانون الدولي العام في معالجاته لمشكلة الحروب عن طريق اتباع حكم راشد .

الحكم الراشد في المنظور الإسلامي :

الحكم الراشد رؤية رحبة تتعلق بنموذج الحكم، وارتباطه بالأصول الشورية، والعلاقة بين معايير الحكم، ومعايير المساءلة والشفافية بما يؤسس لحكم صالح؛ فالحكم الراشد يؤسس لعلاقة سياسية سوية من جانب، وينشئ العلاقات بين الدولة، والمجتمع من جانب آخر، وهذا الحكم الراشد يجد في المنظور الإسلامي الحضاري تقاليد راسخة من مداخل متنوعة يمكن الوقوف عليها ضمن تناولنا موضوع الحرب والجهاد.

فمفهوم الحكم يشير إلى ممارسة السلطة السياسية، والاقتصادية، والإدارية لإدارة شئون بلد ما على جميع المستويات، بينما يشمل الحكم الرشيد الدولة، والمجتمع المدني، والقطاع الخاص، كما يَعنى بآثار التنمية طويلة الأمد على أجيال متعددة، كما تتمثل أبعاد الحكم الرشيد في سيادة القانون، والشفافية، والاستجابة، والمشاركة، والإنصاف، والفعالية، والكفاءة، والمسائلة، والرؤية الاستراتيجية (سيف الدين عبد الفتاح، ٢٠١١م، ١٥٣).

فالحكم الرشيد له أساس أكدته العقيدة، والشريعة الإسلامية للحكام والمحكومين، وقد عرف المسلمون الأوائل كل مباديء الحكم الرشيد، ومارسوها في الفترة التي حكم فيها الرسول صلى الله عليه وسلم في مجتمع المدينة، وتبعه على سنته في ذلك الخلفاء الراشدون، ثم انتكس نمط الحكم بعدهم في البلاد الإسلامية، وانحدر إلى الاعتراف بشرعية الحكم بالغلبة، والاستيلاء عليها بالقوة، وما على المحكومين إلا أن يسمعوا، ويطيعوا حفاظاً على بلاد المسلمين من الفوضى، وحتى لا يتكرر فيها أحداث الفتنة الكبرى. هذا الهاجس لم يكن ليغيب عن أذهان أئمة الفقه، والمفكرين السياسيين المسلمين عند النظر في موضوع نمط العلاقة بين الحكام والمحكومين. وكانت العقبة في ذلك منذ البداية هي ظروف القرون الوسطى التي لم تسعف الدولة على النمو التشريعي والمؤسسي في الاتجاه الذي قامت عليه دولة الخلفاء الراشدين الفاضلة، بل سارت الأمور الفقهية في

عكس هذا الاتجاه، وهو الادعاء بشرعية الحكم بالغلبة، والقوة، والحرب والجهاد، وتوريث الحكم (بهاء الدين منصور، ٢٠١١م، ١٣٩).

المفهوم الخاطئ للجهاد وضوابطه :

الحرب إما أن تكون مشروعة، أو تقع غير مشروعة؛ فتكون الحرب مشروعة طبقاً لفقهاء القانون الدولي العام في إحدى حالتين:

أما أن تكون رفعاً لاعتداء واقع بالفعل، أو أن تكون الحرب لحماية حق ثابت للدولة انتهكته دولة أخرى دون مبرر.

أما الحرب غير المشروعة، فهي التي يقصد منها الفتح، والرغبة في السيطرة وبسط السلطان، ما ورد أعلاه هو مفهوم الحرب طبقا للقانون الدولي العام، أما مفهوم الحرب في الإسلام فتعني القتال. والجهاد شرعاً هو بذل الجهد في قتال الكفار؛ فالجهاد إذن مرادف للحرب الشرعية في الإسلام. بينما الحرب غير المشروعة يتفق تعريفها في القانون الدولي العام، والإسلام - بأنها هي الحرب التي يقصد منها الفتح، والرغبة في السيطرة وبسط السلطان، وهي الحرب غير العادلة الظالمة والجائرة، وهي الحرب للغزو والنهب وإذلال الشعوب وامتهان كرامتها دون مبرر(علي علي منصور، ١٩٨٥: ١٣٧).

إذن يختلف مفهوم الحرب في الإسلام عن مفهوم الحرب في القانون الدولي العام في الحرب المشروعة فقط في تعريفها ومعناها؛ فالحرب المشروعة التي أباحها الإسلام هي التي تكون في سبيل الله، وما عداها فهي حرب في سبيل الطغيان، والفساد؛ قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) النساء (٧٦).

فتكون الحرب في سبيل الله إذا كان المقصود إعلاء كلمة الله، والمراد بكلمة الله، أي دعوة الله إلى الإسلام، ويدخل فيه طلب رضوانه، وقهر أعدائه. فإذا لم تكن هناك حاجة للقتال لتحقق أغراض الإسلام بدونه - فإن المسلمين لا يتمنون قتل الكفار، وهنا الجزية مربوطة بعدم إعلان الحرب المشروعة ضد غير المسلمين، والقتال يراد به إعلان كلمة الإسلام بجريان أحكامه على الناس مع عدم التعرض لعقائد غير المسلمين شرط أن يدفعوا الجزية (عبد الواحد محمد يوسف، ١٩٩٦: ٥٧).

أما آداب الحرب في الإسلام يتفق معه آداب الحرب في القانون الدولي العام، وذلك من إعلان للحرب، ونكران للغدر، والمفاجأة عند بدء القتال، وتأمين للرسل والسفراء، وتحريم قتل النساء، والصبيان، والشيوخ، والرهبان، وتحريم قتل من لا يقاتل.

لكن إعلان الحرب في الإسلام مبدأ مقرر، سبق فيه جميع الأديان، والدول، والقواعد الدولية، وفوق ذلك إذا بدأ أمير جيش المسلمين قبل الإنذار، ودخل في أعمال القتال دون إعلان، أو إنذار، وقتل – ضمن ديات نفوسهم(ابن رشد، ١٤٠٩هـ، ٦٨٩).

أما في موضوع الغدر والمفاجأة عند بدء القتال، فإن الإسلام ينكره، وإن خالفه العدو، وهجموا على المسلمين بياتا وغدرا؛ لأن القاعدة في الإسلام (لا متابعة ولا معاملة بالمثل في الغدر والظلم)، بينما لم يفطن العالم الغربي إلى أن هذا الغدر عمل غير إنساني إلا في ١٩٠٧م، وتقرر عام ١٩٤٩م في اتفاقيات جنيف. واتفاقيات جنيف الأربعة هذه هي الاتفاقية التي تعبر عن القانون الدولي الإنساني (الاتفاقية الأولى عن معاملة جرحى الحرب في البر، والاتفاقية الثانية عن معاملة جرحي الحرب في البحر، والاتفاقية الثالثة من اتفاقيات جنيف ١٩٤٩هـ، أسرى الحرب بينما الاتفاقية الرابعة عن معاملة المدنيين أثناء الحرب).

ينتهي الأسر في الإسلام بالمن، أو الفداء، وأوضحنا أن المن هو تخلية سبيل الأسير بلا مقابل يؤخذ منه، بينما الفداء هو إطلاق سراح الأسير مقابل عوض سواء كان العوض مبادلته بأسير، أو بجزء من المال، أو تقديم خدمة للمسلمين، وهنا يتضح أن مفهوم الفداء يدخل فيه موضوع تبادل الأسرى (وهبه الزحيلي ، ١٩٨٦، ٤٧).

أما فيما يتعلق بالإرهاب الدولي، فنجد أن القرارات التي صدرت من مجلس الأمن الدولي عقب أحداث سبتمبر بخصوص الإرهاب الدولي – هذه القرارات أعطت مبررات لما سُمي بالحرب الاستباقية، وفرضت التزامات، ومسئوليات على الدول بشأن مكافحة الإرهاب الدولي، وتجفيف منابعه، والقضاء على بؤره، ومصادر تمويله وخلافه، خاصة أن هذه القرارات صدرت في إطار نوع من التعارض، أو الاختلاف مع ميثاق الأمم المتحدة، وبشكل خاص تعارض مع أهدافها، ومقاصدها فيما يتعلق بعلاقات

الدول مع بعضها؛ مما أثار إشكالات فقهية، وسياسية كانت البداية على تجاوز القانون الدولي الإنساني، واتفاقيات جنيف عام ١٩٤٩م ، وبروتوكولاتها الملحقة.

وترافقت الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب استفحال ظاهرة الإرهاب، والعنف في العديد من بلدان المنطقة، وعلى الرغم من ارتفاع منسوب الهاجس الأمني، واختلال معادلة الأمن سواء على الصعيد العالمي، أو الصعيد العربي والإقليمي – فإن الإرهاب استفحل عالمياً (سيف الدين عبد الفتاح، ٢٠١١، ٣٧).

وعلى أثر ذلك حاول البعض دمغ الإسلام بجريرة بعض الأعمال الإرهابية خاصة بعد أحداث سبتمبر، وكانت النزعة العدائية واضحة على لسان مسئولين كبار، مثل البابا بنيدكت؛ حيث حاول دمغ الإسلام بالعنف في محاضرة له بجامعة ألمانية، مستشهداً بواقعة أوربية حدثت في العصور القديمة. فضلاً عما أعلنه الرئيس بوش الابن بأنها حرب صليبية، وأنَّ من ليس معنا فهو مع الإرهاب، وما تلاه من نشر صور مسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم (بهاء الدين منصور ، ٢٠١٢، ٨٧).

ما أود أن أوضحه أن محاربة الإرهاب تمت بدون استراتيجية، ولا تخطيط؛ مما زاد معه الإرهاب العالمي، والشاهد على ذلك أن الإرهاب بدأ بأشخاص قليلين، وأسلحة بسيطة حتى تطورت إلى وسائل تستعمل فيها الطائرات المدنية، والأسلحة الكيميائية، والصواريخ؛ مما ألحق دماراً بشرياً، ومادياً، ونفسياً هائلاً؛ ذلك أن الولايات المتحدة بعد أحداث سبتمبر اهتزت عندها نظرية الأمن الاستراتيجي القومي، وأصبحت تتصرف مثل الذئب المجروح، وأصبحت تتصرف بردود الأفعال على المستوى الخارجي، وكان ذلك واضحاً في موقفها من الإسلام والمسلمين، وذهبت تشن الحرب على العراق، وأفغانستان خارج الشرعية الدولية.

ساهم نكوص المجتمع الدولي من إيجاد تعريف للإرهاب في المزيد من الالتباس، والإبهام، وأصبحت تدمغ المقاومة المشروعة بالإرهاب؛ وطبقاً لهذا المنطق، فإن مقاومة الفلسطينيين لاستعادة وطنهم، وحقهم – توصف بأنها إرهاب أشرار، بينما الإبادة الجماعية من جانب إسرائيل توصف بأنها إرهاب أخيار يستحق الإعجاب (صبحي محمصاني، ١٩٨٩، ٢٩).

الاعتداء على الدماء المعصومة:

الرغبةُ في التوسُّع، والبقاء، وحب الغلبة، والاستعلاء - تدعُوَان بني البشر إلى المُزاحَفَة والمُحارَبة، والتصارع والتنازل، والتسلُّح والإعداد، وما بين الشروع في العَدَاء والتعدِّي في الاستعداء فصولٌ لا تنتهي لهتك الدماء المعصومة، وإزهاقها، واستباحتها، وانتهاك كرامتها، والتجرُّؤ على حُرمتها. أما الإسلام فقد عظَّم شأن الدماء، وحرَّم قتل النفس المعصومة بغير حقٍّ؛ قال جلَّ في عُلاه: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) [الإسراء: ٣٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تُقتل نفسٌ ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ من دمها؛ لأنه أول من سنَّ القتل»؛ متفق عليه. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال المؤمن في فُسحةٍ من دينه ما لم يُصِب دمًا حرامًا» أخرجه البخاري. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (إن من ورَطَات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حِلِّه)؛ (رواه أحمد وابن ماجه عن ابن عمر: الشوكاني ٦/ ٢٠٠)

حرَّمَت الشريعةُ الإشارةَ إلى مسلمٍ بسلاحٍ أو حديدة ، سواءٌ كان جادًّا أو مازِحًا؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «لا يُشِر أحدُكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزِعُ في يده فيقع في حُفرةٍ من النار»؛ متفق عليه. وفي روايةٍ لمسلم : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنُه حتى ينزِع، وإن كان أخاه لأبيه وأمه» (الكاساني، ١٤٠٢هـ ، ٣٠٧؛ الشوكاني ٢١٢).

القتل بغير حقٍّ جريمةٌ مُزلزِلة، وخطيئةٌ مُروِّعة، سواءٌ كان المقتول من أهل المِلَّة، أم كان من أهل العهد والذِّمَّة ؛ فعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَزوال الدنيا أهونُ على الله من قتل مؤمنٍ بغير حقٍّ»؛ (رواه ابن ماجه والترمذي عن ابن عمر الشوكاني : ٦/ ١٥٩).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قتل مُعاهَدًا لم يرَحْ رائحةَ الجنة، وإن رِيحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا»؛ «من قتل قتيلاً من

أهل الذِّمَّة لم يجِد ريح الجنة». (رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة، جامع الأصول: ١٠/ ١٣٤) وأهل الذِّمَّة في ديار الإسلام لهم ذِمَّةٌ وعهدٌ وحقوق، وعليهم عهودٌ، وواجباتٌ ، وشروط، ومن أخلَّ منهم بشيءٍ من ذلك، أو فعل ما يُوجِبُ نقضَ عهده، وحِلَّ دمه وماله ، أو ما يُوجِبُ عقوبَته لم يكن لأحدٍ من الناس أن يتولَّى ذلك بنفسه، كما هو الحال في شأن المسلم إذا أتى ما يُوجِب عقوبته؛ بل مُنتهى ذلك إلى ولاة أمور المسلمين الذين لهم الإمامة العُظمى، والولاية العامة، والحكم والسلطان على ما تقتضيه مصلحة الدين والإسلام(الكاساني، ١٤٠٢هـ ، ٣٠٦).

بقدر ما نال العالمُ من التقدُّم والمعرفة بقدر ما أوغَلَ في العنف والوحشية والصِّدَام والنزاعات والعصبية والحروب، في خريطةٍ غابَ العقلُ عنها، وتلاشَت قِيَم التسامُح فيها، وتضاءَلت فرصُ التعايُش السلميّ عليها، وليس غير الشرع الحق والعدل، والعقل، والإنصاف، والحوار، وحسن الجوار طريقًا يُصار إليه كي يُلجَم التعصُّب المقيت، والتمييز البغيض، والهمجيَّة والوحشية، ويعيش الناسُ في سلامٍ وأمان، وتُحفَظ عليهم دماؤهم وأعراضُهم، وأموالُهم وأوطانهم (العقاد، ١٩٦٧، ٢٢). وتلك مسؤوليةٌ تُناطُ بالقادة والسَّاسة وأهل الكلمة والنفوذ في العالم؛ بيْدَ أن من لم يتجرَّد للحق، ولم يتعالَ على حظوظ النفس، وحب السيطرة، وفرض الهيمنة، ولم يستطع أن يكبِت آثار العداء الكامِن - فلن يُرتَجَى منه أن يُحقِّق للعالم سلامًا ، ولا للناس أمانًا (العقاد، ١٩٦٧، ٢٣).

ومصير الخلق إلى الله لا إلى العباد ، ولن يُفلِت ظالمٌ من عقاب، ولا قاتلٌ من حساب، (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [يوسف: ٢١].

إشكالات مفهوم الحكم الراشد:

من الأمور المؤكدة أن مفهوم الحكم الراشد ظل سؤالا مهما ضمن الأسئلة الأساسية، والأبدية للفكر السياسي بوجه عام، ومن ثم عبر هذا المفهوم عن ظاهرة قديمة ارتبطت بنشأة الاجتماع الإنساني من جانب، وضرورات السلطة من جانب آخر، وذلك في إطار يحدد أصول العلاقة بين الدولة والمجتمع. إلا أن المفهوم – مع قدمه – والتطورات التي طرأت عليه، ومحطات التحولات التي ارتبطت به تعبر، وتؤشر على جملة من الدواعي المتعلقة بإعادة تجديد النظر، وممارسة الاجتهاد بصدد المفهوم نفسه (الحكم الصالح

الراشد)؛ فالمفهوم يعبر عن تراكمات وطبقات، ولا شك أن هذه التصورات للمفهوم على اختلافها، وتنوعها للحكم الصالح الرشيد - ظلت تثير قضايا تتعلق بالخصوصية والعالمية ضمن تلك الخبرات المتنوعة، وضمن إسهامات لحضارات مختلفة حول هذا المفهوم، وفي القلب منها تقع الحضارة الإسلامية بمنظومة إسهاماتها الفكرية والعملية؛ فالمفهوم يشير إلى جملة من الإشكالات التي يجب التوقف عندها(محمد قطب، ١٩٦٧، ١٢).

أولاً - الإشكالات المتعلقة بترجمة مفهوم الحكم الراشد:

إن دول العالم الثالث، أو المتخلف تتلهف في تبني المفاهيم الغربية للتأكيد على أنها دول تلحق بركب الحضارة ، ومفاهيم التقدم، وتظل هذه المفاهيم مجرد زينة، وفي هذا المقام يواجه المجتمع الذي يأخذ بهذه المفاهيم من غير أدني عملية تشير إلى التبصر بمضاره، ومنافعه إشكالية الترجمة للمفهوم. فالحكم الراشد تارة ما يترجم بالحوكمة ، كالعولمة، كما تترجم بالحكامة ، وأيضاً تترجم بالحكمية، وأيضاً بالحاكمية ، فضلا عن ترجمات أخرى تشير إلى إدارة الدولة ، والمجتمع، أو الحكم الجيد، والحكم الصالح ، أو الحكم الرشيد، وفي النهاية نجد أن المصطلح ، أو المفهوم يعد من مؤشرات هيمنة ثقافة الغالب، ومنتوجاته المفاهيمية.

ومن هنا نرجح تلك المعاني التي يعبر عنها مفهوم الحكم الرشيد بأكثر من مفهوم.

ثانياً - الإشكالات التي تتعلق بحقيقة مفهوم الحكم الراشد وارتباطه بحضارة دون أخرى:

وبمعني أدق نعني ارتباطها بحضارة الغرب الذي ينتج عالم المفاهيم السائدة ، والغالبة، والمهيمنة، والذي يوزع المفاهيم على بقية المعمورة ، وفي هذا المقام لدينا مجموعة من المؤشرات كالآتي:

أ - إن مفهوم الرشد والصلاح هو من صميم الرؤية الإسلامية ، وهذه اللفظة في التاريخ الإسلامي سادت لتعبر عن حالة الحكم باسم الخلافة الراشدة ، وهي تعني في حقيقتها الحكم الرشيد.

ب- العالم الغربي ظل وقتا طويلا لا يستخدم في علومه الكلمات التي تحمل أية تضمينات قيمية ، لكنها عادت في الآونة الأخيرة لتصف عمليات يُعدُّها الغرب من

صميم العلم في هذا المقام (Governance) عملية الحكم (محمد قطب، ١٩٦٧، ٢٥).

ج- ورغم محاولة جملة الدراسات الغربية أن تعود بالمفهوم إلى حضن المادية التي شكل بها الغرب عالم معارفه؛ لربط الحكم الراشد بمجالات بعينها، مثل الاقتصاد، والشركات، وإدارة الأعمال، وهو أمر يدل على أن الغرب حتى حينما يستدعي الأمر أن يستخدم كلمات من طبيعة معنوية - فأنه لا يلبث أن يعود أدراجه بحيث يحول المفهوم إلى الدائرة المادية.

نخلص لنوضح أن الإسلام سبق الغرب في كثير من مفاهيمه، ودليلنا أن الفرق في الإدارة بين الحكم الإسلامي، والحكم العلماني هو أن التشريع في الحكم الإسلامي سبق ظهور الدولة؛ بمعنى أنه نزل الوحي قرآناً، وتشريعاً في مكة أولاً، ثم قامت الدولة في المدينة، بينما في الحكم العلماني نجد أن الدولة تسبق التشريع؛ بحيث تنال الدولة استقلالها أولاً، ويتم تكوين الهيئة التشريعية ثانياً. ومن هنا نتوصل أن التشريع في الإسلام سابق لتشريع الدولة الحديث، مع الفارق أن الأول من الله سبحانه وتعالى، والآخر من وضع البشر.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد عليه الصلاة وأتم التسليم، في خاتمة هذا البحث الذي قمنا بتأصيل مفهوم الحرب والجهاد في الحكم الراشد، توصلنا إلى عدد من النتائج، والتوصيات ،على النحو الآتي:

أولاً- النتائج:

١. إن الحكم الراشد هو الذي ينأى بالدولة في الوقوع في وهدة الحروب، وعدم الانجرار إلى فخ ما سمى بالربيع العربي؛ حيث يتضح من تسميته أنها ليست ربيعاً للعرب، وإنما ربيعا للغرب الذي خطط له، و أراد له ذلك. الحكم الراشد هو الذي يتحرز في اتخاذ قرار الجهاد (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُون) البقرة ٢١٦ .

٢. علماً أنه لا يجوز الجهاد بين أبناء الوطن الواحد على تباينهم، أو بين المسلمين، أو بين أفراد الدولة المدنية، وقرار وخيار الحرب يجب أن يكون قراراً جماعياً يتفق عليه كل مكونات الشعب، وألاَّ ينفرد به أي حزب حاكم، أو مجلس تشريعي جاء عن طريق الانتخاب، أو عن طريق غير الانتخاب.

٣. لا يوجد في القانون الدولي العام جزءٌ مقررٌ على ترك الإنذار، أو الإخطار السابق بإعلان الحرب، وكل ما هناك أن تُعدُّ الدولة مخالفة للقانون الدولي الذي يعاني من ضعف في تطبيق أحكامه؛ لعدم وجود سلطة تحمي قواعده، ومبادئه.

٤. الشرع الإسلامي سابق لقواعد القانون الدولي العام فيما يتعلق بأحكام الحرب.

٥. إنَّ الأحادية التي انفردت بها الولايات المتحدة بعد انهيار التوازن الدولي -يحمل الولايات المتحدة مسئولية كبيرة تجاه العالم، وكذا الأمم المتحدة، وإلا فإن أي تفريط في الدور القيادي للولايات المتحدة، والأمم المتحدة - ينذر العالم بحرب عالمية ثالثة متوقعة لا تتمكن فيها الأحادية من أحكام السيطرة عليها؛ لأن الشر قد أخذ مكانه في نفوس الكثير من الناس على كافة المستويات؛ بسبب الظلم، والغبن، وقد عم الخراب في نفوس البشر، وضمائرهم؛ فلا إيمان بالله، وباليوم الآخر، ولا بالرسل، والكتب السماوية، ولا رادع، ولا وازع، ومن أمن العقاب أساء الأدب.

٦. أسير الحرب كنتاج للحرب، والجهاد - ينظم الوضع القانوني له المادة (٤) من اتفاقية جنيف الثالثة ١٩٤٩م المتعلقة بأسرى الحرب والمادتين (٤٤، ٤٣) من البروتوكول الأول ١٩٧٧م.

٧. ليس للجاسوس، أو المرتزق الحق في التمتع بوضع أسير الحرب. ولا يُعدُّ جاسوساً إلا من يعمل تحت ذرائع خادعة، أو بطريقة سرية متعمدة. كما لا يُعدُّ جاسوساً الشخص العسكري الذي يرتدي زياً موحداً.

٨. الحكم الراشد له أساس في العقيدة، والشريعة الإسلامية، ومارسوها حكاماً ومحكومين في فترة الخلفاء الراشدين، وتتمثل أبعاد الحكم الرشيد في سيادة

القانون، والشفافية، والاستجابة، والمشاركة، والإنصاف، والفعالية، والكفاءة، والمساءلة، والرؤية الاستراتيجية.

٩. بالنسبة للعلاقات القائمة بين الدول المرتبطة بـ (اتفاقية لاهاي) المتعلقة بقوانين وعادات الحرب البرية ، سواء المعقودة في ٢٩ تموز/ يوليو ١٨٩٩م ، أو المعقودة في ١٨ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٠٧م ، والتي تشترك في هذه الاتفاقية تكمل هذه الاتفاقية الفصل الثاني من اللائحة الملحقة بـ (اتفاقيتي لاهاي) المذكورين.

١٠. العرف الدولي قديماً كان يجوز قتل الأسير، أو تقديمهم قرابين للآلهة ، ثم صاروا يستعبدون ، ويتخذون رقيقاً للبيع والشراء.

١١. تعاليم الدين المسيحي بدأ في افتداء الأسير مقابل فدية من المال كانت تدفع أولاً للشخص الذي أخذ الأسير ، وليس للدولة ، وتطورت إلى أن أصبح دولة الأسيرهي التي تقوم بدفع الفدية لا الأسير نفسه ، أما تعاليم الدين الإسلامي فأخذت بالاثنين بالمن والفداء معا ؛ قال تعالى (فَإِمَّا مَنًّا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً). [محمد ، ٤]

ثانياً- التوصيات:

أولاً- نوصي بنشر اتفاقيات جنيف ١٩٤٩م الأربعة على أوسع نطاق في وقت السلم والحرب. كما نوصي بأن تدرج دراستها ضمن برامج التعليم الأكاديمي في الجامعات المختلفة ، وكذلك ضمن برامج التعليم العسكري ، سواء في الكلية الحربية وكلية الشرطة والقانون ، وكلية القادة والأركان ، وأكاديمية الشرطة ، ومدارس تخريج الدفعات في كل من الشرطة والقوات المسلحة، بحيث تصبح المبادئ التي تتضمنها معروفة لمجموع القوات النظامية والسكان.

ثانياً- نوصي بحل الإشكالات التي تتعلق بحقيقة المفهوم وارتباطه بحضارة دون أخرى ؛ فالرشد والصلاح هو من صميم الرؤية الإنسانية ، وهي سادت لتعبر عن حالة الحكم باسم الخلافة الراشدة. كما نوصي بحل الإشكالات المتعلقة بترجمة مفهوم الحكم الراشد.

ثالثاً- أن عالم بلا حروب غير متصور ، ويبدو ذلك أنه أمر بعيد المنال ، بل وحلم من أحلام الخيال، وفي المقابل حروب بلا أثار غير متصور على الإطلاق، والدراسة توصي الدول بأن تكون جاهزة لدرء آثار الحروب.

رابعاً- إن مساواة الأسير بفرد القوات المسلحة في الدولة الآسرة، طبقاً للقانون الدولي العام ، واتفاقية أسرى الحرب - فيه إجحاف ؛ الشيء الذي جعلت الولايات المتحدة بعد أسرى القاعدة وطالبان في (جونتانامو) أن تصرح بأن امتيازات أسرى الحرب، طبقاً لاتفاقيات جنيف ١٩٤٩م ، يعطي الأسير امتيازات تفوق ما لدى المواطن الأمريكي، وعدوا المحجوزين في كوبا مجرمين سيقدمون لمحاكمات ، وهم ليسوا أسرى حرب ، لذا نوصي بمراجعة الاتفاقية الدولية.

خامساً- السياسة ضربان: أحدهما : سياسة الإنسان نفسه ، وبدنه ، وما يختص به، والثاني: سياسة غيره من رعيته وأهل بلده. وهنا نأخذ ونوصي بأنه لا يصلح لسياسة غيره من لا يصلح لسياسة نفسه؛ وذلك لاستحالة أن يهتدي المسوس مع كون السائس ضالاً.

سادساً - نوصي ببناء رؤية تأصيلية لحقوق الإنسان من منظور مقاصدي بما يحقق تفعيله، وتشغيله ضمن منظومة الحكم الراشد.

سابعاً- ونوصي للبحث في الدروس المستفادة من نموذج الخليفة عمر بن عبد العزيز ، من خلال الكشف عن واقعه التاريخي ، ومتغيراته ؛ مما يخلق الترابط بين الخبرة ودلالاتها ، وبذلك يمكن لهذا النموذج أن يسهم في تقديم رؤية للإصلاح السياسي للبلدان الإسلامية. فضلاً عن نموذج تجربة الدكتور مهاتير محمد في ماليزيا في العصر الحديث ، وكيف أنه صرف مبالغ طائلة على البحث العلمي ، والتي نهضت به ماليزيا.

سادساً- يجب الصرف على البحث العلمي بنسبة من الميزانية السنوية للدولة ؛ للوصول إلى الحكم الراشد ، والابتعاد عن الحروب ، والوصول للدولة المدنية ؛ لتصبح أنموذجاً في التخطيط العلمي ، والحضري.

المصادروالمراجع

* القران الكريم.

١. الفاضل دولان، أسرى الحرب في التشريع الإسلامي، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٨م .

٢. بهاء الدين منصور، الحكم الرشيد من منظور إسلامي دار النشر، الإسكندرية، ٢٠١٢ م.

٣. .وهبه الزحيلي ، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ط١، مطبعة بغداد، ١٩٨٦م،

٤. حامد سلطان ، القانون الدولي العام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م

٥. علي علي منصور، الشريعة والقانون الدولي، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.

٦. عبد الواحد محمد يوسف ، أسرى الحرب في القانون الدولي، القاهرة، ١٩٩٦م.

٧. عباس محمود العقاد، ما يقال عن الإسلام، دار الأهرام، القاهرة، ١٩٦٧م.

٨. محمد قطب، شبهات حول الإسلام، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٨م.

٩. صبحي محمصاني ، القانون والعلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م.

١٠. سيف الدين عبد الفتاح، الحكم الرشيد، المعهد العالي للفكر الإسلامي، عمان، ٢٠١١م.

١١. شارلز روسو، القانون الدولي، ترجمة مكرم عبيد، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م .

١٢. علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، بيروت، ١٤٠٢هـ.

١٣. ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الكتب الحديثة، القاهرة ، ١٤٠٩هـ

الإصدارات والاتفاقيات :

١- اتفاقيات جنيف المؤرخة في ١٢ اب / أغسطس ١٩٤٩م ، إصدارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، ط٤ ،١٩٩٨م ، سويسرا.

٢- البروتوكولات الإضافية إلى اتفاقية جنيف المؤرخة ١٩٤٩م ، إصدارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر.
٣- القواعد الأساسية في اتفاقية جنيف، إصدارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، جنيف ، ١٩٩٨م.
٤- القواعد الأساسية لاتفاقيات جنيف وبروتوكولها الإضافيين، إصدار اللجنة الدولية للصليب الأحمر، جنيف، ١٩٧٨م.
٥- قواعد السلوك أثناء الحرب، إصدارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

إفادة المناسبة للعلية عند الأصوليين

د .أشرف إبراهيم عبد الله إبراهيم
أستاذ الشريعة والقانون المساعد– جامعة دنقلا

المستخلص:
هدفت الدراسة لتُبين أنّ المناسبة من أهم وأدق مسالك العلة العقلية (المستنبطة) عند الأُصوليين، وأنّها نواة المقاصد وأساسها، وأنها الوسيلة لانضباط صلاحية الحكم الشرعي وتحقيقه، أي أن يكون بين الحكم والوصف ملائمةٌ ومناسبةٌ، يترتب على تشريع الحكم عندها تحقيق مصلحة مقصودة للشارع من جلب منفعة، أو دفع مفسدة؛ فمثلاً القصاص من الجاني مناسبٌ لجنايته، وهي القتل، والمقصد الشرعي من القصاص إنّما هو الزجر، وحفظ النفوس، وهكذا في بقية الأحكام.

المقدمة:
تُعدُّ المناسبة طريقة من طرق إثبات العلة عند الأصوليين .وتُسمى بالإخالة، بمعنى ظن، وقد سميت مناسبة الوصف بالإخالة؛ لأنه بالنظر إلى ذاتها يُخال، أي يُظن علية الوصف للحكم، ويُسمى استخراج العلة بالمناسبة بتخريج المناط؛ لما فيه من ابتداء ما عُلّق عليه الحكم، وهو تعيين علة الأصل بإبداء المناسبة في ذات الوصف، أي أن يكون الأصل مشتملاً على مناسب للحكم، فيحكُم المجتهد بوجود تلك المناسبة، أي أنّ ذلك الوصف هو علة للحُكم .

تعريف المناسبة في اللغة :
المناسبة في اللغة من (نَسَبَ)، والنون والسين والباء كلمة واحدة ، قياسها اتصال شيء بشيء، (ابن فارس:١٩٧٩م: ٣٢٤) ، ويُقال : هذا الشيء مناسبٌ لهذا، أي:ملائمٌ له، وهذا يُناسب هذا:أي يُقاربه شبهاً (الفيومي، :١٩٠٦، ٢).

تعريف المناسبة في الاصطلاح:
تعددت عبارات الأصوليين وتنوعت في تعريف المناسبة في الاصطلاح ؛ فمن أهمها ما يأتي:

التعريف الأول :

المناسب هو: الملائم لأفعال العقلاء في العادات، (الزركشي : ٢٠٠٧م : ١٨٦) ، وإلى هذا التعريف ذهب من لم يُعلل أفعال الله سبحانه وتعالى بالغرض، ومعناه ما يكون قصد العقلاء في فعله موافقٌ لما جرت به العادة في مثله، كأن يُقال الثوب الأبيض مناسبٌ لصلاة الجمعة، أي ملائمٌ لها، أي كونهما متلائمين متناسبين.

التعريف الثاني :

وهو تعريف الإمام ابن الحاجب ، فقد عرف المناسب الذي يصلح أن يكون علة للحكم بقوله : هو وصف ظاهر منضبط يحصل عقلاً من ترتيب الحكم عليه، ما يصلح أن يكون مقصوداً من جلب منفعة ، أو دفع مضرة (الأيجي :١٩٧٣م: ٢٣٩).

شرح التعريف :

الوصف: هو المعنى القائم بالغير، وهو جنس يدخُل فيه الظاهر والخفي، والمنضبط، والمضطرب.

الظاهر: ومعناه الواضح الذي لا خفاء فيه ، ويدرك بحاسة من الحواس الظاهرة ؛ لأن العلة هي المعرفة للحكم في الفرع ، وهو قيد لإخراج الوصف الخفي، كالرضا في البيع مثلاً، فلا يُعدُّ مناسباً ؛ لأنه أمرٌ خفي، وإنّما المناسب الإيجاب والقبول لاشتمالهما على الرضا ، ومن الأوصاف الظاهرة التي تصلُح أن تكون علة لحكم ، كالإسكار كعلة تحريم الخمر ؛ وذلك لأن الإسكار يُدرك بالحس في الخم ، وكذلك الصغر يصلُح علة لثبوت الولاية على الصغيرة في مالها، فيُقاس عليه ثبوت الولاية عليها في نكاحها ؛ لأن الصغر أمرٌ يدرك بالحس ، وأما إذا كان الوصف خفياً فلا يصح التعليل به ؛ وذلك لأنه لا يُمكن من التحقق من وجوده أو عدمه ؛ ولأنّ الخفاء يمنع التعريف بالحكم ،(آل تيمية، ٢٠٠٧، ٤٠٥).

المنضبط : وهو أن تكون له حقيقة معينة يمكن من التحقق من وجودها في الفرع، ومساواته للأصل ؛ لأن أساس القياس هو مساواة الفرع للأصل في علة حكم الأصل، وهذا التساوي يستلزم أن يكون الوصف منضبطاً محدداً، بحيث لا يختلف باختلاف الأشخاص، والأزمان، والأحوال ، والأمكنة ، والكثرة والقلة ، وهو قيد لإخراج

الوصف المضطرب، كالمشقة مثلاً: فلا تُعدُّ وصفاً مناسباً لقصر الصلاة في السفر لاختلافها باختلاف الأشخاص والأحوال ؛ فقد يُعد الأمر مشقة عند بعض الناس، ولا يُعد كذلك عند البعض الآخر، فالشاب لا يناله مشقة في السفر مثلما يتعرض له شيخ كبير السن ، وقد يكون الشيء شاقاً في زمن دون زمن ، فالمشقة في زمن الصيف أشد منها في زمن الشتاء، وقد تكون المشقة حاصلة في مكان دون آخر، فالسفر في السهول والوديان أقل مشقةً منه في الجبال ؛ ولهذا كُله أناط الشارع قصر الصلاة ، وإباحة الفطر في رمضان بالسفر مدة مُعينة لانضباطه، ولم ينط الرخصة بالمشقة لعدم انضباطه، (الزحيلي:٢٠٠٦م: ٦٤٣-٦٤٤).

يحصُل عقلاً: قيد لإخراج الوصف الطردي، وهو الوصف المقارن للحكم، الذي لا مناسبة بينه وبين الحكم ؛ فإنّ العقل لا يقضي بوجود مصلحة ، أو دفع مفسدة في شرع الحكم عنده، كقول النبي صلى الله عليه وسلم لّما سُئل عن الهرة، إنها من الطوافين عليكم والطوافات، (ابن الأشعث:١٩٨٣: ٨، ح ٧٥)، فإنّ الشارع لّما علل طهارة سؤرها لم يلتفت إلى وصفها الطردي كالبياض والسواد، وإنّما أومأ إلى التعليل بذكر وصف الطواف.

من ترتيب الحكم عليه ما يصلُح أن يكون مقصوداً: وهو قيد رابع يخرج به الوصف الشبهي ، وهو الوصف الذي لم تظهر مناسبته للحكم بعد البحث التام، ولكن عهد من الشارع الالتفات إليه في بعض الأحكام ، مثال ذلك قول الشافعي في إزالة النجاسة: طهارة تُراد لأجل الصلاة ، فلا تجوز بغير الماء كطهارة الحدث، فإنّ الجامع هو الطهارة ، ومناسبتها لتعيين الماء بعد البحث التام غير ظاهرة، وبالنظر إلى كون الشارع اعتبرها في بعض الأحكام كمس المصحف والصلاة ؛ فذلك يوهم اشتمالهما على المناسبة(الكوراني:٢٠٠٧ :٥١٢-٥١٣)

جلب منفعة أو دفع مفسدة : وهو ما يصلح أن يكون مقصوداً للعقلاء من شرع الحكم، إما جلب منفعة ، أي مصلحة ، أو دفع مفسدة ، أي مضرة . (الزحيلي:٢٠٠٦، ٦٤٤).

التعريف الثالث :

المناسبة : ما يجلب للإنسان نفعاً ، أو يدفع عنه ضرراً، (الباجي:١٩٧٨: ٥٩) وهو ما يخص مقاصد التشريع الخمسة، كحفظ النفس بإيجاب القصاص، والدين بشرع الجهاد، والعقل بالزجر عن المسكرات ، والمال بإيجاب الضمان على المعتدي، والنسب بالحد عن الزنا.

شرح التعريف :

ما: جنس في التعريف والمراد بها الوصف لا الحكم ؛ لأنّ المناسب من قبيل الأوصاف والعلل ، لا من قبيل الأحكام.

يجلب : أي يسوق بواسطة شرع الحكم عنده.

النفع : أي اللذة ، وقدماتها.

دفع المضرة : أي منع الألم وما يوصل إليه .

التعريف المختار :

ويرى الباحث أن تعريف ابن الحاجب للمناسبة ، وهو : الوصف الظاهر المنضبط الذي يحصل عقلاً من ترتيب الحكم عليه ما يصح أن يكون مقصوداً من حصول مصلحة أو دفع مفسدة ، (الأيجي:١٩٧٣: ٢٣٩) – هو الأنسب والأكمل ؛ وذلك للآتي :

- ❖ لأنه بمعنى أن يكون بين الوصف والحكم ملائمة ، بحيث يترتب على تشريع الحكم عنده تحقيق مصلحة مقصودة للشارع ، من جلب منفعة ، أو دفع مفسدة عنهم.
- ❖ صلاحية المناسب لما يترتب عليه من الأحكام قد يُدركها العقل قبل ورود الشرع ، ولذلك حرّم بعض رجال العرب الخمر قبل ورود الشرع بتحريمها ؛ لأنّ عقله أدرك قبح زوال العقل ، وما يلزم عليه من القبائح ، فحرمها على نفسه ، ومنهم قيس بن عاصم المنقري، (الزركلي:١٩٨٧ : ٥٧)، فإنه شرب الخمر ذات مرة وأراد الوقوع على محارمه، فلمّا أفاق ذُكر له ذلك فحرم الخمر على نفسه، وقال :

رأيت الخمر صالحةً وفيها خصالٌ تُفسد الرجُل الحليما

فلا والله أشربها صحيحاً ولا أُشـــفي بـــها أبـــداً سقيما
ولا أُعطي بها ثمناً حياتي ولا أدعـــوا لها أبـــداً نـديـما
لأنّ الخمر تفضحُ شاربيها وتجنـيهـم بـــها الأمـــر العظيما

فقوله : لأنّ الخمر تفضحُ شاربيها ، دليلٌ على أنّه أدرك بعقله مناسبة الإسكار للتحريم كما لا يخفى، (الشنقيطي:٢٠٠٠: ٢٥٤-٢٥٥).

أهمية المناسبة :

للمناسبة أهمية بالغة في باب القياس عند الأصوليين، وليس أدلّ على ذلك من :

- ❖ تعدد مسمياتها فإنّ كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، فهي تسمى بالإخالة ، والمصلحة ، والاستدلال، ورعاية المقاصد، والمؤذن بالحكم والمُشعر به.
- ❖ قول العلامة الزركشي: المناسبة هي عمدة كتاب القياس وغمرتُه ، ومحل غُموضه و وضوحه، وهو تعيين العلة بمجرد إبداء المناسبة (الزركشي:٢٠٠٧: ١٨٦).
- ❖ تمسُّك الصحابة رضوان الله عليهم بها ؛ فإنهم يُلحقون غير المنصوص بالمنصوص، إذا غلب على ظنِّهم أنّه يُضاهيه لمعنى أو يُشبهه (الزركشي:٢٠٠٧: ١٨٦).

تطبيقات فقهية لما بين الوصف والحكم من مناسبة:

فيما يأتي بعض الأمثلة الفقهية التطبيقية الموضحة لما بين الوصف والحكم من مناسبة :

- ❖ قصر الصلاة في السفر:(العلة:السفر، والحكمة من القصر في السفر: المشقة ونفي الحرج عن الأُمة، بينما المناسبة: أنّ وجود المشقة في السفر، مناسبٌ لترتيب الحكم عليه، وهو جواز القصر في السفر، فتبين أنّ السفر وصف ظاهر منضبط لا اضطراب فيه، يحصل عقلاً من ترتيب الحكم عليه، وهو جواز القصر، ومصلحة وهو التخفيف على الأُمة، وتحصيل العبادة، ودفع مفسدة وهو الحرج والمشقة.

- سقوط الصلاة عن الحائض: (العلة: وجود دم الحيض ، أما الحكمة : أنّ اجتماع الحيض والصلاة يُضعف البدن، بينما المناسبة : أنّ في إيقاع الصلاة من الحائض ، أو قضائها لها نوع مشقةٍ مناسبٌ لإسقاط الصلاة عنها.
- إعتاق رقبة لمن جامع في نهار رمضان:(العلة: هي الوقاع المتعمد ، بينما الحكمة منها: تعويد الصائم على الصبر ، وعتق الرقاب، بينما المناسبة: أنّ الجماع المتعمد في نهار رمضان مع ما يحمله الصوم من معاني الصبر ، والإخلاص في العبادة مناسبٌ للكفارة، وذلك لأنّ المقصد الشرعي من الصوم هو تحقيق معاني الصوم من صبر وتجرد للعبادة.
- سفر المرأة بدون محرم : (فالعلة : سد ذريعة الفساد، بينما الحكم من منع سفرها بغير محرم كثيرة منها : صيانة المرأة ودرء الفتنة عنها، وضمان عدم تعرُضها لما يخدش عرضها ، أو يُمتهن كرامتها، وليس أساس هذا الحكم سوء الظن بالمرأة وأخلاقها ، ولكنه احتياطٌ لسُمعتها وكرامتها، وحمايةٌ لها من طمع الذين في قلوبهم مرض، بينما المناسبة: أنّ طبيعة المرأة الضعيفة وكونها مظنة الطمع وصفٌ مناسبٌ لتحريم سفرها من غير محرم .
- تحريم ربا النسيئة: (فالعلة: هي مبادلة ثمن بثمن مؤجلاً مع الزيادة، بينما الحكمة: أنه ضبط للتعامل النقدي، وسببٌ من أسباب استقرار قيمة العملة، بينما المناسبة: أنّها جشعٌ وطمع، وهذه الأوصاف مناسبةٌ لتحريم أكل المال بالباطل .
- تحريم الخمر:(العلة: الشُرب المُفضي للإسكار، بينما الحكمة من تحريم الخمر كثيرة منها: حفظ العقول، وحفظ المال، وسد باب المعصية والرزيلة، بينما المناسبة: أنّ ما يترتب على شرب الخمر من مفاسد مناسبٌ لتحريمها .
- وجوب قطع يد السارق:(العلة: هي السرقة، بينما الحكمة: حفظ المال، وردع السارقين، وتأمين الحقوق وحفظها، وبعث الأمن في المجتمع، بينما المناسبة: أنّ اختصاص القطع باليد التي سرقت مالاً بالغاً النصاب وصفٌ مناسبٌ لقطعها، فتبين أن السرقة وصفٌ ظاهرٌ لا خفاء فيه، ومنضبطٌ لا اضطراب فيه ، يحصل

عقلاً من ترتيب الحكم عليه ، وهو وجوب قطع يد السارق الذي سرق مالاً بالغاً النصاب ، وجلب مصلحة ، وهو حفظ المال والتحفيز على العمل المشروع ، ودفع مفسدة ، وهو الاعتداء على أموال الناس وأكلها الباطل .

- ❖ قتل الجماعة بالواحد: (العلة: القتل العمد العدوان، بينما الحكمة: سد ذريعة الفرار من القصاص بشُبهة الاشتراك في القتل، وزجر الناس كي لا يُقدموا على القتل الجماعي، بينما المناسبة : أنّ القتل العمد العدوان وصف مناسب لتطبيق القصاص ، فتبين أنّ القتل العمد العدوان وصف ظاهر منضبط لا خفاء فيه، ومنضبط لا اضطراب فيه ، يحصل عقلاً من ترتيب الحكم عليه الذي هو وجوب القصاص، ومصلحة ، وهو حفظ النفوس ، وزجر الناس، ودفع مفسدة ، وهو الاعتداء على النفوس.

هل كل مناسبة تُفيد العلية؟ :

اختلف علماء الأصول في إفادة كل مناسبة للعلية ، أو لا على رأيين هما :

الرأي الأول : وهو رأي الحنفية والشافعية ؛ فقالوا: لا تكون المناسبة دالة على العلية إلا إذا اعتبرها الشارع بنص أو إجماع، كالمناسبات التي اعتبرها الشارع لحفظ المقاصد الكلية الضرورية الخمسة(الغزالي: ٢٠٠٩: ٢٣٩).

الرأي الثاني : وهو رأي المالكية والحنابلة ؛ فقالوا: لا يُشترط اعتبار الشارع للمناسبة بنصٍ ولا إجماع، حتى تكون مفيدة للعلية، وإنّما يكفي مجرد إبداء المناسبة بين الحكم والوصف، مُجرداً عن الدليل الذي يُثبت هذه المناسبة . (ابن قُدامة : ١٩٩٣: ٤٧١)

ثمرة الخلاف :

وهذا الخلاف من إفادة كل مناسبة للعلية أو عدمه ، نشأ عنه تقسيم المناسب باعتبارات عديدة إلى عُدة أقسام ، (الآمدي:٢٠١٠: ٢٢٨؛ الأسنوي:٢٠٠٩: ١٠٥؛ الزركشي:٢٠٠٧: ١٩٣-١٩٤، الشوكاني:٢٠٠٠: ٨٩٩-٩٠٠).

أقسام المناسب:

والمناسب ينقسم باعتبارات إلى أقسام، وقد اضطربت تقاسيم الأصوليين في المناسب فأحببت أن أُفرد كل تقسيم باعتبار، فتحصل عندئذ خمسة اعتبارات، ثُم أعقبتها بالجمع، إذ هي في الحقيقة لا تُقاسم بعضها، وإنّما هي تتبارى بالفعل.

القسم الأول : تقسيم المناسب من حيث النظر بالنسبة إلى المقاصد التي شُرعت لها الأحكام :

ينقسم المناسب من حيث النظر بالنسبة إلى المقاصد التي شُرعت لها الأحكام إلى قسمين هما، حقيقي، وإقناعي (الزركشي : ٢٠٠٧:١٩٣-١٩٤؛ الشوكاني:٢٠٠١، ٩٠٤؛ ابن النجار : ١٩٩٧: ١٥٩).

المناسب الحقيقي : فيُراد به المناسب الذي لم يظهر بعد البحث عنه والتأمل فيه، أنه غير مناسب، والمناسب الحقيقي ينقسم إلى ما هو واقعٌ محل الضرورة، ومحل الحاجة ، ومحل التحسين، (الكوراني:٢٠٠٧: ٥٠٦).

الأول- الضروري:

وهو المناسب الذي تضمن حفظ مقصود من المقاصد الخمس ، التي لم تختلف فيها الشرائع؛ بل الشرائع مطبقةٌ على حفظها، وهي :

أ - حفظ الدين :

حفظ الدين أُنيط بالحاكم المسلم، وجُعل من واجباته، ويلزمه حفظ الدين على أُصوله، وما أجمع عليه سلف الأُمة (الماوردي : ٢٠٠٠: ١٦-١٧) ، وقد شرع الله سبحانه وتعالى ما يحفظ به الدين من قتال الكفار ، والمرتدين والمحاربين، ووضع قيود وضوابط على الذميين في أن يكون أمنُهم ، وتعايُشهم مع المسلمين مشروطاً بعدم قيامهم بأي عمل يمس الدين كما قال الله عز وجل: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ التوبة:٢٩ ، وقال صلى الله عليه وسلم :أُمرتُ أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا

الله، وأنّ محمداً رسول الله، ويُقيموا الصلاة، ويُؤتوا الزكاة، البخاري:حديث رقم١٣٩٩، ومسلم: حديث رقم٢٠، وابن ماجة: برقم٧١، وأبي داود: برقم١٥٥٦، والترمذي: برقم٢٦٠٦، وهو حديث متواتر. وقال صلى الله عليه وسلم:من بدّل دينه فاقتلوه، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله ، ص٦٣٥، حديث رقم٣٠١٦ .

ب -حفظ النفس:

فقد شرع الله سبحانه وتعالى لها ما يحفظها ، كمشروعية القصاص، كما قال تعالى :(وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ) البقرة:١٧٩ ، وقال تعالى: (وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) المائدة:٤، فإنه لولا مشروعية القصاص لتهارج الخلق واختل نظام الحياة(الزركشي:٢٠٠٧: ١٨٨).

ج -حفظ العقل:

فحفظه بتحريم المسكرات، وبمشروعية الحد على من شرب المسكر؛ وذلك لأنّ العقل قوام كل فعل تتعلق به مصلحة، فاختلاله مؤدٍ إلى مفسدةٍ عُظمى، قال تعالى:(إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ) المائدة:٩١ ، وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ) المائدة:٩٠، وقال صلى الله عليه وسلم :كُل مُسكرٍ خمر وكُل خمرٍ حرام، مسلم:كتاب الأشربة ، باب كُل مُسكرٍ خمر وكُل خمرٍ حرام،حديث رقم٢٠٠٣.

د -حفظ النسل :

بتحريم الزنا وإيجاب الحد على الزاني، كما قال تعالى: (ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ) النور:٢ . والسُنة العملية التطبيقية تشهد لذلك فقد جلد النبي صلى الله عليه وسلم ورجم .

هـ -حفظ المال :

وذلك بتحريم الغصب والسرقة كما قال تعالى: (وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ) المائدة:٣٨ وقال تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) البقرة:١٨٨، وقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : إنّ أموالكم عليكم حرام، البخاري: كتاب الحج : باب الخُطبة أيام منى،٣٦٤،حديث رقم١٧٣٩. ومن طرق حفظ المال إيجاب الضمان على المعتدي، وإحلال البيع وتحريم الربا، فقال تعالى: (ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ) البقرة:٢٧٥ ، وقد زاد بعض المتأخرين حفظ العِرض (بكسر العين) الذي هو النفس، وجانب الرجل الذي يصونه من نفسه، وحسبه أن يُنتقص ويُثلب، وسواء كان نفسه، أو سلفه ، أو من يلزمه أمره مما هو موضع المدح والذم، أو ما يُفتخر به من حسبٍ وشرف، وقد يُراد به الآباء والأجداد والخليقة المحمودة إلى غير ذلك من المعاني، (الشنقيطي: ١٩٨٨:١٧٨) ، وأما حفظ العِرض فبحد القذف، وذلك لما جاء عن النبي صلى الله عليه

وسلم: إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، (البخاري: كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ص٣٦٤، حديث رقم١٧٣٩). وقال الإمام الزركشي كلاماً بديعاً في حفظ الأعراض فقال: إنّ عادة العُقلاء من الناس بذل نُفوسهم، وأموالهم دون أعراضهم، وهذا يدل على أنّ حفظ العرض ضروري، لأنّ فداؤه بما هو ضروري من النفس، والمال يجعله ضرورياً من باب أولى، ولذا فإنّا نجد الشارع قد تكفل بحفظ الأعراض، وشرع الحد بالقذف، وهو أحق بالحفظ من غيره، فإنّ الإنسان قد يتجاوز عمّن جنى على نفسه وماله، ولا يكاد أحدٌ يتجاوز عن الجناية على عِرضه(الزركشي: ٢٠٠٧: ١٨٩-١٩٠).

الثاني:الحاجي:

وهو الذي لا يكون في محل الضرورة، بل في محل الحاجة ، قال الشاطبي: أمّا الحاجيات، فإنّه يُفتقر إليه من حيثُ التوسعة، ودفع الضيق، المُؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة، اللاحقة بفوات المطلوب، فإذا لم تُراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة، ولكنّه لا يبلُغ مبلغ الفساد الواقع أو المُتوقع من فوت الضروريات، وهي جارية في العبادات، كالرُخص المخففة بالنسبة إلى لُحوق المشقة بالسفر والمرض، وفي العادات كإباحة الصيد والتمتع بالطيبات مما هو حلال مأكلاً، ومشرباً، وملبساً، ومسكناً، ومركباً وما أشبه ذلك، وفي المعاملات كالقرض، والمساقاة، والسلم، وفي الجنايات كالحُكم بالجراحات، والقسامة، وضرب الدية على العاقلة، وتضمين الصُنّاع، وغير ذلك(الشاطبي: ٢٠٠٣: ٨).

الثالث:التحسيني :

وهو ما ليس ضرورياً ولا حاجياً، ولكنّه في محل التحسين، وهو كما قال الشاطبي: الأخذ بما يُليق من محاسن العادات، وتجنُب الأحوال المُدنسات، التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق، (الشاطبي:٢٠٠٣: ٩) وقال الغزالي :التحسيني هو ما لا يرجع إلى ضرورة ولا حاجة، ولكن يقع موقع التحسين، والتزيين، والتوسعة، والتيسير للمزايا والمراتب، ورعاية أحسن المناهج في العبادات، والمعاملات، والحمل على مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، (الغزالي:١٩٧١: ١٦٩).

المناسب الإقناعي: وهو القسم الثاني من أقسام المناسب نظراً إلى المقاصد التي شُرعت لها الأحكام، وهو الذي يظهر منه في بادئ الأمر أنّه مناسب، ولكن إذا بُحث عنه حق البحث ظهر أنه غير مناسب، (الزركشي:٢٠٠٧: ١٩٢)، ومثّل علماء الأصول للمناسب الإقناعي : بعدم جواز بيع الكلب وسائر النجاسات ، وقاسوا ذلك على تحريم بيع الخمر والميتة، والعلة في ذلك النجاسة في كُلٍ، وذلك كون الشيء نجساً يُناسب إذلاله، والقول بجواز بيعه إعزازٌ له من حيث أنّ بيعه يعني مقابلته بالمال . (الزركشي:٢٠٠٧:١٩٢).

القسم الثاني: تقسيم المناسب بحسب شهادة الشرع له بالاعتبار، أو عدمه : ينقسم المناسب بحسب شهادة الشرع له بالاعتبار، أو عدمه إلى ثلاثة أقسام، (الآمدي:٢٠١٠: ٢٢٣؛ الشوكاني:٢٠٠٠: ٩٠٤؛ الأسنوي:٢٠٠٩: ١٠٥؛ الزركشي:٢٠٠٧: ١٩٣-١٩٤).

أولا - المناسب الملغي :

وهو الوصف الذي يظهر للمجتهد أنه محقق للمصلحة، ولكن ورد في الشرع ما يدل على عدم اعتبار هذا الوصف، وهذا القسم مُتفقٌ على عدم اعتباره عند الأصوليين، الآمدي:٢٠١٠: ٢٢٣-٢٢٤؛ الشنقيطي:١٩٨٨: ١٨٨؛ الأيجي:١٩٧٣: ٢٤٣).

ومثاله : اشتراك الابن والبنت في البنوة للمتوفى ، فهو وصف مناسبٌ لتساويهما في الإرث، ولكن الشرع الحكيم ألغى هذا الوصف بالنص على أنّ للذكر مثل حظ الأُنثيين، كما قال تعالى: (يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ) النساء.11، ومثاله أيضاً: أنّ عقد الزواج يُعدُّ وصفاً مناسباً لتمليك كل من الزوجين حق الطلاق؛ لأنّه تعاقد بين الطرفين بالرضا، وما يثبُت لأحد المتعاقدين يثبُت للآخر، ولكن هذا الوصف ألغاه الشارع بقوله صلى الله عليه وسلم: الطلاق لمن أخذ بالساق، (القزويني: كتاب الطلاق: باب طلاق العبد، ص١٣٠، حديث رقم٢٠٨١، وهو حديث ضعيف.

ومثاله أيضاً: ما روي من إنكار العلماء على يحي بن يحي الليثي تلميذ الإمام مالك، فتواه لملك الأندلس عبد الرحمن بن الحكم الأموي، الذي واقع جاريةً له في نهار رمضان،

بأنّه يجب عليه صيام شهرين متتابعين، لما فيه من المشقة التي يتحقق بها الزجر، دون العتق لسُهولته عليه؛ لأنّه غنياً، فهذا الوصف ملغي؛ لأنّه مخالفٌ لنص الشارع في كفارة الوقاع، فقد ثبت في الصحيحين: أنّ رجُلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: هلكتُ، فقال: وما أهلكك؟ ؛ فقال: وقعت على امرأتي في نهار رمضان، فقال صلى الله عليه وسلم: هل تجد ما تعتق به رقبة؟، قال: لا، فقال صلى الله عليه وسلم: هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال:هل تجد ما تُطعم به ستين مسكيناً، قال: لا، ثُمّ جلس؛ فأُتي النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر، فقال: تصدق بهذا، فقال: على أفقر مني فو الله ما بين لابتيها أهلُ بيتٍ أحوج إليه منّا، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه، ثُمّ قال: أذهب فأطعمه أهلك (البخاري:كتاب الصوم : باب إذا جامع في نهار رمضان ، ص٤٠٣، حديث رقم١٩٣٦)، وهو متفقٌ عليه. فالوصف الذي ذكره المفتي يحي بن يحي الليثي في الواقعة المذكورة ، وصفٌ ملغي ؛ وذلك لأنّ الشارع أوجب الكفارة مرتبة من غير فصل بين المكلفين، دون النظر إلى الغني والفقير، فكان الوصف المخالف لذلك باطلاً.

فالكفارة تجب كما هي مُرتبة في الحديث، فيجب العتق أولاً، فإن لم يستطع صام شهرين متتابعين، فإذا لم يستطع أطعم ستين مسكيناً ؛ فإفتاء يحي بن يحي الليثي لعبد الرحمن بن الحكم الأموي بصيام شهرين متتابعين دون العتق- فإنه مُخالفٌ لما جاء به الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مُرتباً ، وقد ترجم الإمام ابن خُزيمة :١٩٧٠: ٢١٦، باب إيجاب الكفارة على المجامع في الصوم بالعتق ، إذا وجده ، أو الصيام إذا لم يجد العتق، أو الإطعام إذا لم يستطع الصوم.

ثانياً: المناسب المعتبر:

وهو كُل وصف شهد الشارع باعتباره ، والمراد بالاعتبار: إيراد الحكم على وفقه لا التنصيص عليه ، ولا الإيماء إليه ؛ لأنّ العلة هنا مستنبطة من المناسبة ، فإذا حصل الظنُّ بأنّ الوصف المناسب علة للحكم كانت المناسبة مُفيدة للعلية ظناً، فيُعدّ ذلك طريقاً من طرق إثبات العلية، واعتبار الشارع للوصف المناسب يكون بأحد أُمورٍ أربعة : (ابن النجار:١٩٩٧: ١٩٣؛ ابن قدامة : ١٩٩٣، ٢٦٩؛ الآمدي :٢٠١٠: ٢٢٣).

الأول: اعتبار نوع الوصف المناسب في نوع الحكم :

أي أن يُعدّ الشارع نوع المناسبة في نوع الحكم بنصٍ ، أو إجماع ، كالإسكار في حرمة الخمر، فإنّ الإسكار نوعٌ من الوصف المناسب ، والحُرمة نوع من الحكم ، وقد اعتبر الشارع نوع الوصف وهو الإسكار، في نوع الحكم وهو التحريم، بقصد المحافظة على العقل. وكالصغر فإنّ الشارع اعتبره وصفاً يستدعي حُكماً معيناً وهو الولاية على المال، قال الشوكاني: وهو أن يُعتبر نوعه في نوعه، وهو خصوص الوصف في خصوص الحكم، وعمومه في عمومه، كقياس القتل بمثقل على القتل بمحدد، بمحدد بجامع كونه قتلاً عمداً عدواناً، في خصوص الحكم وهو وجوب القصاص(الشوكاني:٢٠٠٠ : ٩٠٤-٩٠٥).

الثاني : اعتبار جنس الوصف في جنس الحُكم :

أي أن يكون هنالك وصف اعتبر الشارع جنسه في جنس الحكم، مثل الحيض في إسقاط الصلاة عن الحائض، فإنّ المجتهد يبحث عن علة هذا الإسقاط؛ فرأى أنّ الوصف المناسب هو الحيض؛ نظراً لاشتماله على المشقة التي تنشأ من التكليف بإعادة الصلوات الكثيرة التي تمضي أثناء الحيض، فأقام الحيض مقام هذه المشقة الناشئة عنه، ثُم أخذ يبحث عن شاهدٍ يُسانده في فروع الأحكام الشرعية، فوجد أنّه جعل السفر علة لقصر الصلاة وجمعها نظراً لما ينشأ عنه من المشقة، وإنّ كُلاً من إسقاط الصلاة في الحيض، وقصر الصلاة وجمعها في السفر، داخلٌ في جنس واحد وهو التيسير ورفع الحرج، فحينئذٍ تكون شهادة الشرع باعتبار السفر المتضمن للمشقة في القصر والجمع، شهادة باعتبار جنس هذا الوصف، وهو المشقة لجنس الحكم الذي يبحث المجتهد عن علته، وهو التيسير ورفع الحرج.(الزُحيلي:٢٠٠٦: ٦٤٧-٦٤٨).

ومثال آخر: لما أُعتبر جنس الوصف في جنس الحكم، ما رُوي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال في شارب الخمر: أرى أنّه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، فعليه حد المُفتري، البيهقي:١٩٣٠، ٣٢٠؛ والحاكم: ١٩٨٥ : ٤١٧، حديث رقم٨١٣١، وقال الحاكم: وهو حديثٌ صحيح الإسناد ووافقه الذهبي . فأقاموا مظنة القذف، وهو الشرب، مقام مظنونه، وهو القذف في إيجاب الحد، قياساً على إقامة مظنة الوقاع ، وهي الخلوة بالأجنبية مقام مظنونها، وهو الوقاع في التحريم، بجامع

أنّ كُلاً من الشرب والخلوة مظنة، فبهذا ظهر أنّ الشارع اعتبر المظنة التي هي جنس لمظنة الوقاع، ومظنة القذف في حكم مظنونها الذي هو جنس لتحريم الوقاع ، وإيجاب حد القذف؛ فقد اعتبر الجنس في الجنس كما هو واضح ، الغزالي :٢٠٠٩ : ٢٤٠ ، الأيجي : ١٩٧٣: ٢٤٢).

الثالث: اعتبار عين الوصف أو نوعه في جنس الحكم :

أن يكون هنالك وصف عَدَّ الشارع عينه، أو نوعه في جنس الحكم، يظهر إذا بحث المجتهد في العلة التي تثبُت من أجلها الولاية في تزويج الصغيرة البكر، كما روى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تُستأمر، وإذنها صماتها . النيسابوري : كتاب النكاح: باب الثيب أحق بنفسها من وليها، ص١٣٧، حديث رقم١٤٢١، فيتبين للمجتهد أنّ العلة الصغر لا البكارة، ثُمّ يبحث عن نظير ذلك في فروع الشرع ، فوجدوا أنّ الشارع اعتبر الصغر في ثبوت الولاية على المال كذلك ، من حيث أنّ كُلّاً من الولاية على النفس ، والولاية على المال جنسه واحد، وهو الولاية المطلقة.

ومثال لاعتبار نوع الوصف في جنس الحكم : كتقديم الأخ الشقيق على الأخ لأب في الميراث بامتزاج النسبين ، أي اختلاط نسب الأب ، ونسب الأم بين الأخوين الشقيقين، فيُقاس عليه الأخ الشقيق في تقديمه على الأخ لأب في ولاية النكاح والحضانة، ونحوهما من الحقوق المترتبة على الأُخوة والعُصوبة ، والعلة هي امتزاج النسبين في ذلك.

الرابع: اعتبار جنس الوصف في نوع الحكم :

اعتبار المشقة المشتركة بين المسافر ، والحائض في سقوط الصلاة عنهما؛ فإنّ المشقة جنس في الوصف المناسب؛ لأنها تشمل مشقة السفر، فترتب عليها قصر الصلاة الرباعية، ومشقة الحيض، أي تكرار قضاء الصلاة بتكرر الحيض، فأسقط الشارع قضائها على الحائض والنفساء، فقد اعتبر الشارع الجنس في النوع، فإنّ المشقة تقتضي سقوط الصلاة بتمامها على الحائض، وسقوط ركعتين من الرباعية في السفر(إسماعيل:٢٠٠٨: ٤٣١).

ثالثاً: المناسب الذي لم يُعلم أنّ الشارع اعتبره أو ألغاه:

ويُقصد به المناسب الذي لم يشهد له أصلٌ معينٌ من أصول الشريعة بالاعتبار بأي طريقة من الطُرق، ولم يثبُت أنّ الشارع ألغاه، وهو ما يُعرف عند الأصوليين بالمصلحة المرسلة (الزركشي٢٠٠٧:،١٩٤؛ الشوكاني: ٢٠٠٠، ٩٠٦)، وسميت مصلحة استصلاحاً لما فيها من المصلحة، التي اشتمل عيها الوصف المناسب، وسُمي مرسلاً لإرساله وإطلاقه من الاعتبار والإلغاء، ومثاله: جمع القرآن الكريم، اتخاذ السجون، وضرب النقود، وغير ذلك، وهو حجة عند المالكية والحنابلة، بخلاف الحنفية والشافعية، فإنه لا يجوز التعليل به عندهم (بُقنة، ٢١).

القسم الثالث: تقسيم المناسب من حيث التأثير وعدمه:

المناسب إما مؤثر، أو غير مؤثر، وغير المؤثر إمّا ملائم، أو غير ملائم، وغير الملائم إمّا غريب، أو مرسل، أو ملغي:

المناسب المؤثر: تعددت تعريفات المناسب المؤثر عند الأُصوليين ، وهذه التعريفات كما يلي: المناسب المؤثر: هو ما اعتبر نوعه في نوع الحكم بنصٍ أو إجماع ، (الآمدي:٢٠١٠: ٢٨٥) ، أو هو أن يدل النص ، أو الإجماع على كون الوصف المؤثر علة ، بشرط دلالتها على تأثير غير الوصف في عين الحكم ، أو نوعه في نوعه ، بنصٍ أو إجماع ، وسُمي مؤثراً لظهور تأثير الوصف في الحكم (الزركشي: ٢٠٠٧: ١٩٥) ، ومثاله: الجهل بالعوض له تأثير بإفساد العقد في البيع ، فيُقاس عليه المهر المجهول، فيُقال: عوضٌ مجهول فيفسد ، ولا يثبت العقد ، كالثمن في البيع ؛ لأنّ الجهالة مُفسدة للعقد بالإجماع (الهيتي: ٤٢٨).

المناسب المُلائم: وهو ما دل الدليل بنص أو إجماع على اعتبار عين الوصف علة لجنس الحكم ، أو جنس الوصف علة لعين الحكم ، أو جنس الوصف علة لجنس الحكم. مثال لاعتبار عين الوصف علة لجنس الحكم : كتقديم الإخوة من الأبوين على الأخ لأب في الميراث ، فعين الأخوة أثّرت في جنس التقديم ، فمطلق التقديم جنس ، فيقاس على الإرث ولاية النكاح. ومثال لاعتبار جنس الوصف علة لعين الحكم : كتعليل جواز الجمع في الحضر ليلة المطر؛ وذلك اعتباراً للمشقة ، والحرج الحاصل من المطر، فالسفر والمطر جنس واحد، وهو كونه مظنة للمشقة ، وهو علة لعين الحكم، وهو الجمع بين

الصلاتين. ومثال لاعتبار جنس الوصف علة لجنس الحكم: كاعتبار جنس الوصف الذي هو الجناية ، في جنس الحكم ، وهو القصاص في قياس القتل بالمثقل على قتل المحدد (بقنة: ٢٠).

المناسب الغريب: وهو أن يُعدّ عينه في عين الحكم بترتيب الحكم على وفق الوصف فقط، ولا يُعدّ عين الوصف في جنس الحكم ، ولا جنسه في جنسه ، بنصٍ ولا إجماع، مثال: الإسكار في تحريم الخمر؛ فإنّ الشارع اعتبر عين الإسكار في عين الحكم ، بترتيب الحكم على الإسكار فقط (الزركشي:٢٠٠٧: ١٩٥).

القسم الرابع – تقسيم المناسب من حيث حُصول مقصود شرع الحكم يقيناً أو ظناً :

المناسبة إمّا أن تُفضي إلى المقصود يقيناً ، أو ظناً ، أو باعتبار آخر تقسيم المناسبة من حيث إفضائه إلى المقصود ابتداءً ، أو دوماً ، أو تكميلاً ؛ فيحصل عندنا اعتباران هما :

الاعتبار الأول: ينقسم المناسب من حيث إفضائه إلى المقصود ابتداءً ، أو دوماً ، أو تكميلاً إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: ما يُفضي إلى حصول المقصود ابتداءً: مثاله: القضاء بصحة تصرف كامل الأهلية في المحل الصحيح ، تحصيلاً لأصل المقصود ، وهو الملك ، أو المتعة، كما يكون ذلك في البيع والإجارة (اللخمي: ٢٣١).

القسم الثاني: مناسب يفضي إلى دوام المقصود: مثاله: القضاء بتحريم القتل، وإيجاب القصاص على القتل العمد العدوان ؛ لإفضائه إلى الحافظ على دوام الإنسانية المعصومة. (اللخمي: ٢٣٢).

القسم الثالث – مناسب يُفضي إلى تكميل المقصود: مثاله : القضاء باشتراط الشهادة ، المهر في النكاح ؛ فإنّه مكمل لمصلحة النكاح ، وليس مُحصلاً لأصلها (اللخمي: ٢٣٢).

الاعتبار الثاني : من حيث إفضاء المناسب إلى المقصود منه ظناً ، أو يقيناً ، والظن ظنٌ راجحٌ ، أو أَمرٌ راجحٌ ، أو مساوٍ ، أو لا يُفضي قطعاً :

- ما يُفضي إلى حصول المقصود قطعاً: مثاله: ما حرمه القضاء بصحة البيع لكامل الأهلية في المحل الجائز، بلا قضاء إلى حصول الملك قطعاً(الآمدي:٢٠١٠: ٢٩٣؛ السُبكي: ١٩٨٢، ٢٧٦).

- ما يُفضي إلى حصول المقصود رجحاناً:مثاله:شرع القصاص للانزجار عن القتل،فإنّ الأغلب انزجار الناس عنه،إلا أنّه مع ذلك الزجر يقع، (السُبكي: ١٩٨٢، ٢٧٦؛ الآمدي:٢٠١٠ : ٢٣٩).
- ما يُفضي إلى حصول المقصود ، وعدمه متساوياً : مثاله ، كما قال الآمدي: قلّما يتفق له في الشرع مثالٌ على التحقيق، ولكن على طريق التقريب، وذلك كشرع الحد على الشارب ؛ لحفظ العقول ، ومع ذلك يزداد شُرب الناس (الآمدي:٢٠١٠: ٢٣٩).
- ما يُفضي إلى حصول المقصود مرجوحاً : مثاله ، طلب النسل المُفضي إلى الحكم بصحة نكاح الآيسة ، فإنّ حصول النسل من الآيسة مرجوح (السُبكي:١٩٨٢: ٢٧٧).
- ما لا يُفضي إلى حصول المصلحة قطعاً :مثاله ، إثبات النسب لابن من رجل مشرقي من امرأة مغربية ، لم يلتقيا ، وإنّما عقد لهما وكيلان ، كما قال الحنفية، خلافاً للمالكية والشافعية والحنابلة، للقطع بعدم التقاء نطفتيهما، وهو المثبت للنسب (أمين: ٣٠٨).

القسم الخامس: تقسيم المناسب من حيث اعتبار جلب المنافع الأُخروية والدنيوية :

- المناسب الأُخروي: هو ما يجلب للإنسان نفعاً في الآخرة، أو يدفع عنه ضرراً فيها ، بحيث يكون كُلاً منهما معلقاً بالآخرة (الآمدي:٢٠١٠: ٢٩٤) مثاله: تزكية النفس ومنافع العبادات ، فكُلّها أُخروية تجلب الثواب، وتدفع العقاب (الأسنوي: ٢٠٠٩: ٨٦).
- المناسب الدنيوي: وهو ما يجلب للإنسان نفعاً في الدنيا، أو يدفع عنه ضرراً فيها، مثاله: مشروعية البيع، لتحصيل المنافع الدنيوية (الآمدي:٢٠١٠:٢٩٤).

الجمع والتوفيق بين أقسام المناسب :

لقد واجهتُ – كما واجه الباحثون من قبلي – الإشكال في تقسيم المناسب، فبعضهم يدمج هذه الأقسام جميعاً، والآخر يُخالفه في دمج هذه الأقسام ؛ فرأيت أن أُفرّق هذه التقاسيم بحسب ما تحصل لي من قراءةٍ لكتب الأصول، باعتبارات شتى، ووصلت إلى أنّ أهم هذه الأقسام خمسةٌ ، كما ذكرت ، فخلُصت إلى أنّ هذه التقاسيم في حقيقتها وجملتها

متوافقة ، إلاّ أنّ كل تقسيم إنّما هو وجه واحد من أوجه المناسب، فالمناسب خُماسي الشكل، فلو نظرنا من وجهه الحقيقي والإقناعي ، فلا يتنافى من كون المناسب حقيقياً أن يكون دنيوياً ، أو أُخروياً ، ولا يُنافي كونه ضرورياً ، أو حاجياً ، أو تحسينياً ، وهكذا في بقية الأقسام (المطيري:٢٠٠٠: ٣١٢).

حجية المناسبة :

البحث عن حُجية المناسبة ، إنّما يكون باعتبار التقسيم من حيث التأثير وعدمه ، إذ هو عمدة نقاش الأُصوليين، وعليه : فإنّ جمهور الأُصوليين من المذاهب الأربعة على اعتبار المؤثر والملائم ، في أنّه حُجّة في إثبات العلة ، ولم يختلفوا أيضاً في عدم حُجية المناسب المرسل الملغي (ابن النجار: ١٩٩٧: ١٨١؛ التفتازاني:١٩٩٦: ٥٦٩؛ الشنقيطي: ١٩٨٨: ١٨٢).

النتائج :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من بشر المجتهد المصيب بأجرين، والمجتهد المخطئ بأجر، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً :

وبعد :

فقد خلُصت الدراسة إلى النتائج الآتية :

- ❖ المناسبة هي الوسيلة لانضباط صلاحية الحكم الشرعي وتحقيقه، بحيث يكون بين الوصف ، والحكم ملائمة ومناسبة ، يترتب على تشريع الحكم عندها، تحقيق مصلحة مقصودة للشارع من جلب مصلحة ، أو دفع مفسدة.
- ❖ المناسب لا يُعدّ إلا إذا تُحصل من خلاله المقصود من شرع الحكم.
- ❖ المناسبة ترجع إلى رعاية المقاصد ؛ لقوة العلاقة بين المناسبة ، والمقاصد.
- ❖ معرفة الوصف المناسب يحتاج إليه الفقيه ، والأُصولي، والقاضي.
- ❖ للمناسبة أهمية بالغة في باب القياس .

التوصيات :

ويُمكن تلخيص أهمّ التوصيات فيما يلي :

- ❖ ضرورة تفعيل الفكر الأُصولي المقاصدي في جميع مجالات الحياة دون استثناء، سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وثقافية ، وضرورة مراعاة الوصف المناسب عند تشريع الأحكام في القضايا المُستجدة، وربطها بالمقاصد الشرعية لما لها من أهمية كبيرة ، وفائدة عظيمة في التيسير على الناس ، ورفع الحرج والمشقة عنهم.
- ❖ اعتماد أُسلوب الأمثلة التطبيقية العملية لبيان علاقة الوصف المناسب، بالحكمة والمقصد ، والحكم الشرعي وجوداً ، وعدماً .
- ❖ ضرورة الاهتمام بتدريس باب العلة في الجامعات ، والمعاهد الشرعية ؛ وذلك لأنها تُمثل المدخل الصحيح لتأصيل العلوم الشرعية .

المصادر والمراجع:

***القرآن الكريم .**

1- آل تيمية، أبي البركات مجد الدين عبد السلام، وولده أبي المحاسن شهاب الدين عبد الحليم، وحفيده أبي العباس أحد بن عبد الحليم، ٢٠٠٧م، المُسوّدة، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان.

2- الآمدي، سيف الدين علي بن أبي علي، 2010م، الإحكام في أُصول الأحكام، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت .

3- الأسنوي ، جمال الدين عبد الرحيم، 2009م ، نهاية السُّول شرح منهاج الوصول، دار الكتب العلمية- صيدا- بيروت.

4- الأيجي ، عضد الدين عبد الرحمن، 1973م، شرح العضد على شرح مختصر بن الحاجب، طبعة الكليات الأزهرية- القاهرة .

5- ابن الأشعث، أبي داود سليمان، 1983م، سنن أبي داود، مطبعة الحلبي وأولاده، القاهرة .

6- ابن فارس، أبي الحسين أحمد، 1979م، معجم مقاييس اللغة،دار الفكر– بيروت- لبنان.

7- ابن خزيمة ، محمد بن اسحق، 1982م، صحيح بن خزيمة، المكتبة العصرية - صيدات- بيروت.
8- ابن قدامة، موفق الدين عبد الله، 1993م، روضة الناظر وجنة المناظر، الرياض- المملكة العربية السعودية.
9- ابن النجار، محمد بن أحمد، 1997م، شرح الكوكب المنير، مكتبة العبيكان- الرياض - المملكة العربية السعودية.
10- إسماعيل، شعبان محمد إسماعيل، 2008م، أصول الفقه الميسر، دار ابن حزم للطباعة والنشر- بيروت- لبنان.
11- الباجي ، أبو الوليد سليمان بن خلف، 1995م، إحكام الفصول في أحكام الأصول، دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان.
12- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، حقوق الطبع محفوظة لشركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت- لبنان.
13- بقنة ، مبارك عامر، العلة عند الأصوليين، معد آلياً بواسطة المكتبة الشاملة على الموقع الإلكتروني.http://www.shamela.ws
14- البيهقي ، أحمد بن الحسين، 1930م، السنن الكبرى، دار الفكر- بيروت- لبنان.
15- التفتازاني ، سعد الدين مسعود بن عمر، 1996م، شرح التلويح على التوضيح، دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان.
16- الزحيلي ، وهبة مصطفى، 2006م، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر- بيروت- لبنان.
17- الزركشي ، بدر الدين محمد بن بهادر، 2007م، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
18- الزركلي، خير الدين الزركلي، 1987م، الأعلام، دار الفكر - بيروت- لبنان.
19- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، 1982م، دار الفكر- بيروت- لبنان.
20- الشاطبي، أبو اسحق إبراهيم، 2003م، الموافقات في أصول الشريعة، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- لبنان.

21- الشنقيطي، عبد الله بن إبراهيم العلوي، 1988م، نشر البنود على مراقي السعود، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
22- الشنقيطي، محمد الأمين، 2004م، مذكرة في أصول الفقه، مكتبة دار العلوم والحكم- المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية.
23- الشوكاني، محمد بن علي، 2000م، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار الفضيلة للنشر- الرياض -المملكة العربية السعودية.
24- الغزالي، محمد بن محمد بن محمد، 2009م، المستصفى ، المكتبة العصرية –صيدا - بيروت - لبنان.
25- الفيومي، أحمد بن محمد، 1906م، المصباح المنير، المطبعة الأميرية ببولاق.
26- القزويني، محمد بن يزيد، دار الفكر- بيروت- لبنان.
27- الكوراني ، أحمد بن إسماعيل، 2007م، الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، دار صادر- بيروت- لبنان.
28- الماوردي : علي بن محمد، 1970م، الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
29- المطيري ، دعيج بطحي، 2000م، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت.
30- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، 2007م، صحيح مسلم، دار الفكر- بيروت- لبنان.
31- الهيتي ، عبد الكريم العدي ، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

رأي ابن القيم الجوزية في الصفات

د. صلاح بكري محمد يوسف
جامعة أم درمان الإسلامية- كلية أصول الدين

المستخلص:

رأي ابن القيم في الصفات ، وموقف العلماء منه : استعرض الباحث سيرة الإمام ابن القيم الجوزية المتوفى في ٧٥٢هـ متناولاً حياته ، ونشأته ، ومؤلفاته، وثقافته، وصفاته، وموقف العلماء منه، وصلته بابن تيمية، كما تناول الباحث آراء ابن القيم الاعتقادية في الصفات، وما يجب أن يتصف به الله سبحانه وتعالى من كمال الصفات، وما يجب أن يتنزه عنه من النقصان. كما استعرض الباحث رأي الفرق الكلامية في مسالة الصفات، مثل الجهمية، ومذهب المعتزلة، ومذهب الفلاسفة، ومذهب الأشعري، ومذهب الكرامية، كما ضمن الباحث رأي ابن القيم من بين هذه الفرق المذكورة. وأن ابن القيم قد أخذ رأيه من بين المذاهب المتقدمة، ولم يتخذ مذهباً معيناً.

ترجمة ابن القيم، ثقافته، موقف العلماء منه

ترجمته:

هو محمد بن أبي بكر بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي، الملقب بشمس الدين ، والمكنى بأبي عبد الله ، والمعروف بابن القيم الجوزية[1] ، وهي مدرسة كان أبوه قيما عليها، وقد كان ذا علم وفضل.

ولد ابن القيم في ٧ صفر عام ٦٩١ هجرية، وقد نشأ (ابن القيم) في بيت علم ؛ فقد كان أبوه عالماً جليلاً، فتلقى عليه علومه الأولى، ثم درس عليه علم الفرائض؛ وقد تلقى العلم كذلك على كثير من الشيوخ، والعلماء البارزين في عصره؛ فدرس كثيرا من العلوم، وحصلها تحصيلا جيداً ، حتى صار له في كل فن مباحثه قيمة.

ويخطئ بعض الكاتبين؛ فيطلق على ابن القيم اسم (ابن القيم الجوزي) وقد أدى ببعضهم هذا الخطأ في التسمية إلى أن ينسب لابن القيم هذا الذي يؤرخ له كتاب، (دفع

1 الجوزية : مدرسة بناها محي الدين بن الحافظ بن الجوزي بسوق القمح بدمشق

شبهة التشبيه) لابن الجوزى ؛ وقد اضطرني ذلك إلى أن أفرق بينهما ، وبين عالم آخر، يطلق عليه كذلك ابن القيم المصري).

فابن القيم المصري: هو بهاء الدين علي بن عيسى بن سليمان الثعلبي المصري ، وهو محدث كبير، روى عن الفخر الفارسي، وابن باقة ، وتوفى بمصر في ذي القعدة عام ٧١ هجرية[ابن العماد، ١٤٠٠: ج٦، ٢٦].

وأما ابن الجوزى: فهو أبو الفرج بن عبد الرحمن بن الجوزى الحنبلي المتوفى ببغداد عام ٥٩٧ هجرية، وصاحب كتاب (دفع شبهة الشبهة) في الرد على المشبهة وكتاب (المغني) في مجلدات و(جامع المسانيد) في الحديث وغيرها[1]؛ وعلى ذلك فيجب أن نطلق على مفكرنا اسم (ابن القيم) فقط، أو (ابن القيم الجوزية) ولا يطلق عليه ابن القيم الجوزى؛ لأن الجوزى اسم شخص آخر، وأما هو فمنسوب إلى المدرسة التي كان أبوه قيما عليها كما تقدم.

وقد كان ابن قيم الجوزية رجلاً عالماً فاضلاً، وكان ذا عبادة وتهجد، وشغف بالمحبة والافتقار إلى الله حتى أن بعض العلماء جعلوه من الصوفية، وسموه الصوفي الكبير، وكان كثير الصلاة والعبادة، وكان يطيلها، ويمد ركوعها وسجودها، وفي ذلك يقول ابن كثير، وهو من تلاميذ ابن القيم: (وكنت من اصحب الناس له، وأحبهم إليه، ولا اعرف في هذا العالم في زماننا من هو أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدا، ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان؛ فلا يرجع، ولا ينزع عن ذلك رحمه الله)[2].

لقد كان ابن القيم رجلا طيب القلب، واسع الصدر، كثير التودد، لا يحسد أحدا، ولا يحقد عليه، ولا يؤذي شخصا، ولا يستعتبه.

---

1 دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي ص٣نشر القدسي عام ١٣٤٥

2البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص٢٣٥

اتصاله بابن تيمية :

ولما كان لابن تيمية أثر واضح في ثقافة ابن القيم ، وتكوين مذهبه - اعتنى المؤرخون بتحديد الوقت الذي التقى فيه ابن القيم به؛ فعينوه بسنة ٧١٢هـ ، وهي السنة التي رجع فيها ابن تيمية من الديار المصرية إلى دمشق، فلازم ابن القيم مجلسه من هذا العام إلى حين وفاته؛ فأخذ عنه علما جما، وأفاد منه إفادة كبيرة، واتبع مذهبه، ونصره، وهذب كتابه.

ولقد حصل لابن القيم بسبب اتصاله بابن تيمية، ونصره لمذهبه وتمسكه به، كثيراً من الأذى، وقد حبس معه بالقلعة، وطيف به على جمل مضروبا بالدرة، وقد حبس مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية، كما حبس أيضا لإنكاره شد الرحال لزيارة قبر الخليل عليه السلام.

ثم توفى رحمه الله وقت العشاء الآخرة ليلة الخميس ١٣ من رجب سنة ٧٥١ هجرية، وصُلِّى عليه من الغد بالجامع عقيب الظهر، كما يقول ابن رجب الحنبلي في الطبقات، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وشيعه خلق كثير، حتى كانت شوارع المدينة تضيق بالمشيعين.

وفاته كانت في عام ١٣٥٠م، كما يذكر ذلك صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق في كتابه التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية.

وحج ابن القيم مرات كثيرة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة، وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه، ودرس بالصدرية، وأُم بالجوزية بعد وفاة والده وقتا طويلاً.

ثقافته ومؤلفاته :

كانت ثقافة ابن القيم، ثقافة شاملة لجميع أنواع التفكير في عصره، وعامة في جميع نواحي العلم، فقد أخذ العلم عن كبار الشيوخ والعلماء البارزين في أيامه، ودرس عليهم جل أنواع العلم.

فدرس على ابن تيمية التفسير، والأصول، وعلم الكلام، ودرس على (الصفي الهندي)، وهو أستاذه في الأصول والفقه، وقرأ على مجد الدين إسماعيل الحراني المتوفى عام ٧٢٩هـ مختصر أبي قاسم الحرقي، والمقنع لابن قدامه، ودرس على ابن الشيرازي كثيرا

من العلوم، وقد تتلمذ كذلك لكمال الدين الزملكاني شيخ الشافعية في الشام الذي انتهت إليه رياسة المذاهب تدريسا، وإفتاء، ومناظرة والمتوفى عام ٧٢٧هـ[١].

تعلم ابن القيم، وتخرج على هؤلاء العلماء الأجلاء، وغيرهم، ودرس عليهم علوم الإسلام، واللغة دراسة متقنة.

تفنن ابن القيم في علوم الإسلام، فكان عالما بالتفسير، وبالحديث ومعانيه وفقهه، وبأصول الدين والفقه، كما كان عالما بالعربية، وله فيها اليد الطولي، وبعلم الكلام وغير ذلك[٢].

وقد أخذ عنه العلم خلق كثير من حياة شيخه (ابن تيمية)، وبعد وفاته إلى أن مات ابن القيم رحمه الله، وانتفع به الناس والعلماء، وكتبه الآن من المراجع المهمة في الفقه، والأصول، وعلم الكلام.

وكان الفضلاء يعظمونه ، ويتتلمذون عليه كابن عبد الهادي وغيره .

مؤلفاته:

ولقد ألف ابن القيم وصنف كثيرا من المؤلفات، وهي في أنواع العلم المختلفة، وهي مؤلفات قيمة تشهد له بالتفوق، وكثرة الإطلاع.

فقد ألف ابن القيم في التفسير، ومن مؤلفاته فيه كتاب (التبيان في أقسام القرآن) ، وكتاب (تفسير المعوذتين)، و(تفسير سورة الفاتحة) في أول كتابه (مدارج السالكين)، وغيرها.

وألف في الحديث مؤلفات كثيرة منها: كتاب (تهذيب السنن لأبي داود)، وكتاب (الوابل الصيب من الكلم الطيب)، وكتاب (الداعي إلى أشرف المساعي)، وغيرها.

وقد ألف في الفقه وأصوله كتبا قيمة، منها: كتاب (إعلام الموقعين عن رب العالمين)، وكتاب (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية)، وكتاب (الصلاة وأحكام تاركيها)، وكتاب (تحفة المودود بأحكام المولود)، وكتاب (بيان الدليل عن استغناء المسابقة عن التحليل) ، وكتاب (التحليل فيما يحل ويحرم من لبس الحرير)، وغيرها.

---

1 شذرات الذهب لابن عماد، ج٣، ص٧٥١، مخطوط تحت رقم ١١١٢

2 طبقات الحنابلة لابن رجب ج٢ ص٥٩٣ مخطوط بدار الكتب

كما ألف في التصوف كتبا كثيرة منها (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، وكتاب (الفوائد لابن القيم)، وكتاب (عدة الصابرين وذخيرة الشاركين)، و(طريق الهجرتين وباب السعادتين)، وغيرها.

وهي كتب تجمع بين التصوف النظري، والتصوف العملي، وقد عمل فيها ابن القيم مجهودا كبيرا، ويكفي أن تعلم لذلك أن كتاب (مدارج السالكين) وحده يقع في ثلاثة مجلدات، وصفحاته تزيد على الألف صفحة من القطع الكبير.

وقد ألف ابن القيم في علم الكلام والفلسفة، كتاب (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة)، و(الكافية في الانتصار للفرقة الناجية)، وهي شعر في ستة آلاف بيت إلا خمسين، كلها في الفرق والرد على المتكلمين، وإثبات عقيدة السلف التي على ظاهر الكتاب، وهي تدل على عقلية جبارة، وله كذلك في علم الكلام كتاب (الروح)، وكتاب (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)، وهو في وصف الجنة ونعيم أهلها، ووصف سكانها وحالتهم ، وكتاب (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة)، وهو كتاب قيم في نوعه.

وقد ألف ابن القيم -غير ما ذكرنا من الكتب - كتبا كثيرة، منها كتاب (الداء والدواء)، و(أمثال القران)، و(تفضيل مكة على المدينة)، و (فضل العلم)، و (نور المؤمن وحياته)، و(الكبائر)، و(المسائل الطرابلسية)، و(الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم)، وغيرها.

وقد أوصلها بعض الكاتبين إلى ستة وستين مؤلفا، من المؤلفات الضخمة التي يبلغ معظمها مجلدين، وثلاثة مجلدات ، وأربعة مجلدات.

موقف العلماء منه :

وابن القيم من العلماء النابهين، والمفكرين الظاهرين الذين برزوا في كثير من النواحي العلمية، وسبق فيها الكثيرين من أقرانه ومعاصريه.

ونجد لابن القيم الجوزية كثيراً من الأنصار، الذين أشادوا بذكره، ونوهوا بفضله وتقدمه، وعرفوا الناس بمكانته في العلم والدين ، كما نرى له كثيراً من الأعداء الذين أردوا الكيد له والنيل منه، هؤلاء يجعلونه زنديقا من الزنادقة، ومبتدعا ضالاً من المبتدعة، وأنه شذ

عن إجماع المسلمين، والعلماء العاملين في كثير من المسائل التي وضحها وبينها في كتبه في الأصول والفروع معا[1].

والأولون يجعلونه العالم الأكبر، والشيخ الأجل، شيخ الإسلام والمسلمين، وقائد النهضة الفكرية في القرن الثامن الهجري، بعد أستاذه (ابن تيمية) الحراني، ومنقذ العالم الإسلامي من ورطة التقليد الأعمى، ووصمة الأتباع لكلام الأولين من غير بحث أو مناقشة، وأنه لذلك قد فتح باب الاجتهاد لمن يريد، وبيَّن أنه ليس وقفا على طائفة من العلماء المتقدمين فقط، وإنما هو مفتوح في وجه الباحثين والمفكرين، الذين لهم قدرة على الاستنباط والفهم، ما داموا لا يخرجون عن نصوص الشرع الشريف الصريحة، وليس مغلقا في وجه الباحثين من المتأخرين من هؤلاء الأنصار تلميذه النابه، والعالم الجليل: (ابن رجب الحنبلي) (والذهبي)، وابن كثير، وغيرهم من العلماء، كابن عبد الهادي الذي دافع عن (ابن تيمية)، و(ابن القيم) في كتابه (الصارم المنكى في الرد على السبكى).

ومن أولئك الأعداء الشيخ (تقي الدين السبكي) صاحب كتاب (السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل)، وقد ألفه ليرد به على ابن القيم فيما ذكره في قصيدته: (الشافية في الانتصار للفرقة الناجية)؛ ويقصد بابن زفيل (ابن القيم) ، كما ألف كتاب (الاعتبار ببقاء الجنة والنار) ليرد به على ابن تيمية وابن القيم معا.

ومن هؤلاء الأعداء أيضا ابنه (تاج الدين السبكي) صاحب كتاب طبقات الشافعية الكبرى؛ (والتقي الحصني) الذي ألف كتاب (دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد) ، وغيرهم كثير من العلماء القدامى والمحدثين.

والسبب في عداوة هؤلاء العلماء له- كما يظهر من كتاباتهم- أنه قد فتح باب الاجتهاد في الفروع ، وأنه شذ عن الإجماع في بعض مسائل الفروع والأصول ، وأطلق الصفات الخبرية من اليد والوجه والقدم وغيرها – التي ورد ذكرها في الكتاب والسنة النبوية على الله تعالى بدون تأويل لها بل وصف الله بها حقيقة، وأنه قد رمى الأشاعرة ، والمعتزلة الذين أولوا هذه الصفات، بأنهم جهميون معطلون، والمعطلون في نظره أشد كفرا من

---

1 البداية والنهاية لابن كثير ، وتاريخ الأديان لبروكلمان ترجمة خاصة

اليهود والنصارى[1]، فكانت شدته هذه في النقد، وإثباته للصفات الخبرية، وغير ذلك من مسائل الفروع؛ سببا في خروج الكثيرين عليه يبدعونه، ويفسقونه تارة، ويكفرون أخرى، ولكن الرجل– فيما يبدو- كان طيب القلب، سليم الضمير، مخلصا للدين، غيورا عليه؛ فلما رأى تأخر المسلمين، وما حل بهم في ذلك العصر من النكبات السياسية، والمصائب الاجتماعية، وقع في ذهنه – كما يحكي عن نفسه – أن ذلك بسبب تأخر المسلمين، وبعدهم عن الدين الإسلامي، وعدم وجود حرارة الإيمان في قلوبهم، كل ذلك حمله على أن يسلك هذا المنهج في بحثه، وأن يفتح باب الاجتهاد والبحث حتى ترقى نفوسهم، وتقوى عقولهم، وليفتح لهم بابا النظريات الفكرية، والبحث العميق؛ فأخذ ابن القيم نفسه بالبحث، والمجادلة، والاجتهاد في بعض المسائل، وقراءة كتب القدامى من العلماء والفلاسفة، وأخذ في نقدها نقدا مرا سبب له الكثير من الشحناء والبغضاء، وكثيراً من الأعداء.

وعلى كل حال فليس ابن القيم من المعصومين، ولكنه قد اجتهد، ونقد آراء غيره، والمجتهد عرضه للخطأ والصواب.

وهذا هو ابن القيم نفسه يذكر أن كل شخص عرضة للخطأ ؛ فيقول عن شيخ الإسلام الأنصاري في كتابه (مدارج السالكين) شرح (منازل السائرين للأنصاري) معتذرا عنه الخطأ وقع فيه في نظره؛ فيقول ما نصه: (ولولا إحسان الظن بصاحبه– أي صاحب كتاب منازل السائرين الأنصاري– لنسب إلى لازم هذا الكلام، ولكن من عدا المعصوم صلى الله عليه وسلم؛ فمأخوذ من كلامه ومتروك ..)[2].

فانظر إلى مقالة ابن القيم هذه، واعتذاره، ودفاعه عن شيخ الإسلام الأنصاري، وبيان أنه ليس معصوما من الخطأ مع علمه، وتفوقه، وتقديره له، وذكره أنه ليس معصوماً من الخطأ إلا النبي صلى الله عليه وسلم. ولا شك أن ابن القيم مندرج تحت هذه الكلية؛ فإنه كذلك ليس بالمعصوم من الخطأ.

---

1 مختصر الصواعق المرسلة ج١ ص٤٨و٧٣ ، ونونية ابن القيم ص٢١١

2 مدارج السالكين لابن القيم ج١ ص١٢٥ طبع المنار

وابن القيم متأثر في مقالته هذه بالأمام مالك بن أنس رضي الله عنه ؛ إذ قال: (كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا صاحب هذا القبر)[1]، يريد النبي صلى الله عليه وسلم.

مشكلة الصفات :

ولكي نُبيِّن رأي ابن القيم في مشكلة الصفات، ومدى انتخابه فيها، أو تبعيته لمدرسة معينة - يجب علينا أن نُبيِّن رأي ابن القيم بوضوح وإسهاب فيها، ثم نتبعه ببيان آراء الفرق والمذاهب الإسلامية التي تقدمت عليه ، وكان لها فيها رأي، ثم نُبيِّن مقدار مخالفته لها، أو موافقته إياها.

يرى ابن القيم أن الله سبحانه وتعالى يجب أن يتصف بكل كمال، ويتنزه عن كل نقص، فيجب أن يثبت له تعالى صفات الكمال من: القدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والحياة، وغيرها من الصفات كالرحمة والرأفة والبقاء، معتقدا أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلها، ولا مدبرا، ولا ربا، وإنما يكون مذموما معيبا ناقصا، ليس له الحمد في الأولى، ولا في الآخرة، وإنما يكون الحمد لمن اتصف بصفات الكمال، ونعوت الجلال التي يستحق الحمد لأجلها، بل إن إنكار هذه الصفات إنكار للصانع، وجحد له في نظره[2].

ويستدل ابن القيم على هذه الصفات بالعالم، وإتقان صنعة، ويرى أن هذه الصنعة المتقنة تدل على علم صانعها، وقدرته وحكمته، وفي ذلك يقول في كتابه (مدارج السالكين) ما نصه:

ومن طرق إثبات الصفات دلالة الصنعة عليها، فإن المخلوق يدل على وجود الخالق ، وعلى حياته ، وعلى قدرته ، وعلى علمه ومشيئته ، فإن الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاما ضروريا ، وما فيه من الإتقان والأحكام ، ووقوعه على أكمل الوجود، يدل على حكمة فاعله وعنايته ، وما فيه من الإحسان والنفع ، ووصول المنافع العظيمة إلى المخلوق تدل على رحمة خالقه وإحسانه.

---

1 البداية والنهاية لابن كثير ص١٤ طبع مطبعة السعادة

2 تفسير سورة الفاتحة بأول مدارج السالكين لابن القيم ج١ ص١٥

والله تعالى في نظر(ابن قيم الجوزية) محمود على أفعاله، ومشكور عليها، وكلما كانت صفات الكمال، ونعوت الجلال أكثر – كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله من حمده بحسبها ؛ ولهذا كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها؛ ولهذا كان حمده بحسبها، ولهذا كان الحمد كله لله تعالى حمدا لا يحصيه سواه لكمال صفاته وكثرتها.

ولأجل هذا لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه؛ لما له من صفات الكمال الكثيرة؛ ولهذا ذم الله تعالى آلهة، وعابها بسلب أوصاف الكمال عنها؛ فعابها بأنها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تتكلم، ولا تنفع، ولا تضر، وذلك أن كفار قريش مع شركهم مقرين بالصانع، وصفاته سبحانه، وعلوه على خلقه[1].

ويرى ابن القيم أن هذه الصفات زائدة على ذاته تعالى، والأدلة على ثبوتها كثيرة ومتعددة منها أسماؤه الحسنى إن كل اسم منها مشتمل على معنى زائد على الذات لكانت أسماؤه جامدة كالأعلام المحضة؛ فتكون ألفاظا مترادفة، وتكون كلها أمرا واحدا لا فرق بين مدلولاتها في المعنى، وهذا الأمر مما يخالف العقل والفطرة السليمة.

ويرى ابن القيم أن هذه الصفات داخلة في مسمى أسمائه، وأن تجريد الذات عن الصفات، والصفات عن الذات – أمر ذهني لا حقيقة له، بل إن هذا يؤدي إلى أن يكون الله سبحانه كالعدم المحض الذي لا صفة له ، وفي ذلك يقول في (مدارج السالكين):

(والتحقيق أن صفات الرب جل جلاله داخله في مسمى اسمه؛ فليس اسمه الله والرب والإله أسماء لذات مجردة لا صفة لها ألبته، إن هذه الذات وجودها مستحيل، وإنما يفرضها الذهن فرض الممتنعات، ثم يحكم عليها، واسم الله سبحانه، والرب والإله اسم لذات لها جميع صفات الكمال، ونعوت الجلال، كالعلم والقدرة والحياة والإرادة والكلام والسمع والبصر والبقاء والقدم، وسائر الكمال الذي يستحقه لذاته؛ فصفاته داخله في مسمى اسمه؛ فتجرد الصفات عن الذات، والذات عن الصفات فرض، وخيال ذهني، لا حقيقة له، وهي أمر اعتباري لا فائدة فيه، ولا يترتب عليه معرفة ولا إيمان).

---

1 تفسير سورة الفاتحة ج١ ص١٤ من مدارج السالكين

هذا نصوص من كتب ابن القيم تدل على أنه كان يثبت لله تعالى جميع صفات الكمال التي تليق بجلاله تعالى؛ لأنه سبحانه محمود على أفعاله، وكلما كانت صفات كماله أكثر كان حمده أكثر، وكلما نقص من صفات كماله شيء نقص من حمده بحسبها، وتبيَّن لنا شدة دفاعه عن رأيه، ورده على الفلاسفة والجهمية.

وبعد هذا العرض لمشكلة الصفات عامة عند ابن القيم ، نريد أن نوضح ونبيِّن مقدار تبعية ابن القيم للمدارس السابقة عليه في هذه المسألة ، أو ابتكاره فيها ، إن كان له فيها ابتكار.

والمذاهب في هذه المسألة خمسة :

١- مذهب الجهمية ٢- مذهب المعتزلة ٣- مذهب الفلاسفة
٤- مذهب الأشاعرة ٥- مذهب الكرامية.

وهم ينقسمون من حيث إثبات الصفات ونفيها إلى قسمين:

فالنافون لها هم : الجهمية ، والمعتزلة ، والفلاسفة.

والمثبتون لها هم : الأشاعرة ، والكرامية

ولنُبيِّن رأي كل فرقة من هذه الفرق نقول :

أ- أما الجهمية[1]: فقد امتنع مؤسسها عن وصف الله تعالى بأنه شيء، أو عالم، أو حي ومريد، وقال: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره، كشيء موجود، وحى، وعالم، ومريد، ونحو ذلك، ووصفه بأنه قادر وموجد، وفاعل، وخالق، فإن هذه الأوصاف مختصة به تعالى[2]. فالجهمية بهذا تنفي صفات المعاني، وغيرها عن الله تعالى؛ لأنهم رأوا أن هذه الصفات تطلق على المخلوقين، وقد أطلقوا عليه بعض الصفات التي تختص به وحده، إلا أن (جهما) ذكر من هذه الصفات التي تختص بالله (القادر)؛ وهذا الوصف

---

1 هم اتباع جهم بن صفوان المتوفى سنة ١٢٨

2 الفرق بين الفرق للبغدادي ص١٩٩ طبع مطبعة المعارف . والتبصير في الدين للاسفرائيني ص٦٤ طبع عزت العطار

مما يطلق على العبيد، فيقال محمد قادر وبكر عاجز ؛ فكيف أطلق هذا الوصف على الله تعالى؟ لكنا إذا علمنا أن (جهما) كان ينفى استطاعت العبد وقدرته على الفعل، ويرى أنه مجبور في فعله، فلا يوصف عنده بالقدرة، كانت القدرة مما يختص بها الله تعالى ، فإطلاق هذا الوصف عليه لا ينافى مذهبه.

ب-وأما المعتزلة: فقد نفوا زيادة الصفات على ذات الله تعالى ، وقالوا في صفات المعاني التي ورد ذكرها في الشرع الشريف من السمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة ، وغيرها، إن هذه الصفات نفس الذات على رأي البعض الأخر.

وحجتهم في ذلك امتناع تعدد القديم ، فإن تعدد القديم كفر، فإن النصارى قد كفرت بإثبات ثلاث من القدماء ؛ فكيف الحال في من أثبت أكثر منها؟[1].

ويقول صاحب التبصير في بيان رأي المعتزلة في الصفات : (المعتزلة ينقسمون إلى عشرين فرقة، ومما اتفق عليه جميعهم من مساوي فضائحهم نفيهم صفات الباري جل جلاله، حتى قالوا إنه ليس له علم ولا قدرة، ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا بقاء، وأنه لم يكن له في الأزل كلام، ولا إرادة، ولم يكن له في الأزل اسم ولا صفة، لأن الصفة عندهم هي وصف الواصف، ولم يكن في الأزل واصف والاسم عندهم التسمية ، ولم يكن في الأزل مسم ، وهذا يوجب أن لا يكون لمعبودهم اسم ولا صفة)[2].

فهذه النصوص تدل على أن المعتزلة كانوا ينفون صفات المعاني عن الله تعالى، وإنهم لم يصفوها بأي صفه خوفا من تعدد القدماء.

ت- أما الفلاسفة : فقد نفوا صفات الواحد سبحانه وتعالى ، ونفوا زيادتها على الذات ، وقالوا إن ما ورد ذكره في الشرع من وصف الله تعالى بالعلم ،

---

1 راجع شرح العقائد النفسية ص٢٥٩

2 التبصير في الدين للاسفرائيني ص٣٧

والقدرة ، والإرادة ، وغيرها، فكله يرجع إلى صفة العلم، فالعلم عندهم نفس الذات، لأن الله تعالى في نظرهم -عقلا - محض ، وفكر محض ؛ فليس هناك صفات زائدة على ذات الواحد سبحانه وتعالى .

واستدلوا على نفي الصفات بقولهم : إنه لو كان له صفات زائدة على ذات الله تعالى للزم التركيب في ذاته، والتركيب في ذاته محال، لأنه بسيط من كل وجه لا تركيب فيه أصلا.

د- أما الأشاعرة : فقد أثبت جمهورهم صفات سبعة لله تعالى، وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، ويسمون هذه الصفات صفات المعاني ؛ لأنها تثبت معنى زائداً على ذاته تعالى ، وقد أثبتوا لها خصائص أربع :

١- إن هذه الصفات ليست هي الذات، بل زائدة عليها، فصانع العالم تعالى عالم بعلم، وحي بحياة وقادر بقدرة ومريد بإرادة، وسميع بسمع ومتكلم بكلام، وقد أنكر الفلاسفة والمعتزلة ذلك كما سبق.

٢- إن هذه الصفات كلها قائمة بذاته، ولا يجوز أن يقوم شيء منها بغير ذاته، سواء كان ذلك القيام في محل ، أو لم يكن في محل.

٣-إن هذه الصفات كلها قديمة : فإنها وإن كانت حديثة كان القديم سبحانه محلا للحوادث ، وهو محال، وهم بذلك يردون على الكرامية الذين جعلوا صفات الله تعالى حادثة قائمة بها. وجوزوا قيام الحوادث بذاته تعالى[1].

١- قالوا إن الأسامي المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبعة صادقة عليه أزلا وأبدا ، فهو في القدم كان حيا وقادرا ومريدا ....الخ.

ه- أما الكرامية : أتباع محمد بن كرام السجستاني ، فقد وصفوا معبودهم بجميع الصفات من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام ، وغيرها من الصفات التي ورد بها الشرع ، وبالغوا في ذلك حتى أطلقوا عليه أنه جسم ،

1 الفرق بين الفرق البغدادي ص٢١٤؛ وشرح العقائد النفسية ص٢٥٨

وقالوا إنه تعالى محل للحوادث ؛ فتحدث في ذاته أقواله وإرادته وإدراكه للمسموعات والمرئيات.

وقالوا إنه كان خالقا قبل أن خلق ورازقا قبل رزق ومنعما قبل أن أنعم، ومعنى خالقيته قدرته على الخلق، ورازقيته قدرته على الرزق، والقدرة قديمة، والخلق والرزق حادثان فيه بقدرته.

وبعد هذا العرض الموجز لآراء الفرق المختلفة في الصفات، نرى أن ابن القيم لم يتأثر بفرق النافين في رأيه في الصفات؛ بل إنه قد رد عليهم ردا شديدا، وجعلهم من المعطلة. وأما فرق المثبتين فنرى أن ابن القيم قد تأثر بهما معا ؛ فابن القيم قد أثبت من صفات الكمال ما هو أكثر من الصفات السبعة ، وجعلها زائدة على ذاته تعالى. كما أنه قد قال بقيام المتجددات بذاته تعالى، إذ أن أفعاله متجددة شيئا بعد شيء[1] ، وهو بذلك يوافق الكرامية فقط ، دون الأشاعرة الذين ردوا على الكرامية في قولهم ببقاء الحوادث بذاته تعالى.

ومن هنا يتضح أن ابن القيم قد تأثر بالمذهبين ، وإن كان تأثره بمذهب الكرامية أكثر، وهو مسألة الصفات قد انتخب رأيه من بين المذاهب المتعددة السابقة ، وعلى هذا لم يتخذ مذهبا معيناً.

الخاتمة :

بحمد الله وتوفيقه فقد بحثت عن العالم الجليل بن القيم الجوزية المتوفي ٧٥٢هـ، عن الصفات، وموقف العلماء منه مستنداً في ذلك على كتاب (مدارج السالكين)، وكتاب (الاقتصاد في الاعتقاد) من مصنفات ابن القيم، كما استعرض الباحث آراء الفرق، والمذاهب من كتاب (الفرق بين الفرق)، و(شرح العقائد النسفية)، و(شرح المقاصد)، وكتاب (التبصير في الدين) لأبي إسحاق الأسفراني.

وخلص الباحث إلى نتائج ، وتوصيات ، فمن النتائج :

١. يرى ابن القيم أن الله يتصف بكل كمال ، ويتنزه عن كل نقص.

---

1 مختصر القواعد المرسلة ج١ ص٢٦٢

٢. كما يستدل ابن القيم على هذه الصفات بالعالم ، و ما فيه من عجيب إتقان وصفه ، كما يرى أن هذه الصفة لهذا العالم تدل على صاحبها .

٣. إن الصفات داله على وحدانية الله سبحانه وتعالى ؛ لذلك لا يجب الاختلاف حولها .

التوصيات :

١. يوصى الباحث بدراسة تراث ابن القيم ، واستخلاص ما فيه من آراء حول الصفات ، وشرحها بطريقة يسهل فهمها بأدلة من القرآن والسنة.

٢. كما أن طريقة ابن القيم ، ومنهجه السلفي على طريقة منهج السنة والجماعة ؛ لهذا يوصي الباحث بتدرج نصوص من كتب ومناهج التربية الإسلامية في المعاهد العليا والجامعات.

٣. يوصى الباحث بدارسة الصفات دراسة مفصلة ؛ وذلك للوقف على رأي موحد يليق بصفاته تعالى.

المصادروالمراجع :

*** القرآن الكريم .**

١- السبكي ، تقي الدين علي بن عبد الكافي، الاعتبار ببقاء الجنة والنار، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢ ، ١٣٩٣هـ .

٢- ابن قيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٩م.

٣- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الفكر العربي، بيروت، ط١ ، ١٩٧١م.

٤- ابن كثير، أبو الفداء عمر بن إسماعيل، البداية والنهاية، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

٥- الأسفراني ، أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ، التبصير في الدين، دار بن القيم ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩١ هـ.

٦- ابن القيم، الجوزية ، تفسير سورة الفاتحة ، المطبعة الإسلامية ، بيروت ، ط٤، ١٤١٨هـ.

٧- عبد الرازق، مصطفى، التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مكتبة ابن رشد، الرباط، المغرب ، ط١، ١٤٠٥هـ.

٨- ابن القيم، الجوزية ، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٨هـ.

٩. العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ط١، ١٣٨٢هـ.

١٠ ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن التميمي القرشي، درء شبهة التشبيه بأكف التنزيل، مطبعة المغربي، القاهرة، ط١، ١٣٨٣٤ هـ.

١١- السبكي، تقي الدين، السيف الصقيل في الرد على بن زفيل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

١٢ـ ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي أحمد الحنبلي، شذرات الذهب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣ ، ١٤٠٠ هـ .

١٣ـ النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمد، شرح العقائد النسفية، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط٣، ١٤٠١ هـ .

١٤ـ ابن رجب، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن رجب الحنبلي ، طبقات الحنابلة، دار المعرفة ، بيروت، ط٢، ١٩٨٦ م.

١٥- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط٤ ، ١٤١٢ هـ .

١٦- الذهبي، أحمد بن محمد بن عثمان، كتاب المعاجم، مكتبة الرشد، الرباط، المغرب، ط١، ١٤٠٨ هـ.

١٧- بن رشد، محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي المالكي، كتاب المقال ومناهج الأدلة، مكتبة الرسالة ، بيروت، ط٣ ، ١٣٩٢ هـ .

١٨- ابن القيم، الجوزية ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، مكتبة الفرزدق ، الرياض ، ط١، ١٤٠٢ هـ.
١٩- الموصلي، أبو عبد الله محمد، مختصر الصواعق المرسلة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٥ هـ .
٢٠- الزركشي، أبو عبدالله بدر الدين بن محمد بن بهادر، معجم الكتب العربية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٨ هـ.
٢١- ابن القيم، الجوزية، هدى الأرواح إلى بلاد الأفراح، مكتبة المعارف، الرباط المغرب ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ .

القيم الإسلامية التربوية للنشاط الطالبي في الجامعات

د. محمود محمد أحمد علي عثمان[1]

المستخلص:

هدف هذا البحث إلى إبراز أثر النشاط الطالبي في الجامعات على شخصية الطالب بحسبانه شخصية قيادية ، مجتمعية ، مستقبلية ، تؤدي أدواراً محددة بالشخصية الإسلامية الرائدة التي تتأهل بطريقة محددة في التربية الإسلامية.

استخدم الباحث عدة مناهج في هذه الدراسة، وهي المنهج الاستقصائي في تحديد أوجه النشاط الطالبي في الجامعات، والمنهج التحليلي في بيان أثر هذه المناشط في شخصية الطالب الجامعي، وأثرها في المجتمعات المسلمة، وبيان أساليب الطلاب في القيام أدوارهم، ومناشطهم، كما استخدم المنهج الوصفي في التعريف بالمصطلحات، والمفاهيم المتصلة بموضوع البحث.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها: فعالية دور النشاط الطالبي في الجامعات في الإسهام في تنمية المجتمعات المسلمة من خلال النشاط الطوعي التي تهدف المناشط إلى القيام به. وكذلك أهمية هذه المناشط في بناء شخصية الفرد المسلم المتمثل في الطالب الجامعي؛ وذلك من خلال الاحتكاك الذي توفره هذه المناشط بالمؤسسات العامة والمسؤولين، والتعامل مع القضايا المجتمعية الحية لتلك المجتمعات.

مقدمة:

كلّما اتسعت التجربة، وتعدَّدت مواقفها، وفُحصت بعلمٍ - كان نتاج ذلك أقربَ للصواب في اقتراح الآراء البديلة؛ فتتلاقح بذلك الأفكار، وتستفيد الممارسات من حصائد بعضها، وتُجتَنب المخاطر.

وفي الجامعات العربية والإسلامية تراث عريض من النشاط الطالبي سطرته الأجيال المتعاقبة منذ ما قبل الاستقلال، وما تلَتْه من عقود، أثمر ذلك الحراك الكثيف خيراً كثيراً

1 أستاذ الدراسات الإسلامية المشارك بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية – دنقلا، بجامعة دنقلا.

على أمة الإسلام، وما زال، إلا أن كثيراً من العوامل قد اجتالته عن جادته وأهدافه؛ كان ذلك بتآمر من عدوٍ يتربص في بعض الحقب، وكثيراً ما جاء استجابةً للاستفزاز، أو عامل عرضي، لكن ذلك كله قد أضر بالطلاب، ومجتمعاتهم، وأوطانهم، وهويتهم كثيراً.

و(الأمة) في الهوية الإسلامية هدفٌ، ومرتكزٌ واضحٌ بوضوح الهدي القرآني: {ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاء وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِين}(سورة الأنبياء، الآية ٩٢)، وقد شخّص القرآن ملامحها، وبيّن خصائصها، كما في قوله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُون} (سورة آل عمران، الآية ١١٠). والعمل لتعزيز الانتماء لها دورٌ أناطه الله تعالى بالرسل عليهم السلام، فقال: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون)[1]، وهو أمر لهم وللمؤمنين. ثم أعاب الله تعالى على مخالفيهم في ذلك فقال: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُون}[2]. ودلّ القرآن على مكتسبات الأمة، وحض على تعزيزها، والعمل على التمسك بها، فقال تعالى: {وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِين}[3].

أقدم في هذه الورقة رؤيةً إسلامية من دراسةٍ نقدية لجانبٍ من التجارب الطالبية، والإدارية في الجامعات، تستبين من خلالها نظرةٌ تأسيسية لنشاط طالبي في الجامعات الإسلامية – في العالم العربي وغيره – قائم على المقاصد الإسلامية وقواعد العمل العام في الإسلام، وينأى عن الممارسات السالبة التي لا تخدم الأهداف التربوية لذلك النشاط، والذي يجب أن يُمارس ويُدار عبر أهدافه التي تتكامل مع الرسالة التربوية للتعليم العالي. ومع كل ذلك تجعل من الانتماء للأمة هدفاً محورياً في شخصية الطالب الجامعي، ومداراً لاهتماماته وأنشطته، وطموحاً يصحبه في مستقبل أيامه بعد سنوات الطلب.

---

1 سورة المؤمنون، آية ٥١–٥٢.

2 سورة المؤمنون، آية ٥٣.

3 سورة المائدة، آية ٨٤.

وتأتي أهمية هذا الصنيع من المفهوم الراسخ في الذهنية المسلمة عن دور الشباب في الحضارة الإسلامية، بناءً وتجديداً وحفظاً.

ومن المفهوم أن النشاط المعني بهذه الدراسة هو غير (النشاط الصفي) الموصوف في العلوم التربوية، وهو كذلك غير (النشاط اللاصفي)، فكلا النشاطين المذكورين يتصلان بالدراسة الأكاديمية، بينما النشاط المعني بهذه الدراسة لا يتصل بالضرورة بالدراسة الأكاديمية للطلاب الجامعيين، وإن أسهم في نشاطٍ أكاديمي لهم، أو استفاد منه، لكن المعني بالدراسة هنا ذلك النشاط المجتمعي الذي يقوم به الطلاب الجامعيون داخل جامعاتهم، أو خارجها في محاولتهم الإسهام بقدرٍ ما في حركة مجتمعاتهم.

ومعلوم إسهام الطلاب في أوطانهم في مجالات الحياة العامة بدءاً بالعمل الطوعي الإنساني، وفي الحياة الثقافية بشتى ضروبها، وإسهامهم في كل التجارب السياسية منذ ما قبل استقلال أوطانهم، ومن ثم في تغيير الأنظمة، وفي تفعيل برامجها، وفي إنجاح سياساتها، وفي تجديد كوادرها، ولم يكن يتسنى للطلاب القيام بتلك الأدوار المهمة لولا (النشاط الطلابي)[1] النّر الذي شهدته أروقة المحافل التعليمية المختلفة في مراحل التعليم الثانوي والعالي؛ ففيه ترسخت المفاهيم والقناعات بتلك الأدوار، وفيه شُحذت الهمم لِلَعِبها، وفيه تدرَّب الطلاب على القيادة، والإنجاز، والفاعلية، والنجاح.

وانتهجت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي في توصيف تجربة النشاط الطالبي في الجامعات، ثم المنهج التحليلي في نقد بعض التجارب لبيان محاسنها في بلوغ أهدافها التربوية ، أو لبيان إخفاقها ، وتخلفها عن بلوغ تلك الأهداف.

---

1 الأصح في النسبة للجمع أن يُنسب للمفرد منه، فيُقال: أبوي، في النسبة لـ"آباء". إلا أن يكون اسم جمع، أي ليس له مفرد، مثل كلمة "أُناس" فيُقال: أناسي، وإلى "نسوة" تقول: نِسوي. الكتاب: سيبويه ٢٦١/١، موقع الورّاق.

الأثر الشخصي من العملية التعليمية:

لا شك إن العملية التعليمية في رمتها تهدف إلى بناء شخصية معينة عبر غرس عدد من الصفات، والمواهب السلوكية قد تبدو في المراحل الأولى، والباكرة جداً في العملية التعليمية صفات متركزة حول رفع الأمية عن المتعلم، وتمكينه من مهارات القراءة والكتابة كغاية مقصودة لذاتها، وليس الأمر كذلك، بل الغاية من العلم وسلوكياته هي رفع القُبح عن أخلاق الإنسان، والقُبح صفات أصيلة في الإنسان وليست عارضة، فلن يرتفع إلا بتلك العملية، وذلك أسُّ المقاصد الإسلامية في التعليم.

وفي هذا السبيل يتم التساؤل عن كفاية القلم لتلك الغاية، واحتياجه لوسائل أخرى. ولا شك أن القلم يحتاج في ذلك إلى وسيلة إضافية، وهي (المصاحبة)؛ لأن فيها المشافهة، والنظر، والمراجعة، وهذه هي الأمور الجامعة لوسائل التعلم والتخلُّق بالخُلق الحسن، قال الشاعر:

من يأخذ العلم من شيخ مشافهة *** يكن عن الزيغ والتصحيف[1] في حرمِ
ومن يكن آخذاً للعلم من كُتبٍ *** فعلمه عند أهل العلم كالعدم[2]

ولكن (التصحُّف)، و(أخذ العلم من كتب) ضرورةٌ تمليها ضروريات الحياة؛ فلا يسع العالم، ولا المتعلم أن يصحب شيخه طول أوقاته، ولعل في ذلك، ونحوه جاء قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن

---

(1) "التصحيف: أن يقرأ الشيء على خلاف ما أراد كاتبه، أو على ما اصطلحوا عليه".
التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، ص ٨٢.

(2) قائلهما هو تقي الدين محمد بن محمد الشمني . توشيح الديباج وحلية الابتهاج، بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي، تحقيق د. علي عمر . الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.

تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا}(سورة الأحزاب، الآية ٥٣)[1]، فقد شغف الصحابة رضي الله عنهم بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أن يتناوبوا على ذلك؛ فينيب بعضهم بعضاً[2]، طلباً للعلم؛ فيستحي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يفاتحهم فيما يجد من ضيق بذلك، ولكن الله تعالى: (لا يستحي من الحق).

ومن أهمية المصاحبة في التعلُّم جاءت عبقرية الإسلام في تخصيص طبقة (الصحابة) للنبي صلى الله عليه وسلم كمتعلمين، ومعلمين لمن هم بعدهم؛ ليكون ذلك جزءاً من نظام الإسلام في التعليم.

ولما توسعت الحياة شيئاً فشيئاً، وشغلت الناس صارت القراءة والكتابة وسائل أساساً في التعليم، حتى تخصصت معاهد للتعليم عن بُعدٍ عبر القراءة والمراسلة، لكن تظل تلك الوسيلة في التعليم ناقصة ومعيبة إن لم تعمل على توصيل رسالة الأخلاق، وبناء الشخصية السوية من خلال موادها، وبرامجها التعليمية؛ لأن تلك الرسالة هي جوهر العملية التعليمية مهما كانت وسيلتها سواءً كانت المصاحبة، أو المراسلة.

وقد نصّ النبي صلى الله عليه وسلم على هذا استهداف الأثر التربوي من وراء التعليم في حواره مع الغلام معلماً بقوله: (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ

---

(1) سورة الأحزاب، آية (٥٣).

(2) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك). صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم ٤٦/١.

اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)[1].

ويتضح من خلال ذلك كله أن الأثر الشخصي في سلوك المرء ينبغي أن يكون الهدف من كل العملية التعليمية ، ولا بد أن نعني بالأثر الشخصي ما يترسخ في سلوك الطالب ، أو المتعلم من صفاتٍ أخلاقية بنَّاءة في تجارب الحياة عموماً، مثل الصبر والإخلاص، والجِد، والعمل الجماعي، والإيثار ، وغير ذلك من الصفات السلوكية التي تكون أساس الإنتاج في أي جهد.

ولّما كانت البرامج التعليمية جميعها من تعليمٍ للمهارات، وتنمية للقدرات، واكتساب للمعارف – قد لا تفي بالتوصيل لذلك الغرض، كان لا بدَّ من برامج أخرى مصاحبة تتعدى قاعات الدرس، وأشخاص المدرِّسين، وهي المناشط التربوية؛ ولأن جُلَّ تلك المناشط ينظم بواسطة الطلاب أنفسهم بما توارثوه من خبرات عن أجيالهم السابقة – فقد تسمى أحياناً بـ(المناشط الطلابية).

ولما كان النشاط الطالبي ذلك فرعٌ من وسائل التعليم، ومنهجٌ للتعلُّم، كانت له أهدافه الخاصة التي يرمي لها، ولا يتأتي أثر العملية التعليمية كاملاً إلا به، منها:

تتمة الأخلاق التي لا ترصد لها برامج تعليمية معينة:

إن من غايات النشاط الطالبي الكبرى تتمة الأخلاق، ولقد أصاب الرسول صلى الله عليه وسلم جوهر العملية التعليمية حينما لخَّص رسالته بقوله: (إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)[2]، فالأخلاق هي جوهر العملية التعليمية وغايتها.

---

(1) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي: سنن الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م. أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

(2) "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ورواه البزار". مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي ١٥/٩.

وقد تُرصد برامج معينة لهذه الغاية، مثل برنامج (التربية الوطنية)، وإن كان غاية ما يناله الطالب منها هو التعريف بالوطن، وتاريخه، وسياسات الحكومات التي تديره، ومثل برنامج (التربية الدينية) وإن كان غاية ما يناله الطالب منها هو المعلومة العقدية، أو التشريعية، أو سيرة الصالحين من الرسل، وغيرهم.

وخير البرامج التعليمية على الإطلاق لغرس الأخلاق في المتعلم هي صحبة الصالحين من المعلمين، والأقران الذين يجسِّدون الأخلاق في ممارساتهم على السليقة لا ادعاءً؛ لأنهم يختصرون على المتعلم كثيراً من الاستفسارات عن الكيفية؛ فهم يجسدون المُثل، كما يزيلون عن المتعلم المخاوف من تغيير السلوك، وما أكثر ما يحجم الناس عن الصلاح من باب خوفهم من الجديد.

من أجل ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خير معلم جادت به البشرية؛ لأنه تجسَّد ما كان يدعو الناس له، وحقق قول النبيين قبله{الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[1]، وقد ائتمر بأمر الله تعالى: {لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}[2].

ومن هذه الفكرة تستمد الأنشطة الطالبية مشروعية أهدافها؛ فهي توفر الاحتكاك، والمصاحبة التي لا تتوفر في البرامج التعليمية غالباً؛ فالرحلات الاجتماعية والعلمية، والمشاريع الخدمية المختلفة التي يشترك فيها الطلاب كجماعات يستفيد فيها بعضهم من صفات بعض، ويتعرف بعضهم بصورة ألصق بأخلاق بعضٍ، وميولهم وقدراتهم الشخصية. كل تلك المعارف جديدة للطالب ما كان لينالها لو أنه عكف حبيساً بين جدران الدراسة.

غير أنه يجب الانتباه إلى أن تكون تلك المناشط موجَّهة، وإلا سيجد سيئو الأخلاق أيضاً متّسعاً لممارسة فسادهم ، ونشر مساوئهم ؛ فيتأثر بها بعض الطلاب كذلك.

---

(1) سورة هود، آية (٨٨).

(2) سورة الأنعام، آية (١٦٣).

وحتى يأخذ هذا الغرض طريقه من خلال المناشط الطالبية المختلفة – لا بد من مشرفين عليها، ويشترط في المشرفين أن يكونوا من خارج الوسط الطالبي. وكذلك ينبغي الانتباه إلى مخاطر هذا الجانب في الإشراف؛ فقد تتسرب إلى المجال الطالبي أغراض دخيلة تستغل ذلك المجال لتمرير أجندتها الخاصة؛ فقد دلت التجارب في هذا المجال على استغلال الأحزاب السياسية ـ مثلاً ـ للطلاب من خلال المناشط الطالبية لتمرير أجندتها الخاصة بها في صراعها مع الحكومات المختلفة، كما قد تستغل بعض الجهات التجارية السيئة المناشط الطالبية؛ فتمولها بغرض تمرير تجارتها، كما يفعل بعض مروِّجي المخدرات.

تعريف الطالب بحركة المجتمع :

كما تهدف المناشط الطالبية أن يتعرف الطالب – وهو مازال في المحيط التعليمي – بحركة الحياة المجتمعية من حوله، وطبيعة العلاقات المختلفة التي تربط أطراف ذلك المجتمع من النساء والرجال، والعلاقات التجارية والمعاملات المالية والعلاقات القانونية بين مختلف الجهات في مجتمعه. فمن شأن ذلك أن يُعد الطالب للحياة المقبلة ، ويفتِّح مداركه على ما هو مقبل عليه من مجالات حيوية جديدة تختلف بالكلية عن الحياة الطالبية التي يعيشها، والتي تسودها المثالية المجردة في كثير من الأحيان. ولا يخفى المقصد الإسلامي في هذا الشأن ؛ فالتعريف بحركة المجتمع للطالب ينمِّي فيه المسؤولية الاجتماعية التي أشار إليها القرآن والحديث في نحو قوله: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيم}[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم:(من لم يهتم للمسلمين عامة فليس منهم)[2]، كما أن ذلك من شأنه صيانة الطالب من الانزلاق في مخادع الحياة ؛ فلا يكون قابلاً للتغرير به بمظاهر لا يفهمها ، وما يُعاش اليوم من ظواهر غريبة في تفكير الأجيال عن المعتاد ما هو إلا ثمرة من حدوث تلك المحاذير التي ينبغي أن تُدرأ بالنشاط الطالبي، فظاهرة الشباب الذين يثرون فجأة بوسائل غير شرعية ، ثم

---

(1) سورة التوبة، آية (١٢٨).

(2) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، الطبعة الأولى. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ٣٥٢/٤.

يفلسون بممارسات غير شرعية كذلك ما هي إلا ثلة كرّست جُلّ تفكيرها في مرحلة الطلب في استعجال الثراء في الحياة العامة بأيّ وجه كان، ولم تعرف طبيعة المعاملات والعلاقات والمآلات التي تكمن خلف تلك الأمور. كما أن الانزلاق في براثن السُكر والمخدرات بعد التخرج إلى الحياة العامة ما هو إلا محاولة هروب من الواقع الجديد غير المفهوم إلى خيالات اللاوعي، فلو ضمنت البرامج الطالبية تعريف الطلاب بتلك الحياة المقبلة ، وتجسيدها لهم في مناشط مبسطة تعطي فكرة للطالب عن تلك الأمور ، وحجم المسؤولية فيها والمخاطر المحيطة بها ، وتبصيره بما عليه القيام به تجاههها – لقلت مظاهر الانزلاق في براثن الاحباط ، وأشكاله المختلفة بعد التخرج.

وهناك أمرٌ آخر لا يقل خطورة من تلك المظاهر الشخصية السالبة، وهو صراع الأجيال الذي يفضي غالباً إلى نسف مكتسبات السنين الخالية التي حققتها الأجيال السالفة للأجيال اللاحقة، وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)[1]. فينبغي أن يُوجَّه النشاط الطالبي في قسم منه إلى تقدير مكتسبات الأمة ، وتقدم الوطن وتقدير جهود الرجال الذين صنعوا الإنجاز، فلا يكونوا مثالاً لما عابه الله تعالى عليه بقوله: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)[2].

ومن مثل هذه المحترزات يدخل الأعداء مداخلهم على الشعب، فهم يستهدفون الشباب والأجيال الصاعدة ليغرروا بهم، وليُحمِّلوهم ثقافتهم، بل ومصالحهم؛ فيحملها البعض، وإن كانت ضد مصالح أهلهم ، ويسهموا في مصالح أعدائهم أكثر مما يسهموا في بناء مشاريع أوطانهم.

---

(1) سورة الحشر، آية (١٠).

(2) سورة النحل، آية (٩٢).

ولْيبدأ هذا الدور في التعريف بحركة المجتمع منذ مراحل التعليم الأولى للطالب، فيملؤه الفرح بالمظاهر الحسنة، ويُشعَّر بأنها مِلْكه ومِلك وطنه، فينمو فيه إحساس الوطنية ، وتملُّك الوطن للإمكانيات العظيمة ، فتنمو فيه الثقة بوطنه ومستقبله ، وطاقات شعبه.

وفي المقابل لهذا الغرض ينبغي ألا تعمل البرامج التعليمية على إبهار الطالب، وتفقيده الثقة في نفسه في إمكانية الإبداع، والتجديد والتطوير. ويُنمّى هذا الجانب في شخصية الطالب من خلال مساحة للإبداع في مرحلة الطلب يُسهم من خلالها في المشاريع العامة الجارية، أو مناقشة الإنتاج القومي ونقده ، لبلورة أفكار إيجابية بنَّاءة.

خصوصية المرحلة الجامعية في الأهداف التربوية:

ينبغي أن يتذكر الطالب والقائمون على إدارة النشاط الطالبي أن هذه المرحلة العمرية هي التي جاء فيها قول الله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)[1]، ففي هذا الطور من العمر جاءت نماذج الحياة الصادقة من أمثال الصحابي مصعب بن عمير ، ومعاذ بن جبل ، وغيرهم من شباب الصحابة رضي الله عنهم ، الذين ضربوا في تاريخ الإسلام خير المُثل ؛ فصاروا مشاعل ؛ فصحّ فيهم قوله تعالى: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)[2].

ولقد بلغ الطالب الجامعي من العمر ما يقف مشرفاً منه على فئات عدة تحته ؛ فيرى نفسه وقد ارتفع عنها درجات يستأهل بذلك أن يغايَر في التعامل عنهم، ويميَّز بأسلوب أرفع عن الجبر والفرض، فتشتد عنده لهجة المطالبة بالحرية الفردية ، والديمقراطية للجماعة.

ثم إن الطالب الجامعي في هذه المرحلة يجد نفسه في تعاملٍ مع بعض علية قومه من أمثال المستشار، والقاضي، والوزير، فضلاً عن الدكتور، والبروفسور، والعميد، وكبار ضباط القوات النظامية، والخدمة العامة، وذلك من خلال المحاضرات الأكاديمية التي يشاركون الجامعة فيها تدريساً أو من خلال المحاضرات العامة التي تستضيفهم المناشط المختلفة فيها، فمن خلال ذلك الاتصال يتولد عند الطالب الجامعي نوع من الثقة بالنفس يفرض عنده

---

(1) سورة الأحزاب، الآية ٢٣

(2) سورة الكهف، الآية ١٣

الشعور بتحقيق الذات. ويزداد ذلك الشعور إن لمس ذلك الشاب هنَّات، أو قصوراً، أو ضعفاً في أولئك النفر؛ فيساوره بذلك الظن في الترفع عنهم، وازدرائهم؛ فيزداد ذلك الشعور عنده، ويزداد في الاستعلاء على واقعه، وتزداد عنده حاسة المطالبة حتى لا يكاد يعي في بعض الأحيان ما يطلب.

في ظل ذلك الشعور المؤسَّس، أو غير المؤسَّس على ما قد يدعوهم إليه، ينبغي أن يتم التعامل مع الشباب في هذه المرحلة بالطريقة الآتية:

تجنُّب الاحتكاك الجسدي، أو التعامل المباشر مع الطلاب ما أمكن ذلك، وينبغي التعامل معهم عبر أعضاء هيئة التدريس المتمرسين، وكبار السن ما أمكن، وتأتي ضرورة ذلك للحد من إمكانية حدوث المشاجرات، أو الممارسات الخاطئة التي تصاحب المظاهرات، والجمهرة التي تسهِّل على المندسِّين القيام بأعمال تخريبية. ويمكن أن نستشفَّ ذلك من رعاية النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة عمِّه بعد جدّه، قال الشيخ محمد الغزالي: (وقد تأخرت سن عبد المطلب حتى قيل: إنه توفي وله مائة وعشرون سنة، إلا أنه فارق الحياة وعُمْر محمدٍ يناهز الثمانية، فرأى - قبل وفاته- أن يعهد بكفالة حفيده إلى عمه أبي طالب. ونهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه، ضمَّه إلى ولده، وقدمه عليهم، واختصه بفضلِ احترامٍ وتقدير. وظل فوق أربعين سنة يعزُّ جانبه، ويبسط عليه حمايته، ويصادق، ويخاصم من أجله. ودرج محمد عليه الصلاة والسلام في بيت أبي طالب، والسن تمضي به قدماً إلى الوعي العميق بما حوله؛ فأصر على أن يشارك عمَّه هموم العيش، إذ كان أبو طالب -على كثرة أولاده - قليل المال، فلما قرر أن يمضي على سنن آبائه في متابعة الرحيل إلى الشام ابتغاء الاتجار، والربح قرر أن يكون معه)(الغزالي، ١٩٦٥، ٥٧).

- كما ينبغي ألا يتم التعامل مع الطلاب بواسطة أشخاص غير مرغوب فيهم من الإداريين. كما يُستحسن استحداث أنظمة للتعامل عن بُعد مثل صناديق الطلبات، أو الإنترنت، ونحو ذلك تجنباً للتعامل الإداري المباشر.
- إشراك الطلاب في إدارة شؤونهم بالاستعانة بمنظماتهم الداخلية من اتحادات، وروابط ، ونحو ذلك في أداء الخدمات المخصصة للطلاب. وذلك من شأنه تدريب

الطلاب على القيام بالمسؤوليات في مستقبلهم، كما من شأنه تنمية روح العمل الجماعي لديهم، واحترام بعضهم البعض، وحسن التصرف في إدارة الأزمات وحل المشكلات.

وقد أفرزت التجارب التي لم تعمل بهذا المبدأ سلوكيات طلابية سيئة شهدتها المدارس الثانوية، والجامعات السودانية في حقبة طويلة كان الطلاب فيها يعتمدون على إدارة المدرسة، أو الجامعة في تلبية احتياجاتهم؛ فيجلسون للمطالب، ثم لا يلبثوا أن يطالبوا بإجازة عن الدراسة لغير سبب.

- تخصيص الأماكن الكافية، والمساحات المناسبة لممارسة الأنشطة المختلفة، حسب طبيعة النشاط. ويُحبّذ في ذلك أن تكون تلك الأماكن بعيدة عن الحرم الجامعي، في الجامعات التي لا تأمن غائلة العنف الطالبي من أحداث الشغب والعراك بينهم.
- توعية الطلاب بدورهم في تنمية الجامعة، والمساهمة في أدوارها الداخلية والخارجية؛ فالطلاب من شأنهم أن يرفعوا مستوى أداء الجامعة سيما في أدوارها المجتمعية، كما يستطيعون الإسهام في تكملة البنيات الأساسية للجامعة عبر علائقهم الاجتماعية، أو السياسية لمنظماتهم الطالبية إن شعروا بأنهم معنيون بذلك.

وتستمر التنمية الطالبية للجامعة إن نجحت إدارة الجامعة في تصوير هذا الأمر كسنَّة للدفعات المتعاقبة من الطلاب، وذلك بتسمية البنيات بأسماء المساهمين فيها؛ فتُسمى القاعات مثلاً بأسماء الدفعات التي أنشأتها، أو أسستها، أو بأسماء الطلاب الذين سخّروا علاقاتهم فيها.

والجامعات السودانية الآن تفعل ذلك مع الشخصيات العامة، أو الأُسر، أو الشهداء، فلا غضاضة في جعل ذلك الأمر ضمن منظومة الأهداف التربوية الموجّهة نحو طلابها.

- توعية الطلاب بدورهم المجتمعي، والذي يقوم على رسالة الجامعة المجتمعية؛ فذلك الدور قد لا تستطيع الجامعة القيام به إلا من خلال برامجها الأكاديمية، وذلك أمرٌ مختلفٌ عما هو مقصود في رسالة المؤسسة الجامعية، وقد لا تصلح أجهزة الجامعة الإدارية للقيام بهذا الدور مثلما يقوم به الطلاب.

- ويتوجب أن يقوم الطلاب بهذا الدور تحت الإشراف الكامل للجامعة حتى تضمن نفاذ رسالتها للمجتمع، كما خططت له دون تشويه، وحتى ترصد أثر تلك الرسالة في مجتمعها.

والمنظمات الطالبية الأنسب لحمل رسالة الجامعة هي ذات الطابع الأكاديمي، أو الثقافي، وقد تصلح المنظمات الإقليمية أي التي تقوم بأنشطتها بواسطة طلاب إقليم محدد. فتلك المنظمات بحكم تكوينها لا تتقيد بأجندة خارجية إلا ما ندر، وفي أوقات سياسية محددة، فهي الأنسب إن خلت من تلك المؤثرات الخارجية ، وكانت نزيهة في تكوينها.

ويكتمل دور تلك المنظمات إن اتصلت بقدوة من الخريجين مهمومة بلعب ذلك الدور المجتمعي للجامعة من مواقعهم المختلفة في الحياة العملية، فمن شأن هؤلاء أن يوجِّهوا مسار تلك المنظمات نحو طريق واضح ومعبد، وأن يُغنوا الجامعة عن مراقبة مستمرة لذلك الدور إلا بالمعينات ، والمساعدات الفنية ، ونحو ذلك.

التكوينات الطالبية غاياتها ومناشطها :

أنواع التكوينات الطالبية وغايتها :

لقد أكثرت النصوص الشرعية من ذكر (الجماعة)، بل إن الله تعالى لم يخاطب في القرآن بلفظ المفرد إلا الأعيان من الأنبياء في مواقف معينة (يا آدم)، (يا نوح)، (النبي)، وجاء خطاب التكليف للمسلمين بلفظ الجمع في القرآن كله، وليس ذلك إلا للدلالة على استصحاب معنى الجماعة في كل مناشط الحياة، انطلاقاً للرسالة العالمية التي عليها مدار التعليم الجامعي بالإسهام الإنساني العالمي، وهو ما يشير إليه القرآن في قوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)[1].

تتعدد أنواع التكوينات الطالبية داخل الحرم الجامعي لا سيما التكوينات غير الرسمية، وأعني بالتكوينات الرسمية تلك التي لا تتعامل الجامعة مع الطلاب إلا عبرها؛ فتحت تلك التكوينات الرسمية تنتشر أعداد من التكوينات قد لا تتعامل الجامعة معها مباشرة،

(1) سورة الفرقان، الآية ١

لكنها بصورة غير مباشرة تعترف بها إن تشكلت عبر اللوائح، والقوانين المنظمة لنشطة الطلاب.

وتتمحور تلك التكوينات في أنواع، أو سمات رئيسة، مثل التشكيلات السياسية، والإقليمية، والأكاديمية، والثقافية، وتلك أشهر السمات للمنظمات الطالبية في الجامعات السودانية في العقود الأخيرة من القرن العشرين المنصرم (كرار، ١٩٩٦، ٦).

وعلى الرغم من تعدد أنماط المنظمات الطالبية ، لكن الرائي يلحظ ويدرك وجود أهداف سياسية في مناشطها في كثير من الأحيان.

ويلاحظ اختصاص كل نوع من تلك التكوينات بأسماء بادئة غالباً ما تتسمى بها ، فمثلاً التكوينات السياسية تتسمى دائماً بأسماء (تيار)، أو (اتجاه)، أو (كيان)، أو (مؤتمر)، أو (تحالف) وغيرها. أما التكوينات الثقافية فهي دائماً ما تتسمى بأسماء (جمعية)، أو (منتدى)، أو (رابطة)، أو (مجموعة)، أو (جماعة)، وغيرها. أما التكوينات الإقليمية فهي دائماً ما تتسمى باسم (رابطة)، أو (روابط).

التكوينات السياسية للطلاب وأهدافها:

قد تنشأ في الجامعة تكوينات طلابية سياسية الدوافع، أو سياسية الانتماء؛ فمن شاكلة النوع الأول تلك التي كانت في حقبة الاستعمار تنادي بالاستقلال، وجلاء المستعمر، أو تلك التي كانت تنادي بوطن لليهود في الأرض، وقد أسهمت تلك التكوينات بدور كبير وملاحظ في أغراضها السياسية تلك.

ومن شاكلة النوع الثاني (سياسية الانتماء) تلك التكوينات التي تكون امتداداً داخل الجامعة لأحزاب سياسية خارجها، لا سيما الأحزاب الكبيرة في الدولة، فقد كان لتلك الأحزاب أثر كبير في المجتمعات الجامعية وطلابها، وأثّرت سلباً، أو إيجاباً في ذهنية الطلاب ووعيهم، ولا شك أن الأثر الإيجابي لتلك التكوينات كان أكثر وضوحاً من تلك السلبيات التي أفرزتها بعض التجارب ، وفي حقبٍ سياسية محصورة.

فمن تلك الإيجابيات الكبيرة للتنظيمات السياسية الطالبية تغيير الأنظمة الحاكمة التي لا تجد قبولاً لدى مجتمعاتها. ففي السودان – مثلاً – غيّر الطلاب عدداً من الأنظمة الحاكمة للدولة[1]، الأمر الذي عجزت عنه الأحزاب السياسية الكبيرة.

وللتكوينات السياسية الطالبية أهمية قصوى في تنمية ملكات الإدارة والتفكير الجمعي عند الطلاب، والحوار البناء، وفض النزاعات؛ فمن خلال تلك المواقف ينضج الطالب السياسي، ويبرز كقيادة اجتماعية، أو كشخصية سياسية عامة مستقلة.

ومن أهم الأمور التي تستدعي قيام، أو تشكيل تكوينات سياسية عند الطلاب ما يأتي :

- التوعية بالاتجاهات السياسية والقضايا العامة ـ وإن كانت تلك الاتجاهات، والقضايا غير صادقة سياسياً ؛ بمعنى أنها غير مبدئية غالباً ـ فإن التوعية بتلك الأمور لا تحدث إلا من خلال الممارسة السياسية في تلك التنظيمات بواسطة المناشط المتعددة، مثل الندوات، والمحاضرات، وجلسات النقاش والصحف الخاصة بالطلاب.

وقد يستمر إيمان الطالب بتلك الأفكار التي تشكل الاتجاهات المختلفة، أو الآراء حول القضايا العامة إلى ما بعد تخرُّجه، وممارسته العمل العام في مجتمعه، فمعظم قيادات الأحزاب العقائدية، مثل الشيوعيين، والتقدميين، والإسلاميين تبنوا آراءهم، واتجاهاتهم تلك منذ أن كانوا طلاباً، وتشكلت قناعاتهم حول بعض القضايا منذ تلك الفترة، وصاروا بذلك امتداداً طبيعياً لأحزابهم السياسية، أو لتلك الآراء، والمبادئ، ولو تخلت عنها أحزابهم التي كانوا ينتسبون لها، أو انفصلوا هم عنها لسبب أو لآخر.

- كما يتحاج النظام الحاكم في كل البلدان إلى تنظيم سياسي طالبي، يدعم موقف الدولة في القضايا السياسية، ويؤيد سياستها العامة في الأمور المختلفة من خلال

---

1 كنظام ثورة "١٧ نوفمبر" برئاسة الفريق إبراهيم عبود الذي أطاحت به الثورة الشعبية التي حرَّكها الطلاب برمزهم الطالب الشهيد/ القرشي، وذلك في ٢١ أكتوبر ١٩٦٤م.

د. ديدار فوزي روسانو: السودان إلى أين. ترجمة: د. مراد خلاف. الناشر: كتب عربية للنشر والتوزيع الإلكتروني، ص ٢٩٦.

المسيرات السياسية المؤيدة، وملتقيات الحوار السياسي بين الطلاب وقيادات ذلك النظام الحاكم.

التكوينات الثقافية للطلاب وأهدافها:

تنشأ التكوينات الثقافية عند الطلاب من ملتقيات الهوايات، والميول؛ فيتجمع الطلاب أصحاب الفنون المشتركة، أو الميول المتوافقة ليشكلوا تنظيماً باسم ما يلتقون عليه؛ فتنشأ جمعيات الفنون، والآداب، والطبيعيات، والتنظيمات الفكرية.

تتميز التنظيمات الطالبية الثقافية عن السياسية والرياضية بالهدوء والبساطة في المناشط والمحافل، وتعتمد على الطلاب أنفسهم غالباً دون دعم خارجي إلا ما ندر، من أجل ذلك تركز إدارات الجامعات ، وأجهزة الدولة المهتمة بأنشطة الطلاب على إنشاء ودعم التكوينات الثقافية للطلاب ومناشطها.

وتتمثل التكوينات الثقافية الطالبية في المسميات الآتية:

جمعية الثقافية والآداب والفنون: وتنظِّم مناشط عامة تعبِّر عن كل اهتمامات الطلاب الفكرية ومواهبهم الإبداعية.

جمعية المسرح، أو التمثيل: وتجمِّع أصحاب موهبة التمثيل بصفة خاصة.

جمعية التراث: وتهتم بالثقافة الاثنية والتاريخ الاجتماعي والثقافي للمجتمعات.

جمعية الآداب: وتهتم بأصحاب مواهب الشعر (شعراء الجامعة) والنثر والفكاهة، والكُتّاب.

جمعية فنون التجميل والتشكيل: وهم أصحاب الهوايات المختلفة التي تجمل البيئة العامة سواء داخل، أو خارج الجامعة.

وتتمثل مناشط التكوينات الثقافية للطلاب في إقامة الأسابيع والليالي والأيام الثقافية، والمعارض، والمسارح الثابتة والمتنقلة في المدن والأقاليم، فضلاً عن مقرَّاتها في الجامعات.

كما تصدر التكوينات الثقافية للطلاب المطبوعات والمنشورات الثقافية، وتقيم المحاضرات والندوات والمنتديات الثقافية.

كما تتشكل بعض الجمعيات الثقافية من اهتمامات عامة لشرائح من الطلاب؛ فتنشأ جمعيات لهم، وروابط تقيم أنشطة في إطار اهتمامها، مثل:

جمعية الفلاحة والبساتين: والتي تهتم بثقافة التشجير والنبات؛ فتقيم المعارض الفلاحية، وتنشر ما تراه مفيداً للبيئة، والإنسان من أنواع النبات في الطرقات والميادين العامة.

جمعية حماية البيئة: وتهتم بمحاربة العادات البشرية الضارة بالبيئة، ونشر ثقافة الإصحاح لها.

كما قد تنشأ جمعيات لمحاربة ما يراه البعض عاداتٍ اجتماعيةً ضارةً، مثل الأميَّة وغير ذلك.

التكوينات الأكاديمية للطلاب وأهدافها:

تكتسب التكوينات الأكاديمية للطلاب أهميتها من دورها الذي تتمِّم به العملية التعليمية بمناشطَ تُنظِّمها، تنمِّى من خلالها اهتمام الطلاب بمجالاتهم الأكاديمية، وتوسع دائرة المعرفة المرصودة في البرامج التعليمية المقررة بواسطة الدوائر العلمية في الجامعة؛ فتنشأ جمعياتٌ مختلفة في العلم الواحد، فتجد في التاريخ مثلاً جمعية التاريخ الإسلامي، أو الحضارة الإسلامية، وجمعية التاريخ السياسي، وغيرها. وهكذا تتعدد التكوينات في الفن الواحد من العلوم.

وأهم ما تتميز به مناشط التكوينات الأكاديمية للطلاب هي المؤتمرات العلمية التي تعالج موضوعات علمية محددة لتسليط الأضواء، ولفت الاهتمام لها. فمن تلك التكوينات نجد مثلاً في بعض الجامعات:

جمعية الأرض: وهم تهتم بجغرافية وبيئية الأرض، وثقافة الأماكن والبلدان، سيما في الجوانب التي تنعكس فيها السلوكيات البشرية سلباً.

جمعية العلوم الأسرية: وتنظم أنشطتها لثقافة الأسر بصورة علمية، ورعاية الطفولة والأمومة، والثقافة التربوية لنشر المفاهيم التربوية المختلفة.

جمعية الطبيعة: وتهتم بالثقافة الفيزيائية وما خلف الفيزياء.

جمعية الفلسفة: وتهتم بالفلسفات المختلفة للشعوب.

جمعيات اللغة واللسانيات: وتهتم باللغات المختلفة وتعلُّمها ونشر الاهتمام بها.

الجمعيات الدينية مثل جمعية الثقافة الإسلامية، وهذه الجمعيات تهتم بنشر الثقافة الخاصة بأديان الطلاب المنتمين لتلك الروابط، أو الجمعيات.

التكوينات الرياضية للطلاب وأهدافها:

وهذه أوسع التكوينات الطالبية وأكثرها نشاطاً، وأسهلها تكويناً؛ وذلك لاعتمادها على المناشط الرياضية المجردة، فلا تحتمل الأهداف السياسية، أو الدوافع غير البريئة. من أجل ذلك تعتمد الإدارات في الجامعات إداريين من داخلها لتنظيم هذه الأنشطة، والإشراف عليها، وقد لا تعتمد على إداريين منها للمناشط غير الرياضية.

وتحتل كرة القدم الاهتمام الأوسع من الطلاب عادة. وقد دخلت مناشط رياضية عديدة ساحة اهتمام الطلاب في السودان مؤخراً مثل: البلياردو، وكرة السلة، والجري، والسباحة، وتنس الطاولة.

التكوينات الإقليمية للطلاب وأهدافها:

وقد تتشكل تكوينات للطلاب تضم أصحاب الأصول المشتركة إقليمياً مثل رابطة أبناء الشمال، ورابطة أبناء الجنوب، وهكذا. وقد تسمح هذه الروابط بالتسجيل لكل من له الرغبة في الاشتراك فيها من غيرهم بدافع تقوية الروابط بين الطلاب؛ فكثير من الطلاب يودُّ الانضمام لرابطة أبناء غير إقليمه للسياحة، والمشاركة في القوافل المتجهة لذلك الإقليم.

وتشجع الحكومات والإدارات الإقليمية مثل هذه التكوينات ؛ لِما تجده منها من فوائد في مشاريعها التنموية سيما في مشاريع التنمية البشرية مثل مشاريع (محو الأمية) الخطية والتقنية، ومثل الأيام الصحية وإصحاح البيئة، وغيرها.

وقد تضم الرابطة الواحدة عدداً من الأسر التي تنتمي للمدن المختلفة في ذلك الأقليم، أو قرىً فيه.

وغاية هذه الروابط في الجملة هي إبراز الملامح الخاصة لإقليمها الجغرافي سيما النواحي الثقافية، ولتقوية الروابط والصداقات بين أبناء ذلك الإقليم، ولتقديم خدمات مختلفة للطلاب المنتمين لها، مستغلين في ذلك الإمكانيات المادية لرجال الأعمال، والسياسيين، والفنانيين، والمشاهير من ذلك الإقليم.

طرق تأسيس التكوينات الطالبية:

قد تنشأ التكوينات الطالبية بمبادرة من بعض الطلاب، أو قد تقوم جهات إدارية داخل الجامعة، مثل عمادة الطلاب بتلك المبادرة، وتكون الإدارة دائماً طرفاً في التكوينات الأكاديمية، والرياضية، وتتجنب السياسية منها، والثقافية لعدم براءتها دائماً من الأغراض الخفية، وتكون الجهة المبادرة دائماً عن لجنة تأخذ الصفة الشرعية باسم اللجنة التمهيدية، ثم تنظم هذه اللجنة اجتماعاً عاماً للراغبين في الانضمام لهذا التكوين الوليد لتطرح عليهم مسودة أولية من قانون هذا التكوين الذي يسمى غالباً بأسماء (النظام الأساس)، أو (القانون)، أو (اللائحة)، أو (الدستور)، ثم يتم انتخاب لجنة دائمة بديلة لتلك اللجنة التمهيدية، وذلك حسبما ينص ذلك القانون المجاز الذي يحدد شكل تلك اللجنة، وقد يتم انتخاب لجنة أوسع لتتولى مهمة التشريع للتكوين، بينما تنحصر مهمة اللجنة الأولى في المهام التنفيذية.

ويُدعى لمثل هذه الاجتماعات التأسيسية شخصيات مؤيدة، وداعمة ذات وزن مثل السياسيين، والرأسمالية، والمشاهير، وذلك بغرض إسناد الدعم لهذه التكوينات.

ونفصِّل فيما يلي بعض ملامح وإجراءات التأسيس، وتلك القوانين.

اللجان التمهيدية:

هي تلك اللجان التي تتخذ الإجراءات التمهيدية، وتطّلع بالمهام المؤسِّسة لذلك التكوين، من شاكلة إعداد مسوَّدة القانون المؤسِّس، والدعوة للاجتماع الأول. وعادةً ما تتكون تلك اللجان من المجموعة المبادِرة، وتنشط في القيام بتلك الأدوار.

تتكون هذه اللجان عادةً من عدد محدود من الأشخاص لمحدودية الأدوار التي يطَّلعون بها، وليسهل التفاهم بينهم. ويُطلب في هذه اللجنة أن تضم عناصر منسجمة، ومتفاهمة، وواعية بدورها، وكيفية القيام بذلك الدور كما ينبغي، ويُشترط في أعضاء اللجنة – إن كانوا من الطلاب – أن يكونوا من المنضمِّين للتكوين المعني، لا سيما إن كان ذلك التكوين إقليمياً، أو أكاديمياً لحساسية هذه الانتماءات عند الطلاب، فأساس الانتماء لهذه التكوينات الإقليمية، والأكاديمية نعرةٌ، وقد تشكِّل أسّ الفشل إن تولى التمهيد للتكوين طلاب من غير المنتمين.

ويستحسن أن تتشكل اللجان التمهيدية من طلاب السنوات المتقدمة في الدراسة، ولا سيما في التكوينات الأكاديمية؛ ففي ذلك ضمان وثقة من الطلاب الأحدث، وتدريب لهم.

وتنحصر في مهام اللجان التمهيدية عادةً في أمرين أساسين، هما: حصر العضوية للتكوين الطالبي الجديد، وذلك بطرح استمارات لطلب العضوية، ومن ثم اعتمادها لتُقدَّم الدعوة لهم لأول اجتماع عام. والأمر الثاني هو إعداد مسودة النظام الأساس أو القانون أو الدستور لذلك التكوين المُزمَع. ومن بعدُ تتم الدعوة لأول اجتماع عامٍ للعضوية لمناقشة، وإقرار الأمور المؤسِّسة للتكوين الجديد، وذلك بمناقشة قانونه، وإقرار ما يُتفق عليه فيه، وتعديل ما يرون حذفاً، أو إضافةً.

الاجتماع العام الأول:

وهو ذلك الاجتماع الذي يؤسس للتكوين الطالبي المعني، ويسمى عادةً بالاجتماع (التأسيسي)، أو المؤتمر (التأسيسي)، وعادةً ما تُتخذ فيه تدابير معينة لإقامته، وإجراءات معينة لسير الأعمال فيه. والأهم في الأمر أن يخلص الاجتماع الأول إلى إصدار القانون المؤسِّس، وانتخاب جهاز تنفيذي يحل مكان اللجنة التمهيدية سالفة الذكر. وقد يُنتخب مجلس تشريعي مصغَّر دائم لينوب عن الاجتماع العام، فيُسمى عادةً بالعددية التي يتألف منها مثل (المجلس الثلاثيني) أو (الأربعيني)، أو نحو ذلك، وينوب عادةً عن الاجتماع العام في مهامه إلا أن يُنص على غير ذلك.

ومن تدابير الدعوة لهذا الاجتماع وإقامته أن تدعى له الجهة صاحبة التصديق مثل إدارة الجامعة مثلاً، أو الجهات الرسمية الطالبية، أو الحكومية، وذلك كمراقبين لمتابعة إجراءاته، وإضفاء الشرعية له، كما يستحسن أن تدعى للاجتماع كل الجهات ذات الصلة بنشاط ذلك التكوين من باب الدعاية له، والتهيئة للتعامل معه بسلاسة فيما بعد.

اللجنة التنفيذية:

يُدار التكوين الطالبي بواسطة جهاز يُسمى عادةً بـ (اللجنة التنفيذية)، أو (المكتب التنفيذي)، وتتكوّن عادةً من الرئيس والأمين العام وعدد من الأمانات مثل الأمانة المالية، والأمانة الثقافية، والأمانة الاجتماعية، والأمانة الإعلامية، وأمانة شؤون العضوية، وأمانة

شؤون المقر أو الدار، وغير ذلك(كرار، ١٩٩٦، ٩٨) ، وعلى رأس كل أمانة (أمين) أو (سكرتير). وينبغي أن يُراعى في أمين الأمانة أن يكون مؤهلاً لها، أو ذي ميول، أو موهبة في اختصاصها؛ فيكون الأمين الثقافي مثلاً فناناً مُلمّاً ببعض القضايا الفنية، والأمين الرياضي رياضياً ولو بالاهتمام، وحبذا لو كان من الممارسين لنوع من الرياضة، ويكون الأمين الإعلامي متحدثاً مُفوّهاً.

ويقوم (الرئيس) في التكوين الطالبي عادة بالمهام التالية:

١. تمثيل التكوين في كل المحافل داخل وخارج الجامعة، فهو المتحدث باسمه، والملتزم بكافة الواجبات الواقعة على التكوين ككل، وكل ذلك حسبما تقرره اللوائح، ويتفق مع طبيعة ونشاط ذلك التكوين.
٢. الدعوة لاجتماعات اللجنة التنفيذية، والاجتماع العام للتكوين، في دورات انعقاده العادية والطارئة، ما لم يُنص على غير ذلك. ورئاسة الاجتماعات.
٣. تكليف لجان التحقيق في الظواهر، أو الممارسات التي تستدعي التحقيق فيها، أو لجان المحاسبة للعضوية.

أما (الأمين العام) وهو المحرِّك لأَعمال التكوين، والمتابِع لأعمال اللجان المُشكَّلة، وللتكاليف المختلفة التي تصدرها اللجنة التنفيذية سيما في اجتماعاتها، والراصد لتنفيذ الخطط السنوية وغيرها؛ فهو عادة يطَّلع بالمهام الآتية:

١. إصدار المنشورات الإدارية للتكوين، مثل إصدار ونشر دعوات الاجتماعات والمناشط. وتسليم الأعضاء صور من القرارت التي تخصهم.
٢. تدوين وحفظ مضابط الاجتماعات.
٣. حفظ المكاتبات الصادرة عن التكوين والمنشورات الخاصة به، مثل اللوائح والبيانات، ونحو ذلك.
٤. إعداد التقارير الدورية بالتكاليف المختلفة لأعضاء اللجنة التنفيذية ومستوى الأداء والإنجاز لتلك التكاليف.
٥. الاحتفاظ بالأختام الخاصة بالتكوين.

أما أمناء الأمانات التنفيذية ، فمن أهم ما يقع على عاتقهم هو:

١. طرح مقترحات بمناشط محددة فيما يليهم من مجالات ثقافيةً كانت، أو ماليةً، أو اجتماعية، أو غيرها من مجالات، وذلك حتى تقرر اللجنة التنفيذية بشأنها فتتبناها وتموِّلها.
٢. تنفيذ المناشط المجازة.
٣. إعداد التقارير الدورية والمؤقتة للمناشط، والأعمال التي تقع في دائرة اختصاص كلٍ منهم.

- (الخطة) و(خطاب الدورة) :

تبدأ دورات التكوينات الطالبية عادةً برسم خطة عمل لكامل الدورة سواءً كانت عاماً من الزمان، أو أكثر. وتتكون الخطة من المفاصل الرئيسة الآتية (كرار، ١٩٩٦، ٥١) :

مقدمة: تتضمن أهداف الخطة، ومدتها، ومبرراتها، والجهات المستهدَفة بها.

المشاريع والبرامج: ويجب فيها أن تكون واضحة وممكنة، ويُستحسن أن تكون مجرّبة، أو منفذة من قِبل دورات سابقة، أو من تجارب جهات طالبية معروفة.

وسائل تنفيذ الخطة: وتشمل الاحتياجات المادية مثل الأجهزة الإلكترونية، مثل (البروجكتر) وجهاز (الفيديو)، وجهاز (الحاسوب)، أو وسائل الحركة، مثل (السيارة)، و(الدرّاجات البخارية)، أو الوسائل من الأنشطة، مثل الندوات والمحاضرات وحلقات النقاش والاحتفالات ونحو ذلك.

التكاليف المالية: وهي عبارة عن تقديرات مالية لتكاليف الأنشطة المختلفة الإدارية منها والمرصودة كمشاريع للتنفيذ.

كما يتوجب أن تتجزّأ الخطة إلى مراحل، فإن كانت الخطة سنويةً - مثلاً - قُسِّمت إلى أرباع ، ليسهل التنفيذ ، وتسهل عملية التقويم والمراجعة للخطة.

أما خطاب الدورة فهو البيان النهائي الذي يُقدَّم للاجتماع العام وتُوضّح فيه كل التصرفات التي تمّت خلال الدورة من مواقف للتكوين من القضايا المختلفة التي طرحت نفسها خلال الدورة.

كما يتعرض الخطاب للمناشط التي نجحت اللجنة التنفيذية في أقامتها ، وتلك التي لم تفلح في تنزيلها من الخطة على أرض الواقع.

كما يتعرض الخطاب للتصرفات المالية إيراداً وصرفاً، والموقف المالي الأخير، وعادةً ما يُسند العرض المالي بتقارير مراجعة من جهات قانونية. كما يتم الفصل عادةً بين الجزء المالي وغيره في (خطاب الدورة). وتُراعى الأعراف وقوانين المحاسبة المالية والمُراجعة في تقويم الأداء المالي، والتصرف حيال المال العام.

التشريعات وأثرها في النشاط الطالبي :

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ)[1]، (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)[2]، والتشريعات من باب العقود والعهود التي نسبها الله تعالى إليه، لأن الذمة التي هي محل الالتزامات لا يطلع عليها إلا الله، وعلى ذلك ينبغي أن يشب الطلاب في هذه المرحلة من العمر.

ولا شك في أن التشريعات هي أساس التعامل بين الناس سيما في المعاملات المالية والإدارية التي يكثر فيها الخلاف، ومن ثم النزاع. والطلاب لا ينفكون عن هذا النسق فما ينظم حياتهم الطالبية، والمنشطية هي التشريعات، فهي تنظم أو تعرقل حياتهم تلك كيفما كانت. ولكثرة النزاع في الوسط الطالبي بين الطلاب، وتكويناتهم المختلفة، أو بين الطلاب والجهات الإدارية داخل الجامعة، أو الجهات الرسمية خارجها.

وأول ما يتأثر به الوسط الطالبي من تلك التشريعات هي الانتخابات التي تُفرز شرعية التكوينات المختلفة ومناشطها، لذلك يجيء الاهتمام بها مقدّماً على الاهتمام بباقي التشريعات التي تخطّها الجهات الإدارية داخل الجامعة وخارجها، أو التي تصدر عن تكوينات طالبية.

---

(1) سورة المائدة، الآية ١

(2) سورة النحل، الآية ٩٢

انتخابات الطلاب وشرعية النشاط :

في البدء لا بد من معرفة تأكيد الشرع الإسلامي على انتخاب النواب والممثلين أسوة بالحكام في الأساس، وعلى ذلك سمى الشرع (البيعة) التي هي إعلان التزام الحكام والمحكومين بالشرع طوعاً، وتمت الممارسة الأولى في الإسلام لانتخاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكليةٍ انتخابية شوريةٍ تمت فيها إقامة الدعاوي، والرد بالحجج مع الاحترام الكامل لكل قول وقائل، حتى خلص الجميع لانتخاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه لهذا التكليف؛ فصار هذا الفعل أول مقررات الإجماع لعصر ما بعد الرسالة، ذلك العصر الذي انقضى بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وانقطاع الوحي عن الأرض. فالأخذ بالانتخابات عند الطلاب المسلمين له بذلك أصل متبع.

تنال الانتخابات عند الطلاب اهتماماً عظيماً، فهم أحرص الناس على الاختيار الحر والنّزيه؛ إذ تكاد المعاهد العلمية تخلو من الممارسات السالبة في الانتخابات، لوضوح الطلاب في انتماءاتهم ومواقفهم من الأطروحات المختلفة في ساحاتهم. كما أن الصراع المحتدم دوماً بين التكوينات المختلفة، وداخل التكوين الواحد بين تيارات مختلفة يفرض وضوح المعايير في الانتخابات، والشفافية في الإجراءات التي تمر بها العملية الانتخابية. وبالجملة فإن شرعية النشاط الطالبي، وصدقه في تحقيق إغراضه التربوية رهينٌ بنزاهة الانتخاب، وحرية الاختيار، وضمان البيئة السليمة من المكايدات، والمهاترات، والممارسات غير الموضوعية.

ولحساسية الأمور عند الطلاب عادةً لا بد أن تأخذ لجان الانتخابات بالأمور الآتية في عملها :

- أن تعتمد الحياد والشفافية في أعمالها ؛ فكل ما من شأنه أن يشين الانتخابات يؤدي في نهاية الأمر إلى مخاطر مادية ، وبشرية كبيرة وسط الطلاب ، ومحيطهم.
- أن تُعلن ضوابط الانتخابات ، وتُنشر، وتُقبل الآراء التي تكون إيجابية ، وقابلة للتنفيذ من الطلاب جميعاً ، ومن غيرهم.

- أن تعتمد نظام المراقبين في كل مراحل الانتخابات لا سيما المراقبين من غير المشاركين في العملية الانتخابية، كما يجب الأخذ بملاحظات المراقبين الفنية، والعمل بها ما أمكن.
- إدارة الانتخابات بواسطة إداريين، وليس بواسطة طلاب؛ فإن من شأن ذلك توفير قدر من المسؤولية في مراحلها المختلفة.
- الالتزام الحرفي والصارم بنصوص اللوائح المنظمة للعملية الانتخابية، وترك كل التأويلات والآراء المفسِّرة لجهات التحكيم والاستئناف للبتّ فيها.

موجّهات اللوائح والتشريعات المنظمة للعمل الطالبي :

كما أسلفت فإن حساسية أي شأن عند الطلاب هي أكبر من أي وسط آخر، لاعتماد الطلاب الافتراض في الأمور أكثر من النظر إليها من باب الإمكانيات، أو غير ذلك من الاعتبارات، فلا مكان في التصور الجمعي للطلاب لمقولات (خير الشرّين)، أو (بعض الممكن)، ونحو ذلك، بل (لا يصح إلا الصحيح) عندهم ولا شيء سواه.

من أجل ذلك ينبغي الأخذ ببعض الموجِّهات في التشريع للنشاط الطالبي بصفة خاصة، وللسلوك الطالبي بصفة عامة، فمن هذه الموجِّهات:

- إشراك الطلاب في الجهات التشريعية التي تطَّلع بالتشريع في الشؤون الطالبية، ولو بصفة مراقبين، على أن تؤخذ آراؤهم للنقاش والتشاور.
- إقرار التجارب في النشاط الطالبي، أو في التعامل الإداري مع حالات الطلاب الفردية كسوابق تشريعية، وذلك من شأنه تقليل الجدل المستمر حول المسائل الإدارية والإجرائية بصفة عامة، أو الانطباع بازدواجية في معايير التعامل مع الطلاب، فيشيع جوٌ مشحونٌ بعدم الثقة.
- إشراك الجهات القانونية والعدلية من خارج الجامعة في التشريعات التي تنظم سلوك الطلاب ومناشطهم، ففي ذلك ثقة أكبر في موضوعية تلك التشريعات.
- مشاركة المسئولين في الحوارات المقامة للحديث حول مقاصد التشريعات، وشرح اللوائح وتفسيرها، هذا بالإضافة إلى النشر المتجدد لتلك التشريعات بواسطة الملصقات والمطبقات ، والكتيّبات ، والموقع الإلكتروني ، ونحو ذلك ، مع

مراعاة التجميع للنصوص ، والتشريعات التي تخص الطالب ليسهل الاطلاع عليها.

- اعتماد طرق (ميثاق الشرف)، أو (أخلاقيات العمل الطالبي)، أو غيرها من الالتزامات الأخلاقية التي من شأنها عزلة المتجرِّئين على اختلاق الأزمات بين الكيانات الطالبية في المناشط.

السياسات والبرامج المعززة للانتماء الوطني :

إن مزالق النشاط الطالبي ومخاطره تكمن في تبني الطلاب لاتجاهات في التفكير لا تخدم المصالح القومية ، ومن ثم ارتكاب أفعال تضر بالأوطان، وهم الشريحة الاجتماعة الأقدر على إحداث الشروخات الكبيرة في ذلك. ومن هنا تأتي حساسية التعاطي مع الشأن الطالبي سيما في الجامعات الكبيرة.

ومن أنجع الوسائل والسياسات الوقائية مع الطلاب الجامعيين، تلك البرامج التفاعلية بين الأساتذة والطلاب، سيما من الأساتذة أصحاب التأثير عند الطلاب، وهم بعض الأساتذة الذين لا يخفون على الإدارات الجامعية، كما يمكن التعرف بهم عبر استبانات التقويم للأساتذة، ومن هذه البرامج:

الإرشاد الأكاديمي:

على الرغم من التواضع في الوسط الجامعى على اختصاص هذه البرنامج بالتحصيل الأكاديمي للطالب، وإرشاده فيه، غير أنه وسيط جيد للرسالة التربوية إن شاء الأستاذ ذلك؛ فالطالب يتلقى - في سبيل محاولته الاجتهاد في دروسه - أي رسالة اجتماعية، أو أخلاقية من الأستاذ، وقد لا يتوفر القدر من الاستجابة من ذات الأستاذ في غير هذا الموقف، وينسجم ذلك مع طبيعة البشر، كما في قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى)[1].

(1) سورة العلق، الآيتان ٦-٧

التوجيه والإرشاد النفسي:

وهو برنامج مهم في محاولة جعل شخصية الطالب أكثر اتزاناً وبعداً من الجنوح، والتطرف في الخيارات. والتحدي الأكبر في هذا البرنامج هو الدعاية السلبية له، والتي لو تخطاها إلى أن يكون مطلوباً اجتماعياً لكان أكثر نجاحاً في هزيمة التطرف بفاعلية الإحاطة النفسية والاجتماعية للطالب من أقرانه، وأقرب الأساتذة له اجتماعياً.

برنامج الحوارات المفتوحة:

إذ فيها يحاور الطلاب قدوتهم من قيادات المجتمع الجامعي والخارجي، وذلك فيما يرونه جوانب تميُّز، أو انهزام فيهم، وفي مشاريعهم المجتمعية؛ فيتعلمون من محاوريهم فنون الاستماع، وطرح الأفكار، وإسناد الحجج، والانتصار للآراء، والطموح، والصراحة، وغير ذلك مما يرقبونه من كلام المتحدث إليهم، وحركات جسده ومظهره.

ومنه كذلك عقد حلقات نقاش الموضوعات العامة، وذلك بأطراف تتبنى مواقف فيها وأخرى رافضة، ولكن في إطار الوصول إلى عمل مشترك، وليس لمجرد تبني قناعات ما، فإن ذلك من شأنه أن يوسّع الخلافات ويشخصنها فقط، وقد لا يفضي لنتيجة حسنة.

ويعتمد نجاح الرسالة في ذلك البرنامج على الشخصيات التي تُسوَّق فيه، وتُقدم للطلاب، ويزداد نجاح الهدف منه إن تم الأمر بالمتخرجين في ذات الجامعات، أو الكليات ممن حفلت بهم المجتمعات خارج الجامعة، وتبوءوا في مجتمعات مواقع مرموقة تستفز طموحات الطلاب.

برنامج تبني المشروعات القومية:

وذلك بأن يعلب الطلاب من خلال شخصياتهم، أو تنظيماتهم أدواراً في المشروعات القومية التي تديرها، أو تسوسها الحكومات، بدءاً من البرامج الجزئية، مثل إصحاح بيئة المدن والأحياء، ومروراً إلى القضايا، والمشروعات الكبرى مثل بناء الطرق، وإنشاء المدن، والصناعات، وغيرها من المشروعات التنموية، وكذلك القضايا الكبرى مثل حل النزاعات بين الأقاليم، أو الأحزاب، والتيارات الوطنية، وما على شاكلتها.

وعلى ذلك ـ ومن الأولى ـ إشراكهم في الإدارة التعليمية ، فتمثيل الطلاب في المجالس الإدارية للمؤسسات التعليمية تحقيقٌ لمفهوم (الصُحبة)، وفيه صقلٌ لهم في المفاهيم والحوار والتواصل ومهارات التعامل، يكتسبونها عبر تلك المشاركة.

خاتمة :

- أهم القيم الإسلامية للنشاط الطالبي الجامعي هو تحقيق انتمائه لأمته وهويته.
- سياسة الهدف الأسمى في النشاط الطالبي ـ وهو تعزيز الانتماء الوطني والمجتمعي ـ لا تديره حصراً شخصيات ولو تخصصت إدارياً، ولا جهة واحدة ، بل هو عمل تشترك فيه جهات وأشخاص. كما أنه يستهلك من الوقت أكثره ، ومن الهمِّ أكبره ، لكنه بعيد النفع للطلاب والجامعات والمجتمعات المسلمة من حول تلك المؤسسات الجامعية.
- النشاط الطالبي الجامعي يوفر فرصة كبرى لتحقيق الوحدة الإسلامية ، والانفتاح على كافة الآراء التي تتبناها فئات من المجتمعات المسلمة، وذلك بتخطي الانقسامات التاريخية على الأفكار.
- إدارة الطالب الجامعي عملية تربوية ذات أهداف تسعى لخلق إنسان صالح في مستقبل سنواته القريبة بعد إتمام الدراسة ، وذلك بالتمّرس على مناشط ينبغي أن تُوجّه لتلك الأهداف.
- للطالب في المرحلة الجامعية خصوصية فرضتها المرحلة العمرية ، والتجارب السياسية ، ومراعاة تلك الخصوصية من شأنه أن يعود بالنفع الكبير له ولرسالة الجامعة التي ينتمي لها.
- العلاقات البينية في الوسط الطالبي معقّدة نوعاً ما؛ فللطالب ارتباطه بتيارات فكرية خارج محيط الجامعة، وهو يحاول إسقاط تلك الارتباطات على علاقاته داخل الجامعة مع أقرانه والإداريين. كل ذلك يتطلب مرونةً في التعامل مع الطلاب تجمع بين الحزم، وكسب الود للتجاوب نحو الأهداف التربوية المقصودة.

- الطالب حالة إنسانية سويَّة في عمومها ترجو الإرشاد والهداية، ويستجيب لداعي العقل واللّطف بدرجة كبيرة، لكنه سريع الانفعال مع ما يتم معه، أو يجري حوله، فينبغي أن تُحكم التصرفات الإدارية، وسياسات المناشط، والخدمات الجامعية للطلاب بصورة تتجنب الانزلاق نحو المخاطر المحتملة.
- المناشط الطالبية في الجامعات ضرورةٌ للطالب تأهيلاً للمسؤوليات المرجوة لمستقبله المهني والاجتماعي، وحاجةٌ لرسالة المؤسسات الجامعية المجتمعية، ومُعينٌ للسياسات الحكومية التنموية سيما الإقليمية منها.
- للتشريعات والتوجيهات والإشراف التربوي أثرٌ كبير في تصميم المناشط الطالبية، وضمان تحقيقها لأهدافها، وتوفير البيئة السليمة لها، الأمر الذي يتطلب إحكامها بدقة وعلمية.

المراجـــع:

- القرآن الكريم.

❖ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م،.

❖ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

❖ الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات. دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.

❖ روسانو، ديدار فوزي، السودان إلى أين، ترجمة مراد خلاف. كتب عربية للنشر والتوزيع الإلكتروني

❖ سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، موقع الورّاق(طبعة إلكترونية).

❖ الغزالي، محمد: فقه السيرة. تخريج: محمد ناصر الدين الألباني. طبعة دار الكتب الحديثة - مصر، الطبعة السادسة ١٩٦٥م.

❖ القرافي، بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.
❖ كرار، محمد محمد أحمد، النشاط الطلابي أسسه وقواعده، دار البلد، ١٩٩٩م.
❖ مسلم، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري صحيح مسلم. دار إحياء التراث العربي.
❖ النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
❖ الهيثمي، علي بن أبي بكر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ.

أثر بلاغة النص القرآني في قبول التكليف الشرعي (الأمر والنهي نموذجاً)

د. محمد علي عبد الله شمين
جامعة دنقلا -كلية الآداب -قسم اللغة العربية

المستخلص:
تدور هذه الدراسة حول قضية الأمر والنهي في السياق البلاغي، وأثر ذلك في قبول التكليف الشرعي (أوامر الشريعة) مفصِّلةً أن هذا النسق لما أُلبس ثوب اللغة الجزلة البليغة كان له كبير الأثر في قبول هذا التكليِّف، رغم تمكن هذه العقيدة عندهم، ثم تذكر الورقة نماذج بعينها من الحجج والإمتاع اللغوي، ثم تختم بنتائج، وتوصيات مقترحة.

المقدمة:
هذه الورقة تتناول أثر بلاغة النص القرآني في قبول التكليف الشرعي، وعلى ذلك لَّما ألبس النص القرآني ثوباً بلاغياً، ولما كان العرب يفهمون هذا الفن ويعتدون به - كان ذلك سبباً في انبهارهم، واستجابتهم؛ لأنهم لا يجيدون مثله، ثم تذكر الورقة نماذج من الآيات ذات الصبغة العقدية، وهي الأصعب استجابة، وأخرى ذات صبغة سلوكية، وربما كانت هذه أسهل؛ لأنهم مرنوا على نحو هذا في الجاهلية من مكارم الأخلاق.
ثم تشير الورقة إلى قضية النهي باعتبارها أصعب التكاليف، في قضايا قد اعتادوا عليها. قال الله تعالى حكاية عنهم (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا) (سورة ص، ٥) وربما استخفوا بصاحب الدعوة من نحو قولهم (لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) (الزخرف، ٣١). ولكن كان هذا السياق يكتسب ثوب البلاغة والإعجاز؛ مما سهل التعامل معه حتى ممن لم يؤمن.
ثم تخلص الدراسة إلى أن الأوامر والنواهي، وإن عظمت - فقد سهلت، ولأن أمرها عبر البلاغة، فكانت الاستجابة من كثير منهم، وقديماً قيل: إنَّ صاحب كل فنٍ مولع بفنه؛ فأهل الحجاز كانوا أهل جزالة، وفن لغوي ضليع.

أهمية الدراسة:
تكمن أهمية هذه الدراسة في الإجابة عن استفسار يدور حول كيف استطاع القرآن أن يطرح موضوع العقيدة، والحال أن القوم قد مردوا على عبادة الأصنام، ومناقشة حجج

الكافرين، ودحضها بالمنطق تارة، وبالواقع أخرى. وغني عن القول أن هذه الدراسة تعين المكتبة في هذا الجانب.

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على جمع المعلومات من المصادر، وهي القرآن، وبعض التفاسير كالكشاف لما حواه من اعتماد على اللغة، والبلاغة في التفسير، وبعض الكتب ذات الصلة بالموضوع، ومن ثم حللتها، وأصدرت أحكاماً، وهو منهج وصفي تحليلي.

مشكلة الدراسة:

يمكن أن تصاغ في الآتي :

- كيف استطاع القرآن اقناع الكافرين بترك عبادة الأصنام عبر الأمر والنهي.
- كيف استجاب القوم وقد مردوا على هذا الأمر سنين .
- ما هو هذا الفن اللغوي الرفيع الذي حمله القرآن ، وكان سبباً في إقناعهم.
- هل يستطيع غير القرآن فعل ذلك .

الأمـــر:

يقسم البلاغيون الكلام إلى قسمين، خبر وإنشاء. وقالوا عن الخبر: هو قول يحتمل الصدق والكذب لذاته، نحو جاء زيد، وذهب خالد، وقولهم لذاته ليخرجوا ما لا يتحمل إلا الصدق كالقرآن، ونحوه. ولكن هذا الاحتمال ليس هو لذات القول إنما بالنظر لقائله، كأقوال من اشتهر بالكذب مثلا (علم المعاني، ص ٧٩).

وأمَّا الإنشاء فهو ذلك القول الذي لا يحتمل الصدق، ولا الكذب، وقولهم لا يحتمل الصدق، ولا الكذب، لا يعنون أن أساليب الإنشاء ليست لها نسبة خارجية حتى ينظر في مطابقتها الكلامية؛ بل لها نسبة خارجية، وهى قيام المعنى الإنشائي من أمر ونهي واستفهام وتمني ونداء وعرض وتحضيض.

فأقسام الطلب عند البلاغيين ستة وهى المعتمدة ، وغيرهم جعلها أكثر وبعضهم جعلها خمسة باستثناء العرض والتحضيض. ثم إن البلاغيين جعلوا الإنشاء نوعين : طلبي ، وغير طلبي ، ذكروا أن الطلبي هو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب . وغير الطلبي هو الذى لا يستدعي مطلوباً، وليس هو موضوع الدراسة ؛ وإنما أمرنا مع الطلبي

وهو أقسام شتى منها الأمر: وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغ منها افعل، وهى فعل الأمر، وعلامتها قبول ياء المخاطبة ونون التوكيد ودلالة الطلب ، فلو لم تدل على الطلب ، وقبلت ياء المخاطبة نحو تقومين، أو دلت على الطلب ، ولم تقبل ياء المخاطبة ، أو نون التوكيد، نحو : نزال يا هند فليست بفعل أمر.

هذا وقد يؤمر الواحد بلفظ الاثنين نحو قول الشاعر :

فقلت لصاحبي لا تحبسانا ⁂ بنزع أصوله واجتزَّ شِيْحا

ومن صيغ الأمر أيضا صيغة ليفعل، وتكون باستخدام أداة الأمر التي تدخل على الفعل المضارع؛ لتؤذن أنه مطلوب للمتكلم، والأصل في هذه اللام أن تستعمل في غير الخطاب؛ لأن أمر غيــر المخاطب لا يكون إلا بإدخال اللام، وعلة الجزم في صيغه ليفعل دلالة على الشديد والبت في الطلب، وقد تحذف هذه اللام، ويبقى عملها لضرورة الشعر، كقول متمم بن نويرة:

على مثل أصحاب البعوضة فاخمشي * لك الويل حر الوجه أو يبك من بكي

وأراد ليبك . (الكتاب ، ج ٣ ، ص ٨-٩) .

ومن صيغ الأمر المصدر، ويستعمل منصوباً على الأمر؛ كقوله تعالى: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ).(محمد الآية ٤)، ويؤمر بالمصدر نكرة ومعرفة، كل ذلك مطرد فيه، ويرى ابن الأثير أن في استعمال المصدر في الأمر ضرباً من الاختصار، والمبالغة، والتوكيد، وهو يقول ومن حذف الفعل باب يسمى إقامة المصدر مقام الفعل. ويثنى المصدر في نحو قولنا: حنانيك وحذاريك ، والمراد التوكيد قال طرفة بن العبد :

أبا منذر افنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

(ديوان طرفة بن العبد ، ص ٢٠٨)

والمراد التكرار، ومن صيغ الأمر أسماء الأفعال، وهى ألفاظ تقوم مقام الأفعال في الدلالة على معناها وعملها، وهى على لفظ واحد مع المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، ولا تتصل بها الضمائر البارزة (الكتاب، ج٣، ص٢٢٩)، ويتفق مع البلاغيين النحويون في تعريف أسماء الأفعال ، وهى أقسام منها الماضي مثل هيهات ، والمضارع نحو أف ، ومنها الأمر نحو هلم.

ومن صيغ الأمر أيضا الأمر بصيغة الخبر ، قال سيبويه في باب الحروف التي تنزل منزلة الأمر والنهى مثال ذلك: اتقى الله امرؤ وفعل خيرا يثيب عليه (الكتاب ، ج٣ ، ص٢٢٩) .

فيكون الأمر بصيغة الخبر، لفظه وإعرابه لفظ الخبر، ومعناه معنى الأمر، وأصله ليفعل، ونحو هذا (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ)، والمراد سبحوا الله، والغرض من استخدام الأمر لصيغة الخبر قالوا لأن إخراجه في صورة الخبر أبلغ من الأمر الصريح، ويفيد التأكيد؛ فهو يخبر عنه حتى كأنه سورع فيه إلى الامتثال والانتهاء هذا عند النحويين، أما البلاغيون فيرون أنَّ الغرض هو التفاؤل بالوقوع، نحو غفر الله لك ، فهي أبلغ من رب اغفر له. من أغراضها أيضاً الحرص على وقوعه. والاحتراس عن صورة الأمر كقول العبد للمولى (ينظر المولى إلى) إذا حول عنه وجهه، فإنه أكثر تأدباً من قولك انظر إلى ، ومن أغراضه أيضاً حمل المخاطب على المطلوب، كقولك - لصاحبك الذى لا يحب تكذيبك – تأتينى غداً، مقام ائتنى تحمله بألطف وجه ؛ لأنه إن لم يأتك غدا صرت كاذباً من حيث الظاهر، لكون كلامك في صورة الخبر.

هذا عن صيغ الأمر، وأما أغراضه فهي شتى، فمنها مثلاً الإباحة، كقولك جالس زيداً أو عمراً، فليس المراد طلب إلزامي، وإنما مجالسة أيهما شئت، أو عدم المجالسة، نحو قول كثير عزة :

أسيئ بنا أو أحسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية أن تقلت

(بغية الإيضاح ، ص ٥٣)

وبلاغة هذه الصيغة ناتجة من أن الشاعر راضٍ في الحالين .

ومن أغراض الأمر التخيير، يكون بين شيئين، أو أشياء بحيث يختار منها السامع واحد، كقول بشار بن برد:

فعش واحداً أو صل أخاك فإنه * مقارف ذنباً مرة ومجانبه

فهو يخير مخاطبه في أن يعيش واحداً ، أو يخالط الناس مع ما بهم من هفوات، والحاصل أن الإباحة تختلف عن التخيير ؛ فالإباحة إذنان : ترك وفعل، وأما التخيير فهو إذن مع

غير التعيين، وفى التخيير لا يجوز الجمع بين الشيئين وفى الإباحة يجوز ذلك (علم المعاني، ص ٨٦) .

ومن أغراض الأمر أيضاً التهديد، ويكون في مقام عدم الرضا بالمأمور به، كقولك افعل ما بدا لك، لمن يسمع نصحك، ومنه قوله تعالى: (قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) (إبراهيم، ٣) ولا يفهم من أن الله يأمرهم بالتمتع لعلة الغفلة، بل ليزداد تنكيله بهم . وهذا هو سر بلاغة التعبير بالأمر في مقام الوعيد والتهديد.

من أغراض الأمر التعجيز، ويكون في مقام إظهار عجز من يدعى قدرته على فعل أمر ، وليس في وسعه ذلك ، نحو قوله تعالى: (قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) (سورة البقرة، ٢٣)، فليس المراد التكليف ، وإنما إظهار عجزهم. والغرض إبراز قوة التحدي ، والتسجيل عليهم.

ومن أغراض الأمر أيضاً الإهانة والتحقير، وتكون في مقام عدم الاعتداد بالمخاطب وقلة المبالاة به ، نحو قوله تعالى : (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) (الدخان، ٤٩)، والحاصل أنه لا يستطيع الذوق ؛ لأنه في مقام عذاب، وإنما المراد التهكم والاستهزاء بهؤلاء المنحرفين، وقوله (الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) سخرية أخرى ؛ لأنه في زلة وإهانة.

ومن أغراض الأمر أيضا التسوية ، وتكون في مقام توهم رجحان أحد الأمرين على الآخر نحو قوله تعالى: (قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ) (التوبة، ٥٣)، فقد يظن أن الانفاق طوعاً أرجح في القبول من الإنفاق كرهاً، ولذلك سوى بينهما في عدم القبول.

ومن أغراض الأمر أيضا التمني، وهو طلب الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله ، إما لكونه مستحيلاً كقول عنترة:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي * وعمى صباحا دار عبلة واسلمي

(ديوان عنترة، ص١١٩).

وإما لكونه ممكناً غير مطموع فيه.

من أغراض الأمر أيضاً الدعاء، وهو الطلب على سبيل الاستغاثة ومن التضرع، ويكون بكل صيغ الأمر التي يخاطب بها الأدنى الأعلى، نحو قوله تعالى: (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا) (البقرة، ١٢٦).

ومن الأغراض أيضاً الالتماس، ومن الطلب الفعل الصادر على الأنداد المتساوين قدراً ومنزلة ، كقول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(معلقات العرب، ص٦٥) .

من الأغراض أيضاً النصح والإرشاد، وهو طلب يحمل في طياته النصيحة والإرشاد من غير تكليف ولا إلزام نحو قوله تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ) (لقمان، ١٧)، فسر بلاغة التعبير بالأمر هناك هو التعبير عما بداخل المتحدث من حب وتقدير للمخاطب.

ومن الأغراض الإكرام نحو قوله تعالى: (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ) (الحجر، ٤٦) ؛ فهم في حالة انتقالهم من جهة إلى أخرى يخاطبهم الله بهذه الآية زيادة في الإكرام.

ثم إن الأمر قد يأتي لتصوير حال المتكلم ، والدلالة على ما هو عليه من الحيرة والتخبط، نحو قوله تعالى: (وَ نَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) (الأعراف، ٥٠). فأصحاب النار يعلمون أن ما في الجنة محرم عليهم، لكن لهول ما هم فيه من العذاب أصابهم التخبط. وقد يأتي الأمر للإثارة والإلهاب والتهييج، وذلك حين يوجه إلى المأمور الواقع منه الفعل الذي لا يتصور أن يكون منه خلافه، نحو قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ)(الأحزاب، ١).

فالنهى عما هو غير حاصل، والأمر بما هو حاصل الغرض منه الإثارة والتهييج والاستمرار.

وقد يأتي الأمر لبيان كيفية الحدث ، وكيفية وقوعه انقياداً لقدرته تعالى ؛ قال تعالى: (فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) (البقرة، ١٤٣) ؛ فالحدث في هذه المشاهد قد مضى ، والمراد بيان كيفية وقوعه. هذا وقد يأتي الأمر مراد به الحث على الاتصاف بصفة معينة

الاستمرار فيها ، نحو قولك: مت، وأنت كريم. وقد يرد الأمر ولا يراد به مأمور معين، وإنما كل من يتأتى منه الخطاب، كما في قوله صلى الله عليه وسلم (بشر المشائين إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة، وقد يعبر بالإنشاء في موضوع الخبر لأغراض منها الاهتمام بالشيء نحو قوله تعالى: (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) (الأعراف، ٢٩) والمعنى بإقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن الخبر إلى صيغة الأمر لوجوب الاهتمام بالمأمور به. ومن أغراض الأمر أيضاً الرضا بالواقع كأنه مطلوب، نحو قوله صلى الله عليه وسلم: (من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) والمعنى تبوأ فعدل عنه لصيغة الأمر للدلالة على إنه واقع.

من الأغراض الاحتراز على مساواة اللاحق بالسابق نحو قوله تعالى: (إني أشهد الله وأشهدوا أنى بريء مما تشركون)(هود، ٥٤)، والمعنى أشهدكم فعدل عنه بقوله (أشهدوا) احتراز عن مساواة شهادتهم بشهادة الله؛ إعلاءً لشأن الله وتحقيراً لهم. ثم إن كثيراً من البلاغيين ذهبوا إلى أن هذه المعاني مجازية، بمعنى أن الأمر انتقل من دلالته إلى هذه المعاني، وكل مجاز لا بد له من علاقة، والعلاقة بين الأمر والإباحة، مثلاً الإطلاق والتقييد، أو التضاد، وهكذا، وبعضهم جعلها من قبيل الكناية (شروح التلخيص، ج٢، ص٣١٣) .

وذهب بسيوني عبد الفتاح إلى (أن دلالة الأمر والنهي والاستفهام على تلك المعاني من متتبعات الكلام بمعنى أن السياق، والقرائن هي التي توضح، وتحدد تلك المعاني، وأنه لا داعي للخوض في التماس علاقات واهية) (علم المعاني، ص ١٠١).

ثم إن الباحث يرى أن ما ذهب إليه بسيوني هو الأرجح؛ لأن هذه العلاقات لا تنمى ذوقا، ولا تفيد شيئاً. وزاد بعض البلاغيين هذه الأغراض أكثر من هذا.

النهـــي :

معناه طلب الكف عن الفعل، جاء في لسان العرب، نهاه ينهاه نهياً وينتهي وتناهى بمعنى كف، واشترط البلاغيون فيه استعلاء، وله صيغة واحدة هي المضارع المسبوق بلا الناهية. ومن أغراضه الدعاء ، وهى الصيغة الصادرة من الأدنى للأعلى في نحو قولك: رب لا

تكلني إلى نفسي، تخاطب الله سبحانه وتعالى، ومن صيغ النهي أيضاً الالتماس، وهو صدور النهي من شخص مساوٍ لك منزلة وقدراً، كقول أبي فراس:

فلا تصفن الحرب عندي فإنها * طعامي منذ بعت الصبا وشرابي

(علم المعاني ، ص٩٢) .

ومن أغراض النهى أيضاً التمني ، وهو توجيه النهي إلى ما لا يعقل كقول الخنساء:

أعينَّي جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخرٍ الندي

(علم المعاني ، ص٩٣)

ومن أغراض النهى النصح والإرشاد ، هذا إذا كان النهى يحمل دون ثناياه نصحاً وإرشاداً، نحو قول المتنبي:

إذا غامرت في شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم

(علم المعاني ، ص٩٣)

من أغراض النهي أيضاً التوبيخ ، وذلك عندما يكون المنهي عنه أمراً لا يشرف الإنسان ولا يليق به ، كقول أبى الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك إذا فعلت عظيم

(علم المعاني ، ص٩٤)

ومن أغراض النهي التحقير، وذلك عندما يكون الغرض من النهى الازدراء والتحقير بالمخاطب ، كقول الحطيئة للزبرقان:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

(علم المعاني ، ص٩٤)

ومن الأغراض أيضاً التيئيس، ويكون في حال المخاطب الذي يهم بأمر لا يقوى عليه ، أو لا نفع له فيه من وجهة نظر المتكلم ، كقول المتنبي يمدح سيف الدولة:

لا تطلبن كريما بعد رؤيته * إن الكرام بسأخاهم يداً ختموا

(علم المعاني ، ص٩٥)

ومن الأغراض كذلك التهديد، وذلك عندما يقصد المتكلم أن يخوِّف من هو دونه قدراً، لما فيه القيام بفعل لا يرضى عنه المتكلم ، كقولك لمن هو دونك لا تكف عن أذى غيرك (علم المعاني ،ج٢ ، ص١٠٦).

ومن الأغراض أيضاً الحث على الفعل، كبيت الخنساء السابق. ومن الأغراض التفزيع والتهويل، كقولك لا تسأل عن فلان وقاك الله شر ما أصيب به، تريد أنه ألَّمت به مصيبة، فكأن المخاطب لا يطيق سماعه، أو أن المتحدث مشفق عليه فلا يريد إساءته بإسماعه هذا الهول. ومنه قوله تعالى: (فلا تسأل عن أصحاب الجحيم)(البقرة، ١١٩). وقد يكون التهويل في النعيم إذا أردت أنه في حال لا توصف لحسنها. وقد ينهى عن الفعل مقيداً أو موصوفاً، ويكون الغرض مطلق النهى، والقيد والوصف للمبالغة، كقولك: (لا تضيع دينك بكسرة خبز)، ومنه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً) (آل عمران، ١٣٠). ومن أغراض النهى أيضاً المنع، وذلك إذا دخل النهي على التخيير والإباحة ، نحو قولك: (لا تأكل خبزاً أو لحماً أو تمراً) ؛ فإنك تريد أن لا يأكل أي شيء من هذه المذكورات، ومنه قوله تعالى: (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) (الإنسان، ٢٤)، والمعنى لا تطع أحداً من هؤلاء (الكتاب، ج٢، ١٨٤). ومن أغراض النهي أيضاً التهييج، نحو قوله تعالى: (فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ) (القلم، ٨) ففيها تهييج وإلهاب على معاصاتهم، وقد أرادوه أن يعبد الله مرة وآلهتهم مرة، ويكفوا عن غوائلهم (الكشاف، ج٤، ١٤٢). ومن الأغراض أيضاً التسلية والوعيد، كقوله تعالى: (فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء) (الكشاف، ج٤، ١٤٢) ، ففيه تسلية للنبي (ﷺ) ووعد للانتقام من أعدائه . ومن الأغراض أيضاً التأديب نحو قوله تعالى: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) (الكهف، ٢٣-٢٤) ؛ فهو نهي للنبي (ﷺ) ؛ حيث قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، فقال ائتوني غداً أخبركم، ولم يستثن، فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه، وكذبته قريش (الكشاف، ج٢، ص٤٨٠).

ومن الأغراض كذلك التسوية، نحو قوله تعالى: (فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا) (الطور، ١٦)، والمعنى يستوي صبركم، وعدم صبركم أمام عذاب الله. ومن الأغراض الإهانة، نحو قوله تعالى: (اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)(المؤمنون، ١٠٨).

والحاصل أن النهي متى خرج عن معناه الحقيقي فُهم من السياق، وإنما أوردت هذه النماذج لعلة التدريب على معرفة الغرض الذي خرج عن معناه الأصلي، ولا تحصر في هذه الأغراض، ولا غيرها؛ بل ضابطها السياق العام.

الأمر الحقيقي :

قال تعالى: (قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (الأنعام،١١)، معناها إباحة السير في الأرض للتجارة، وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في آثار الهالكين وحثه على ذلك، (ثم) للتباعد ما بين الواجب والمباح (تفسير الكشاف، ج٢، ٨٢). وقوله (قُلْ سِيرُواْ) من صيغ الأمر التي فيها معنى نصح وإرشاد ، المخاطب فيها وجه بالأعلى لحصول الفائدة بطريقة لطيفة ، وهي النظر في آثار الهالكين.

ومن ذلك قوله تعالى: (قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) (الأنعام، ١٢) قوله (لمن) سؤال تبكيت، وقوله (قل لله) تقرير أي هو الله لا خلاف فيه بيني وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره (تفسير الكشاف، ج٢، ٨٢) وقوله (قل) أمر سبق الاستفهام فيه تحدي لما هو مقرر ومعلوم، وهو أن السموات والأرض لله، فكأنه يريد استدراجهم للتوحيد ؛ فصاحب السموات والأرض أحق بالعبادة.

ومن ذلك قوله تعالى : (قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الأنعام، ١٢).

المراد أن المنافع كلها بيد الله، وهو يرزق، ولا يُرزق؛ فمعنى الأمر الذي تلاه الاستفهام الإنكاري، كيف لي أن أعبد غير الله، والحال أن الله فعل كل هذا (تفسير الكشاف، ج٢، ص٨٢)، فالعربي يفهم هذا التدرج اللغوي المنطقي؛ فيحصل الإقناع، والحال أن دعوة التوحيد صعبة وجافة ؛ فإلباسها الثوب البلاغي فيه معجزة لغوية وفلسفية يجدر الوقوف عندها.

ومن ذلك قوله تعالى: (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) (الأنعام،١٩) قوله (أكبر شهادة) وضع

شهادة مقام شهيد ليبالغ في التعظيم وقوله (قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ) فيه تمام الجواب، فإذا كان الله أكبر شهيد؛ فيكفيني ذلك، فالتدرج اللغوي واضح لحمل المخاطب على الإقناع، وقوله (من بلغ) يعني من بلغه القرآن من الثقلين، وقوله (قل لا أشهد) يعني بشهادتكم (تفسير الكشاف،ج٢، ص٨٤)، فالوجه البلاغي في الأمرين كأنه يريد إن كان الله شهيد بيني وبينك ، وهو أكبر الشهداء بإقراركم ؛ فالمنطق يقتضي أن تؤمنوا بما جئتكم به ، ويقتضي ألا أشهد شهادتكم ، والحال أنهم في الظاهر يعرفون الله.

ومن ذلك قوله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ) (الأنعام، ٢٤) يعني في الدنيا، وذهب عنهم (تفسير الكشاف، ج٢، ص٨٦)، وقوله (انظُرْ) لأخذ العظة والاعتبار من الوجه البلاغي الأمري.

ومن ذلك قوله تعالى: (اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) (الأعراف، ٣) ، المراد بما أُنزل من القرآن والسنة.

ومن دونه أولياء المراد شياطين الإنس والجن، فيميلوكم على عبادة الأصنام (تفسير الكشاف، ج٢، ص١٤٢)؛ فالتوحيد في القرآن والسنة، والشرك في عبادة الأوثان؛ فهو أمر إلزامي، ويحمل معه النصح والإرشاد أيضاً.

ومن ذلك قوله تعالى: (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ) (يونس، ٣١) المراد أن الله تعالى يرزقكم من جهة السماء والأرض ، وهو الذي خلق السمع والبصر وسوَّاهما على ما هم عليه (تفسير الكشاف، ج٢، ص٣٦١). يقول إن كان الحال كذلك من أن الله هو خالق كل شيء أفلا تجعلون لأنفسكم وقاية من عذابه ، والحال أنه قادر على كل شيء ؛ فقوله (قل) أمر فيه توضيح وجدل منطقي لإقناع المشركين ؛ فهو عرض بلاغي حسن.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) (النحل، ٣٦) ، المراد أن الله يأمر بالحق الذي هو الإيمان ، وينهاهم عن الشرك الذي هو طاعة الطاغوت، والطاغوت هو الشيطان ، ورأس كل ضلال من الناس (تفسير

الكشاف، ج٢، ص٥٨١). فهو أمر إلزامي لا يقبل المساومة ؛ لذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم به رغم صعوبته.

ومن ذلك قوله تعالى: (أدْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل، ١٢٥)، سبيل ربك هو الإسلام، والحكمة هي المقالة المحكمة الصحيحة، وهو الدليل الموضح للحق (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي الطريقة الرقيقة اللينة فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل (تفسير الكشاف، ج٢، ص٤-٦). يشير الطلب البلاغي إلى الأمر بالحسنى، وهو منهج من مناهج الدعوة يتسم مع بعض العقلاء؛ فهو يزين الدعوة ، ويلبسها ثوب الحسنى.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) (النحل، ١٢٧) المراد اصبر، والصبر حقيقة من توفيق الله (ولا تحزن على الكافرين)، ولا تجعل في قلبك ضعف من مكرهم، وفعلهم السيئ (تفسير الكشاف، ج٣، ص٦١)، فكأن تقدير الكلام فالله كفيل بهم إن أرادوا سوء وإلا فلن يصيبك مكروه؛ فهو منهج التطييب والمواساة له صلى الله عليه وسلم المتضمن النصح والإرشاد، فتقدير الكلام عليك البلاغ ، وعلينا إيصال الدعوة.

ومن ذلك قوله تعالى: (اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) (الإسراء، ١٤)، قال الزمخشري: يقرأ ذلك من لم يكن قارئاً في الدنيا (تفسير الكشاف، ج٣، ص٧) فالمراد من الطلب البلاغي إيماء وتلويح إلى أن كل ما تقوله مكتوب، وإنك قارئه لا محالة، وإن كنت لا تحسن القراءة في الدنيا ؛ فيلمح من ذلك أن احترز، واجعل مكتوبك حسناً حتى لا يسوءك ؛ فيحصل بلوغ الطلب بذلك.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) (الإسراء، ٢٣) أمر أمراً مقطوعاً به، وأحسنوا إلى الوالدين إحساناً(تفسير الكشاف، ج٣، ص٧)، فإحساناً مصدر نائب مناب فعله أحسنوا، وهو محمول على الوجوب؛ لأن العقوق من الكبائر؛ فأراد الله أن يبين عظمة ذلك، وقدرته بعبادته.

فالطلب البلاغي يفيد أن من يفهم في المنطق والحقيقة ينبغي أن يبر والديه؛ لأنهما أصحاب فضل عليه في صغره وردُّ الخير واجب؛ فيسهل حينئذ تطبيق هذا الأمر البلاغي.
ومن ذلك قوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) (الكهف، ١١٠)، أراد الله أن ينبه أن محمداً بشر كسائركم في الظاهر، والفرق الوحي، وأن الله واحد لا شريك له، فمن شهد بذلك، وعمل صالحاً، فهو راجٍ للقاء الله (تفسير الكشاف ، ج٣، ص٨٢).
ومن ذلك قوله تعالى: (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً) (طه، ١١٤)، قال الزمخشري ما طلب الله من نبيه الزيادة في شيء إلا في العلم (تفسير الكشاف، ج٣، ص١٦٤). ففيه نصح وإرشاد توجيهي للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتنبيه على أهمية العلم وضرورته .
ومن ذلك قوله تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) (طه،١٣٢)، فالمراد أقبل على الصلاة والتوحيد وإبلاغ الدعوة، ولا تهتم بالأمور الأخرى من معاشٍ، ونحوها؛ فالله متكفلٌ بها (تفسير الكشاف، ج٣، ص١٧٢). فالله خلق الخلق من أجل العبادة ، وضمن لهم الرزق ليخلصوا العبادة. ومن ذلك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) (الحج، ١) الزلزلة شدة التحريك، والإزعاج (تفسير الكشاف، ج٣، ص٢١٠). وقوله اتقوا ربكم خذوا لأنفسكم وقاية ؛ فالأمر واقع لا محالة ، وأمره فظيع ، ومن وصفه ما سُرِد ، وكل هذا يجعل الطلب البلاغي في مكانه ، وهو قوله (اتقوا).
ومن ذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (المؤمنون، ٢٣) ، المراد أفلا تخافون إن رفضتم عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم (تفسير الكشاف، ج٣، ص٢٤٦). وكأنه أراد أن ينبههم إلى خلقهم ورزقهم؛ فهو بيد الله، وينبغي للعاقل إن لم يلتزم الأمر صراحة أن يلتزمه خوفاً من الشدة المتوقعة، وهو إمساك الرزق والخلق ، ففيه بلاغة وفلسفة تقتضي التنفيذ. ومن ذلك قوله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً) (الفرقان، ٩)، المراد أنهم طلبوا أموراً غريبة، وأحوالاً نادرة كإلقاء كنز من السماء، ونحوه (تفسير

الكشاف، ج٣، ص٣١٧)؛ فالله قادر على هذا، ولكن لا فائدة، وإنما تقرن المعجزات بالعذاب إن حدث التكذيب؛ فالله متعجب من أمرهم هذا بقوله (انظُرْ)، وهي حيلة العاجز، ومن ذلك قوله تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً) (النمل، ١٤) المراد أنهم يعرفون الحق ، ثم يتكبرون عليه ، وهو دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للتوحيد، فأراد الله أن يهدِّئ من روع نبيه ، بأن المشركين هؤلاء مقرين بدعوته ، ولكن منعهم الكبر.

ومن ذلك قوله تعالى: (فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ) (النحل، ٧٩) أمره بالتوكل عليه، وقلة المبالاة بأعداء الدين؛ لأنه على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به الشك والظن؛ فقوله (توكَّل) أمر يفيد الوجوب؛ إذ لا يصح التوكل على غيره، كما لا يصح ترك التوكل؛ فالأمر يشير إلى مصلحة تقتضي توكلك عليه، ولا خيار غير ذلك، وهو أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، وكأن مفهوم المخالفة يفيد أن تركتم التوكل على الله، فعلى من تتوكلون (تفسير الكشاف، ج٣، ص٤٦٠). ومنه أيضاً قوله تعالى: (وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ) (القصص، ٦٤) ، قال الزمخشري أراد توبيخهم من اتخاذهم الشركاء ، فلما رأوا العذاب تمنوا أن لو كانوا مهتدين (تفسير الكشاف، ج٣، ص٤٦٢). فقوله (ادعوا شركاءكم) فيه توبيخ وإهانة لهم، أراد إن كانوا آلهة حقيقيين فلماذا لم ينصروكم عند حاجتكم هذه. وهذا من مشاهد الآخرة؛ فتصويره في القرآن بهذا الطلب البلاغي يسهل قبوله لدى المشركين، وهنا قيمة الروعة البلاغية للقرآن في هذا العرض السهل المقنع.

ومن ذلك قوله تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (لقمان، ١٧) ، هذا عاماً في كل ما أصابه من محن الدنيا (تفسير الكشاف، ج٣، ص٥٢٥).

فقوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ) أمر ينطوي على مصلحة ؛ ففي إقامة الصلاة منع المصائب ، وجلب الرزق ، وهي أمور محسوسة يسهل الإيمان بها ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ففيه أيضاً مصلحة الفرد وقوام المجتمع ، وأما قوله (وَاصْبِرْ) ففيه توجيه إن لم تقدر فما عساك تفعل، ويكفيك أنه من عزم الأمور ، وعزم الأمور مطلوب.

ومنه قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) (لقمان، ٢١) المراد أنهم يقلدون آباءهم في العبادة (تفسير الكشاف ، ج٣، ص٥٢٤) ، وهو لب موضوع الدراسة ؛ لأن الله طلب من المشركين التوحيد فتعللوا بعبادة آبائهم ؛ لأن عبادة آبائهم لا تغني شيئاً ؛ فهي لما لا يعقل، ولا يسمع، وتُفضي إلى نار السعير إن لم ينتهوا عنها.

ومن ذلك قوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُون) (الروم، ٣٠) (فِطْرَةَ اللَّهِ) أي ألزموا فطرة الله، وإنما أضمرته على خطاب الجماعة، وقوله: (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)، المعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد، ودين الإسلام (تفسير الكشاف، ج٣، ص٥١٠).

وقيمة الطلب البلاغي في قوله (أقم وجهك) ، والمراد إذ لا شيء غيره تقيم عليه وجهك أنت وقومك ؛ لأنكم إنما خلقتم للدين والتوحيد ، ولا تستقم عبادة الأصنام.

ومن ذلك قوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) (الروم، ٤٣) ، المراد من قبل أن يأتي من الله يوم لا مرد له، وقوله : (يصدعون) يعني يتفرقون (تفسير الكشاف، ج٣، ص٥١٤).

المراد من الطلب البلاغي أنه سلك معهم في الآية السابقة أسلوب التوجيه، وهنا سلك أسلوب آخر وهو التهديد التلويحي في قوله تعالى (لا مردَّ له) ؛ فيكون أدعى للقبول ؛ لأن من لم يُحمَل عقلاً حُمِل خوفاً.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) (لقمان، ١٤) المراد أنها تضعف ضعفاً فوق ضعف، أي يتزايد ضعفها ؛ لأن الحمل كل ما زاد عظم ، وثقُل (أشكر) تفسير (لوصينا) (تفسير الكشاف، ج٣، ص٥٢٣).

والمراد من قرن حق الله بحق الوالدين بيان عظم حقهما ، وبيان أن حق الله واجب ، كما هو الحال في حق الوالدين ، إذْ المنطق يقتضي أن من يشكر والديه فحريٌّ به أن يشكر

الله، ففيه قياس المسلَّم بقياس المبهم في حقهم، وهو حق الله فيكون ألطف في القبول والعقل.

ومن ذلك قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) (سبأ، ١٥) وقوله (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) بالنصب على المدح (تفسير الكشاف، ج٣، ص٥٩٩)، والمراد أن الله أرسل عليهم سيل العرم لما أعرضوا، ولم يشكروا ؛ ليكون وجه المقارنة أن الشكر لله ، أو على افتراض أنه يحفظ المال ؛ ليكون المعنى إن لم يشكر زال ماله ، ففيه تنبيه تلويحي بالشكر ، وهو أن من لم يشكر إيماناً فليشكر مخافةً أن تزول نعمه ، وهي درجة من الإيمان حريٌّ بها أن تزيد.

ومن ذلك قوله تعالى: (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (غافر،٦٦) المراد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الأوثان لفطرته السليمة ، فأنكر عبادة الأوثان لما جاءته من البينات من ربه (تفسير الكشاف، ج٤، ص١٩٠). فمن لم يؤمن بدليل النقل يؤمن بدليل العقل ، وهو منهج بلاغي في تحقيق الهدف.

ومن ذلك قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (الجاثية، ١٨)، الشريعة هي الطريقة والمنهاج، والأمر هو الدين، والمراد اتبع شريعتك الثابتة ، ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهوائهم (تفسير الكشاف) فهذه طريقة تثبيتية للنبي صلى الله عليه وسلم ليس ابتداءً ، وإنما تأكيداً ، وهي أشبه بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ) (الأحزاب، ١) ، وفيها أن قريشاً ساومت النبي صلى الله عليه وسلم أن يعبد آلهتهم عاماً ، ويعبدون إلهه عام آخر ؛ فأبى النبي صلى الله عليه وسلم ، وعدم المساومة فيه دليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم لهم.

ومن ذلك قوله تعالى: (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) (الملك، ٢٣)، المراد أن الله أنعم عليهم بهذه النعم (تفسير الكشاف، ج٤، ص٤٨١) ؛ فيكون المعنى إن الله خلق لكم هذه الحواس ، فهل من شركائكم من يستطيع

فعل هذا؟ فحتماً الإجابة بالنفي، إذاً فلِمَ تعبدوهم، وهم أضعف من الخالق، ففيه استنباط يفهمه العاقل، وتحدي بلاغي.

ومن ذلك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ* قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وطئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً) (المزمل، ١-٦) المراد قيام الليل ، أو بعضه على الخبر ؛ لأنه سيُلقى عليك قولاً ثقيلاً (تفسير الكشاف، ج٤، ص٤٨٤) المنهج يشير إلى أن هذا القلب الذي يراد له التعبئة والاستعداد، وهذا الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولأمته من كثرة العبادة وإخلاصها ؛ فالأمر فيه إشارة للمؤمنين من أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مهيأ قبل الدعوة، ورغم هذا طلب منه الاجتهاد في الأمر؛ فحري بكم أنتم من لم تهيأوا أصلاً. ونحوها مطلع سورة المدثر.

فمنهج الطلب يكمن في عرض الدعوة، وإخفاء وقت الحساب إشارة إلى أن الأمر من عند الله ، خلافاً لقول المشركين إنما يعلمه بشر.

ومن ذلك قوله تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) (الكوثر، ٢) المراد بالنحر هو نحر البُدَن ، وقيل المراد الصلاة ، ووضع اليمنى على الشمال(تفسير الكشاف، ج٤، ص٦٤) ؛ فالنحر ينبغي أن يكون لله تعالى ؛ لأنهم كانوا ينحرون للأصنام ؛ فالمراد اترك منهجهم ، وأفرد الله بالعبادة ، فمن القدوة الحسنة تستنج الاستجابة.

ومن ذلك قوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (الإخلاص، ١) قل يا محمد إن الله واحد لا منازع له هو الشأن نفسه كأنه قيل الشأن هذا ، وهو أن الله واحد لا ثاني له (تفسير الكشاف، ج٤، ص٦٥) ، ففيه منهج الطلب العرضي الذي ينتج من حسن القدوة ، وعدم الركون إلى آلهتهم.

النهي الحقيقي :

من النهي قوله تعالى: (وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) (الأنعام، ١٢١) المراد أنهم لا يعتقدون في ذكر اسم الله عند ذبحهم ، وأن الأكل منه فسق ، ويوحون بمعنى يوسوسون إلى المشركين ليجادلوكم (الكشاف، ج٢، ص١٢١) وإن أطعمتموهم إنكم

مثلهم، وقيمة الطلب البلاغي فيه واضحة من أن الله لا يريد المسلمين أن يسايروا المشركين المعتمدين على وحي الشيطان، بل يتبعوا وحي الله، لأن إتباع الشيطان يعني الفشل في الدنيا والآخرة ؛ فالنهي فيه نصح وإرشاد.

ومن ذلك قوله تعالى: (أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) (هود، ٢٦) المراد إفراد الله بالعبادة (الكشاف، ج٢، ص٣٩٧) وقوله أخاف عليكم عذاب يوم أليم فيه حث على متابعة الرسول بما جاء به الوحي وإنه أعلم الناس فيكم، فالخير أن تتبعوه.

ومن ذلك قوله تعالى: (أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) (هود، ٢) المراد أيضاً إفراد الله بالعبادة ، وترك عبادة الأصنام ، ثم قال إنه نذير بالعذاب إن كفرتم ، ويشير بالرحمة إن آمنتم (الكشاف، ج٢، ص٣٨٨) ؛ فالنهي يحمل معه دواعي قبوله من البينات والإنذار .

ومن ذلك قوله تعالى: (وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ الْسُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النحل، ٩٤).

كرر النهي عن اتخاذ الإيمان دخلاً بينهم، وإظهار بعظم ما يظهر منه بزل أقدامكم عن حجة الإسلام بعد ثبوتها ، وتذوقوا السوء (الكشاف، ج٢، ص٥٦٩).

المراد لا ينبغي التهاون في أمر الدين، والبيعة؛ لأن ذلك مآله عذابكم وسوء العاقبة، أو لأن يكون سنة لغيركم من اتخاذ الإيمان دخلاً ، ثم فيه مفسدة للدين.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا * وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا * وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّـهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (الإسراء، ٣١-٣٧).

قتلهم بناتهم، يعني وأدهم خشية الفاقة؛ فنهاهم الله، وضمن لهم الرزق، وفاحشة يعني قيمة زائدة عن الحد، وساء سبيلاً يعني بئس الطريق، وقوله لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، أي بإحدى ثلاث أن تكفر، أو تقتل مؤمناً عمداً، أو تزني بعد إحصان، ومظلوماً يعني غير هذه الثلاث ، ولا يسرف لا يقتل غير القاتل، وقوله (لا تقربوا مال اليتيم) إلا باستثماره، وقوله (ولا تقف ما ليس لك به علم) المراد النهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم فإنه مسئول عن السمع، والبصر، والفؤاد لِم لَم تحفظهم، وقوله لا تمش في الأرض مرحاً، يعني ذا فرح كأنك تجعل في الأرض خرقاً بدوسك لها، ولن تبلغ الجبال بتطاولك، وهو تهكم بالمختال، وكل ذلك من الأمور السيئة (الكشاف، ج٣، ص١٧).

فتكرار النهي يفيد مجموع من مكارم الأخلاق لا تذهب بعيداً عنها ؛ ففيها حسن الدنيا، والمجتمع السليم، والزينة الفاضلة، فمثل هذا النهي قد لا يجد المشركون فيه صعوبة إما لأن فحشه وغلطه بيِّن؛ فأصحاب البصر والفؤاد يقدرون ذلك، ولا يستطيعون المجادلة، وإما لأنها أمور كانت منبوذة في الجاهلية من بعض أصحاب العزم؛ ففي الجاهلية طبائع أقرها الإسلام.

ومن ذلك قوله تعالى: (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ) (المؤمنون، ٢٧) فقوله تعالى (لا تخاطبني) نهي عن الدعاء لهم بالنجاة ؛ لأن الحكمة تقتضي هلاكهم ، وعدم إبقائهم (الكشاف، ج٣، ص٢٤٩) ، وهو نصح بعدم التعاطف مع المشركين .

ومن ذلك قوله تعالى: (وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (القصص، ٨٧-٨٨) قوله (لَا يَصُدُّنَّكَ) أي أصده بمعنى أخَّره بعد إذ أنزلت إليك بعد وقت إنزاله والنهي عن مظاهرة الكافرين من باب التهييج ، والوجه يعبر به عن الذات. و(لا تدعو) مع الله إله المراد إفراد الله بالتوحيد و(إلا وجهه) يعني إلا إياه ، وإليه ترجعون المراد يوم القيامة (الكشاف، ج٣، ص٤٧١) ؛ فالنهي في

قوله (لا يصدنك) يراد به تثبيته صلى الله عليه وسلم على الحق ، وألاّ يركن إلى المشركين مع إفراد الله بالعبادة ، والدعوة إلى ذلك ؛ فهذا أعظم أنواع النهي عن المشركين ، وهو ترك الأصنام ، وعبادة الله الواحد ، ولكن إلباس ذلك الطلب ثوب بلاغي سهَّل قبوله ، وهو قوله (كل شيء هالك إلا وجهه) ؛ فالمنطق يقتضي أن اللات ، والعزى ، وغيرها من الهالكين ، فكيف يستقيم عبادتها.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (العنكبوت، ٤٦) قوله بالتي هي أحسن يعني بالخصلة الحسنة ، والمراد مقابلة الخشونة باللين (إلا الذين ظلموا) يعني أسرفوا في الاعتداء ، أو إلا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو ربما غيره (والذي أنزل إلينا وإليكم) يعني من الكتب السماوية ، وإلهنا واحد وهو الله (الكشاف، ج٣، ص٤٩٠) المراد من النهي توجيه المسلمين إلى استقطاب أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإيمان والإسلام بالتي هي أحسن وألا نتركهم على ما هم عليه ؛ فالجدال الخشن يفسد أكثر مما يصلح إلا مع الذين أفرطوا في العناد، وبلاغة الطلب تظهر بعد تنفيذه ، فتؤتي الحجة اللينة أكلها في الإيمان بالإسلام فآمن من أهل الكتاب نفر كثير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (لقمان، ١٨) يقال صعَّر خده، و صاعره؛ فالصعر داء يصيب الإبل يلوي منه عنقه، والمراد أقبل على الناس بوجهك تواضعاً، ولا تولهم شق وجهك، كما يفعل المتكبرون، ولا تمش في الأرض مرحاً يعني لا يكن عزمك في المشي البطالة والأشر (الكشاف، ج٣، ص٥٢٦).

والمراد من النهي التواضع واحترام الناس ، ومعاملتهم بالحسنى ؛ لأنك لو لم تفعل هذا لكنت منبوذاً في المجتمع ؛ فالإسلام يدعو للجماعة والوحدة فهذا طلب بلاغي فيه نصح وإرشاد وصدق القرآن وأنه لا ينهي إلا عن ما فيه خطأ وعيب.

ومن ذلك قوله تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (يس، ٦٠) العهد الوصية، وعهد الله إذا وصاه وعبادة الشيطان طاعته (الكشاف،

ج٣، ص٦٦٠) والمراد أن الله أعطاه السمع والبصر؛ ليصرف مفسدة الشيطان فيذلوه، والنهي فيه تنكير بليغ يفيد أنكم تعلمون أن طاعة الشيطان مفسدة، وقبل ذلك عقلكم وحواسكم، والحال أن العقل والسمع، وما يدل إليه يرفض هذا فتناسيتم هذا الرفض، وأطعتم الشيطان؛ فكانت النتيجة سوء العاقبة، ولا حجة، ولا خير لدينكم.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (الزخرف، ٦١-٦٢) وإنه- أي عيسى عليه السلام - لعلم الساعة أي شرط من أشراطها تعلم به؛ فسمي الشرط علما لحصول العلم به، وقوله (فلا تمترن) من المرية، وهي الشك (واتبعوني)، واتبعوا هداي وشرعي ورسولي (وهذا صراط مستقيم) أي هذا الذي أدعوكم إليه ، وقوله (عدو مبين) قد بانت عداوته لكم ؛ إذ أخرج أباكم من الجنة ، ونزع عنهما لباس النور (الكشاف، ج٤، ص١٦٠)، وقوله فلا تمترن نهي يفيد الوجوب ؛ لأن الذي يمتري في نزول عيسى عليه السلام خارج عن الإسلام ، وفيه نصح وإرشاد حتى لا يقع المؤمنون في الكفر ، وقوله لا يصدنك نهي آخر فيه تحذير من الشيطان وخبثه ؛ فهو قد بانت عداوته في إخراج آدم من الجنة ؛ فهو نهي فيه وجه بلاغي لا يحتمل الكذب ، والمعنى الشيطان يريد خذلانكم ؛ فهو معلوم بهذا باعتبار ما كان منه فاحذروه ؛ فيسهل حينئذ التصديق ، وهنا تكمن قيمة الطلب البلاغي.

ومن ذلك قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (الجاثية، ١٨) قوله (على شريعة) يعني على طريقة ومنهاج (من الأمر) من الدين ، فاتبع شريعتك الثابتة، ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال (الكشاف، ج٤، ص١٩٠) ، وقوله (لا تتبع) نهي حقيقي يفيد الوجوب ، لكنه مكسو بثوب النصح والإرشاد ، فقيمة البلاغة فيه أنه يحمل دواعي تصديقه معه ، وقوله (الذين لا يعلمون) فالمنطق يقتضي أن الذي لا يعلم لا يتبع.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) (الذاريات، ٥١) المراد إفراد الله بالعبادة والتوحيد (ونذير مبين) يعني الأمر بالطاعة ، والنهي عن الشرك ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل ، كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان ،

وإنه لا يفلح إلا الجامع بينهما (الكشاف، ج٤، ص٢٨٦) ؛ فهو نهي حقيقي يفيد الوجوب والحزم في الفعل ؛ لأن ما عدا التوحيد لا يقبل منهم ، وقوله (نذير مبين) فيه جانب تكويني تهديدي ؛ فكأنه أراد إن لم تعبدوني فقد أبنت لكم الأمر.

ومن ذلك قوله تعالى: (فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ) (القلم، ٨-١٠) تهييج ، وإلهاب على معاصاتهم ، ويكفوا عن غلوائهم ، والحلاف الكثير الحلف في الحق والباطل ، و(مهين) من المهانة ، وهي القلة والحقارة ، يريد القلة في الرأي ، وهو الوليد بن المغيرة المخزومي (الكشاف، ج٤، ص٤٧٨) ؛ فالنهي في الاثنين يفيد الوجوب ؛ لأن مسايرة الكافرين في أمر العقيدة لا يجوز، وينبغي أن يعلم ذلك المشركون، ويجدوا في دينكم قوة وسداد عزم ، وهو أيضاً فيه نصح وإرشاد للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولأمته ، ونظيره (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ) (هود،١١٣).

ومن ذلك قوله تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) (الجن، ١٨) المراد المساجد خاصة لعبادة الله ، وقيل الأرض كلها مساجد ؛ لأنها جُعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجداً، وقيل أعضاء السجود السبعة، وقيل غيرها، والمراد إفراد الله بالتوحيد والعبادة ؛ إذ العقل لا يقبل شريكين في تدبير أمر الكون فلزم الواحد ، ولزم إفراده بالعبادة فهو نهي حقيقي يفيد الوجوب.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ) (المدثر، ٦) المراد لا تعط مستكثراً رأياً لما تعطيه كثير أو طالباً للكثرة (الكشاف، ج٤، ص٤٩٥)، وهو نهي عن الاستعزاز، وهو أن يحب شيئاً، وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وبعضه جائر، وهو نصح وإرشاد للنبي صلى الله عليه وسلم في إطار تحمل الدعوة، وهو ما سمي بالإعداد القبلي.

ومن ذلك قوله تعالى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) (الضحى، ٩-١٠)، فلا تقهر المراد فلا تقلبه على ماله وحقه لضعفه، والنهي يعني الزجر (الكشاف، ج٤، ص٦٠٥)، فهي صفات حسنة أرادها الله لأمة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي بالفعل عند نبيه صلى الله عليه وسلم، وبها يسود على العامة، و بها تحصل الحسنى والترابط في المجتمع ، وهي نصح وإرشاد.

ومن ذلك قوله تعالى: (كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (العلق، ١٩) المراد لا تطع المكذبين، وهو أبو جهل ، و دُمْ على سجودك ، يريد الصلاة ، واقترب إلى ربك، وهو نهي يفيد الوجوب ، وفيه نصح للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يفيد عدم المسايرة للمشركين ، و مشاكلتهم.

الخاتمة :

خلصت هذه الدراسة بعد السياق آنف الذكر إلى النتائج الآتية :

- جاء الأمر الحقيقي تارة بصورة الإلزام ؛ لإفراد الله بالعبادة ، في ثوب بلاغي لطيف، وتارة يلبس ثوب العقل والمنطق ، وربما استخدم المنهج المرئي والمعلوم كالإشارة إلى هلاك السابقين.
- وقد يجيء بصورة فيها تسلية لفؤاد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وربما حمل نصحاً ، وإرشاداً.
- وربما أشار الأمر ، أو النهي إلى قضية التواصل الاجتماعي، على اعتبار أنه مألوف عندهم في الجاهلية.
- وربما أشار إلى تنبيههم إلى أن الله قادر على إرجاعهم بمنطق النشأة الأولى.
- وربما أشار إلى قضية الأمن في الحرم ، والناس من حولهم يتخطفون تنبيهاً لهم أن هذا ليس من عندهم .

المصادروالمراجع:

- **القرآن الكريم .**
- عبدالعزيز عتيق – علم المعاني – بيروت – دار النهضة للطباعة والنشر – ١٩٥٢م .
- بسيوني عبدالفتاح – علم المعاني – الطبعة الأولى.
- عبد المتعال الصعيدي – بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح – الطبعة الثامنة .
- طرفة بن العبد – ديوان طرفة بن العبد – تحقيق علي الجندي – ١٩٥٨م .

•أبو القاسم جار محمد بن عمر (الزمخشري)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، لبنان .
•أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٤٣٥هـ.
•بهاء الدين عبدالله بن عقيل، العقيلي الهمداني، شرح بن عقيل على ألفية بن مالك، تحقيق محمد محي الدين، الطبعة الثانية والثالثة عشر، القاهرة، ١٩٦٢م.
•موفق الدين بن علي بن بعيش ، شرح المفصَّل ، عالم الكتب ، بيروت .
•أبو يعقوب المفدى، شروح التلخيص، مطبعة عيسى البابي الحلبي ويتضمن مواهب الفتاح .
•عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، الكتاب ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون.
•أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م .
•بدوي طبانة ، معلقات العرب ، الطبعة الثانية .

واقع العنف الأسري ضد الأطفال في محافظة الدوادمي بالمملكة العربية السعودية من منظور إسلامي واجتماعي

د. ماجدة خليفة محمد خليفة
كلية التربية – جامعة شقراء
جامعة دنقلا- كلية الآداب

د. هبة عثمان مدني محمد
أستاذة التفسير وعلوم القرآن
كلية التربية –جامعة شقراء

المستلخص:

دراسة: بعنوان واقع العنف الأسري ضد الأطفال في محافظة الدوادمي في المملكة العربية السعودية من منظور إسلامي واجتماعي. تهدف إلى التعرف على مدى وجود العنف الأسري ضد الأطفال في مجتمع الدراسة، من حيث أشكال العنف الممارس، والأشخاص الممارسين للعنف، وبيان الرأي الفقهي حوله. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وأجريت على مجتمع طالبات كلية التربية بالدوادمي على عينة عشوائية، وتم جمع البيانات عن طريق الاستبانة كأداة رئيسة، وتم تحليل البيانات عن طريق النسب المئوية البسيطة، وتوصلت إلى عدة نتائج أهمها:

١- العنف الأسري ضد الأطفال ظاهرة قديمة، ومنتشرة في المجتمع السعودي الذي يرى أن العنف طريقة من طرق تربية الطفل.

٢- الأب هو أكثر فرد في الأسرة يمارس العنف مع الأطفال.

٣ - أكثر أشكال العنف الأسري الممارس مع الأطفال هو العنف النفسي المتمثل في التوبيخ، والتفرقة بين الأبناء.

المقدمة:

الحياة الإنسانية سلسلة من الحلقات العمرية، تتعاقب بانتظام وفق سنن محكمه منذ بدايتها وحتي نهايتها، وأول هذه الحلقات العمرية، بل أكثرها أهمية مرحلة الطفولة، وتنسب الطفولة في اشتقاقها إلى الطفل، أو إلى الصغير. وللطفولة طبيعتها الخاصة التي تتصف بالضعف، واعتماد الصغار على الكبار في توفير متطلبات الحياة، والاستمرار فيها؛ إذ ليس في وسع الطفل في هذه المرحلة أن ينمو من تلقاء نفسه؛ لذلك كان من الضروري

لوجوده، واستمرار حياته، ونموه السليم – أن يقوم الراشدون من حوله ببذل كل ما يحتاج إليه من عناية خاصة.

من أجل ذلك أصبحت الأسرة هي النواة الأساسية للمجتمع والتي تتعهد الطفل بالرعاية والحب والأمان الذي يساعد على نضج شخصيتهم، وبلورتها، و إظهارها في إطار مقبول اجتماعياً.

ولذلك أشار علماء النفس والاجتماع على أهمية دور الأسرة في نمو الطفل وتطوره، وعلى أهمية التفاعل بين الأطفال، وآبائهم، وأمهاتهم، وذلك من خلال طرق تنشئتها لأطفالهم، وأساليب معاملتهم لهم، وقد يستخدم الوالدان طرق تنشئة معينة، قد تكون هذه الأساليب سلبية، أو ايجابية، تحتل مكانة مهمة في تكوين شخصية الأبناء.

من طرق التنشئة السلبية العنف الأسري الذي له أهمية خاصة لدي المؤسسات الحكومية على مستوى العالم؛ نظراً لتأثير المجتمعات به، وقد عرفت ظاهرة العنف الأسري منذ قديم الزمان عندما قتل قابيل أخاه هابيل، وظاهرة العنف الأسري له أشكال عديدة؛ فهناك العنف الذي يتعرض له الأطفال سواء بالإهمال وسو التربية، أو الضرب، أو التعذيب، وهنالك العنف المتبادل بين الأباء والأولاد، وبين الآباء والأمهات، وبين الأخوة والأخوات، وهذه الأشكال تؤثر في الأطفال، وبالتالي في كل المجتمع، وقد نبذ الإسلام العنف بكافة أنواعه؛ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: {إن أراد الله تعالى بأهل بيت خير أدخل عليهم الرفق، وأن الرفق لو كان خلقا لما رأى الناس خلقا أحسن منه، وأن العنف لو كان خلقا لما رأى الناس خلقا أقبح}.

الأطفال هم الشريحة الأضعف في أي مجتمع؛ وذلك بسبب عد اكتمال نموهم الجسماني والنفسي؛ فالأطفال بحاجة إلى الرعاية، والعناية بشكل كبير لإيصالهم إلى بر الأمان؛ حيث يصبحون قادرين على الاعتماد على أنفسهم، كما أن شخصية الإنسان تتشكل في البداية من طريقة التعامل معه، وهو طفل ونشأته منذ صغره؛ ولذلك اعتنى الإسلام بالطفولة بشكل كبير؛ لأن اعتماد الأمة يكون مستقبلا على الأطفال.

كثير ما نسمع من قصص المجرمين، وأصحاب المشاكل من أن البداية كانت بسبب سوء التعامل الذي حصلوا عليه أثناء طفولتهم؛ فانعكس ذلك على نفسيتهم، وأفكارهم،

وتصرفاتهم عندما أصبحوا كباراً؛ فظاهرة العنف ضد الأطفال أصبحت من المشاكل الموضوعة في أولويات الدول.

إن الطفولة مرحلة حاسمة في حياة الفرد، وهي الأساس الذي تقوم عليه شخصيته، والتي تُعدُّ من أهم المراحل التي يمر بها الإنسان في حياته؛ نظراً لما يكون لديه في هذه المرحلة من قابلية شديدة للتأثر بما يحيط به من عوامل مختلفة، تؤثر في نموه بشكل عام، كما تؤثر في ما لديه من خصائص، ومواهب، وقدرات بشكل خاص؛ مما يكون له أبعد الأثر في تكوين شخصيته المستقبلية (عدس: ٢٠٠١، ٢٥).

ولأهمية هذه المرحلة أكد المربون على ضرورة توفير بيئة ملائمة، وسوية للطفل، تساهم في تنشيط قدراته، وتحفيز مواهبه، وتنميته إلى أقصى حد ممكن.

ولكن توجد العديد من المؤثرات التي تؤثر في الطفل في هذه المرحلة، والتي من أهمها العنف، والإساءة للأطفال؛ فقد تزايدت حدتها، وتصاعدت وتيرتها في الآونة الأخيرة.

إن ظاهرة العنف ضد الأطفال ظاهرة علمية، وهي استخدام القوة، أو التهديد ضد الطفل؛ مما قد يترتب عليه أذى، أو موت، أو إصابة نفسية، أو اضطراب في النمو أيضاً يشمل جميع أشكال العنف النفسي والجسدي، أو والإهمال المتعمد، أو الإساءة، والاستغلال الجنسي للطفل.

ويأخذ الأمر منحى أكثر خطورة حين يكون مصدر العنف من القائمين على رعاية الطفل، أو المسئولين عنه.

يمكن اعتبار العنف قضية اجتماعية خلافية، يصعب الوصول فيها إلى تعريف محدد ومتفق عليه؛ وذلك بسبب التباين الثقافي بين المجتمعات، وربما المجتمع الواحد؛ ولذلك فإن ما يمكن وصفه عنفا، أو سواء معاملة في مجتمع معين – قد ينظر إليه إنه أسلوب تربية في مجتمع آخر.

ولذلك كان لزاماً على الباحثين الوقوف حيال هذه الظاهرة، وبيان أثرها في المجتمعات، والمساعدة في الحد من انتشارها، ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة للكشف عن العنف ضد الأطفال.

مشكلة الدراسة :

تتلخص مشكلة الدراسة في الاعتداء على الطفل من أحد أفراد أسرته، والتعامل معه الذي يتسبب في إيذائه، سواء كان إيذاء حسياً، أو إيذاء معنوياً، أو التهديد بـإيذائه، أو الاعتداء عليه، وهناك عدة ولايات قضائية طورت عقوبات مختلفة للاعتداء على الطفل.. كأبعاد الطفل عن عائلته، والقيام برفع دعوة جنائية. الاعتداء على الأطفال يعرف بأنه أي عمل وفشل في التعامل مع الطفل، والذي يؤدي إلى موته، أو قد يؤدي إلى أذي الطفل، أو استغلال الطفل بفعل خطر وشيك بـإلحاق ضرر بجسم الطفل بشكل وآخر، وما يثير الجدل في هذه القضية المجتمعية إنها تُعدُّ من المحرمات التي يفضل الكثير التكتم عنها، وعدم البوح بها حفاظا على السمعة، وطبقا للعادات، والكثير من المعتقدات الخاطئة متجاهلين في الوقت ذاته حجم ضحايا العنف الأسري خاصة عندما تمتد أشكاله لتصل للأطفال ما يتسبب لهم بأزمات عديدة تستمر معهم للكبر؛ وبالتالي تتحول إراديا إلى سلوك مستقبلي متوارث، وقد يبقي رسخاً في أذهانهم مدى الحياة، وبذلك تنقل ظاهرة العنف الأسري من جيل إلى جيل؛ مما يهدد أمن، واستقرار العائلة، وتنعدم الثقة بين أفرادها.

تطرح تساؤلات كثيرة، وتختلف الآراء حول مفهوم العنف الأسري ضد الأطفال أسبابه، وأشكاله، ويبقي السؤال الأهم يركز على المعنيين بالأمر في هذا الشأن، وعلى من تعود عليهم المسئولية لإيجاد الحلول، والكشف عن ظاهرة العنف في المملكة العربية السعودية محافظة الدوادمي لتتوقف هذه الظاهرة، والحد من تفاقمها وإصلاح ما يجب إصلاحه. هذا ويمكن أن تصاغ مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما هو واقع العنف الأسري ضد الأطفال في المملكة العربية السعودية من وجهة نظر طالبات التربية الميدانية بقسم رياض الأطفال بكلية التربية بالدوادمي- جامعة شقراء؟

أهمية الدراسة :

تتضح أهمية هذا البحث من نواح متعددة أبرزها:

١. تنوع حالات العنف ضد الأطفال، واختلاف مجالاتها مما يجعلها عرضة لتزايد المشاكل الناتجة عنها، وارتفاع وتيرتها، وتصاعد حدتها بحيث تصبح من أكثر المشاكل المخلة بالأمن في المجتمع؛ مما يدفع للتصدي لها.
٢. إن إبراز هذا الموضوع والاهتمام والعناية به يؤدي إلى نشر الوعي في المجتمع توعيته بخطورة العنف ضد الأطفال وأثره في تنشئتهم، والعمل على الحد من انتشار هذه الظاهرة.
٣. الاهتمام بهذا الموضوع من قبل الرأي العام، وتبني بعض الهيئات الحكومية، والمدنية مكافحة هذه الظاهرة، ومعالجتها، واستعداد الأنظمة، واللوائح الحاكمة لها.
٤. أهمية معرفة الرأي الفقهي لحالات العنف ضد الأطفال؛ ليسهل في المقابل معرفة الأحكام القضائية المترتبة عليها، وبيان رفض الإسلام للعنف.
٥. ما يزيد في أهمية هذه الدراسة ندرة الدراسات الفقهية التي تناولت الموضوع من الجانب الفقهي.
٦. قد تساهم الدراسة نشر الوعي بدور الأعلام في التركيز على هذه الظاهرة، وبيان أبعاد ظاهرة العنف الأسري ومسبباتها في المجتمع.

أهداف الدراسة:

١. التعرف على واقع العنف ضد الأطفال في المملكة العربية السعودية بمحافظة الدوادمي.
٢. أبراز الأسباب المؤدية للعنف ضد الأطفال في المملكة العربية السعودية بمحافظة الدوادمي.
٣. توضيح أشكال العنف الأسري التي يتعرض لها الأطفال في المملكة العربية السعودية بمحافظة الدوادمي.
٤. الوقف على بعض الآراء، والتجارب، والإجراءات التي يمكن الاعتماد عليها في الكشف عن دوافع العنف.
٥. نشر الوعي بين أفراد المجتمع حول خطورة العنف كظاهرة، والعمل على تصميم البرامج، والأساليب بهدف الحد منها.

٦. بيان الرأي الفقهي لحالات العنف ضد الأطفال، وبيان فض الإسلام للعنف.
٧. محاولة الكشف عن بعض الحلول والاستراتيجيات التي يمكن اعتمادها لتقليل هذه الظاهرة، والوصول لسبل مواجهة ظاهرة العنف ضد الأطفال في المملكة العربية السعودية.

تساؤلات الدراسة:

١. ما هو واقع العنف الذي يتعرض له الأطفال في محافظة الدوادمي بالمملكة العربية السعودية بمحافظة الدوادمي؟
٢. الذي يمارس العنف على الأطفال في محافظة الدوادمي بالمملكة العربية السعودية بمحافظة الدوادمي؟
٣. ما هي أشكال العنف التي يتعرض لها الأطفال في محافظة الدوادمي بالمملكة العربية السعودية بمحافظة الدوادمي؟
٤. ما هي الأسباب المؤدية للعنف ضد الأطفال في المملكة العربية السعودية بمحافظة الدوادمي؟
٥. ما هو الرأي الفقهي لحالات العنف ضد الأطفال وكيف رفض الإسلام العنف ضد الأطفال؟
٦. ما هي الحلول القائمة للحد من العنف ضد الأطفال بالمملكة العربية السعودية؟

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: اقتصر موضوع الدراسة الحالية على واقع العنف ضد الأطفال في محافظة الدوادمي بالمملكة العربية السعودية.

الحدود البشرية: تتمثل في طالبات التربية الميدانية بقسم رياض الأطفال بكلية التربية بالدوادمي- جامعة شقراء

الحدود المكانية: يتحدد إطار هذا الدراسة في منطقة الدوادمي التابعة لإمارة منطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

الحدود الزمانية: تم تطبيق أداة الدراسة خلال سبتمبر ٢٠١٧م.

منهج الدراسة :

إن المنهجية لأي دراسة، تتطلب من الباحث اختيار المناهج الأساسية لها، والتي على ضوئها سيتم معالجة موضوعه، وأهم الأدوات التي تمكنه من جمع مختلف المعطيات حول الظاهرة المدروسة، فالمنهج يمثل الطريقة التي يسلكها الدارسة، أو في تتبعه لظاهرة معينة من أجل تحديد ابعادها بشكل شامل يجعل من السهل التعرف عليها.

تتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي حيث يمد هذا المنهج الباحث ببينات ومعلومات تسهم بشكل كبير في وصف ما هو كائن أثناء الدراسة، ويشمل على فهم الظاهرة، وكذلك فإن المنهج الوصفي التحليلي، يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقاً وويعبر عنها تعبيرا كيفيا أو كمياً، فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويبين خصائصها، بينما التعبير الكمي يعطينا وصفا رقميا لمقدار الظاهر أو حجمها، أن هذا المنهج لا يقتصر على جمع البيانات فقط وإنما يمضي إلي ما هو أبعد من ذلك لأنه يتضمن قدرا من التفسير لهذه البيانات (مطاوع: ٢٠١٧، ٣٣)

عينة الدراسة :

تم اختيار طريقة العينة العشوائية .

مجتمع الدراسة :

يتمثل مجتمع الدراسة فيطالبات التربية الميدانية بقسم رياض الأطفالبكلية التربية بالدوادمي- جامعة شقراء.

أدوات جمع المعلومات :

تم جمع المعلومات عن طريقة الاستبانة من إعداد الباحثات.

مصطلحات الدراسة :

العنف:

ينظر علماء الاجتماع إلى مفهوم العنف على أنه تعبير صارم يمارس الإجبار على فرد أو جماعة على القيام بعمل أو يأخذ صور مثل اللفظ الاجتماعي وتعتمد مشروعية العنف على اعتراف المجتمع به. (غيث: ١٩٩٠، ١٩-٢٠)

التعريف الإجرائي للعنف الأسري ضد الأطفال:

تعرفه الباحثات بأنه استخدام القوة البدنية والنفسية المتكررة من جانب الوالدين أو أحدهما للأطفال القصر، سواء اكان ذلك عن طريق الضرب المقصود أو العقاب البدني المبرح وغير المنظم أو السخرية والإهانة المستمرة للطفل أو إهمال رعايته وعدم توفير احتياجاته الصحية والجسمية والنفسية والاجتماعية الأساسية أو من خلال استقلال الطفل من جانب القائمين على رعايتهم وتكليفهم بأعمال فوق طاقتهم.

أدبيات الدراسة:

العنف الأسري:

مفهوم العنف الأسري:

يشير العنف إلى معنين معني وأسع يشير إلى ارتكاب بعض الجرائم العنيفة مثل القتل والاغتصاب والسرقة والإكراه، وبهذا يشير إلى مهاجمة شخص معين لشخص آخر بهدف إلحاق الضرر به، أو التفوه بألفاظ نابيه، أو رفض الفرد لبعض الأوامر والنواهي، ونجد أن مثل هذه المظاهر تحدث داخل الأسرة أو المدرسة وهذا النوع من العنف هو الذي يخشي من إهمال مواجهته أن يرتقي إلى النوع الواسع المضر بشكل أكبر.

إن ظاهرة العنف الأسري جاءت نتيجة للحياة العنصرية فالضغط النفسي، والإحباط المتولد من طبيعة الحياة العصرية اليومية، تعد من المصادر الأولية والأساسية لمشكلة العنف الأسري.

والعنف الأسري سلوك مكتسب يتعلمه الفرد خلال أطوار التنشئة الاجتماعية، فالأفراد الذين يكونوا ضحية له في صغرهم، يمارسونه على أفراد أسرهم في المستقبل كذلك فإن القيم الثقافية والمعاير الاجتماعية تلعب دور كبير ومهما في تبرير العنف، إذا أن قيم الشرف والمكانة الاجتماعية تحددها معاير معينه تستخدم العنف أحيانا كحواجب وأوامر حتمي، وكذلك يتعلم الأفراد المكانات الاجتماعية وأشكال التبجيل المصاحبة لها والتي تعطي القوى الحقوق والامتيازات التعسفية أكثر من الضعيف في الأسرة، وهذا ينطبق أحيانا بين الأخوة(عبد الرحمن: ٢٠٠٦، ١٢).

من هم الأكثر تعرضاً للعنف الأسري:

تبين من جميع الدراسات التي تجريها الدول العربية على ظاهرة العنف الأسري في مجتمعاتها أن الزوجة هي الضحية الأولي وأن الزوج بالتالي هو المعتدي الأول، يأتي بعدها في الترتيب الأبناء والبنات كضحايا إما للأب أو الأخ الأكبر أو العم نسبة ٩٩٪ يكون مصدر العنف الأسري رجل، ٣٣٪ يكون مصدر العنف الأسري المرأة. فالجل أكثر عنفا على المرأة.

أسباب العنف الأسري:

أثبتت الدراسات على مستوي العالم العربي والغربي أيضا وبما فيها السعودي أن أبرز المسببات وأكثرها انتشاراً هو تعاطي الكحول والمخدرات ويأتي بعده في الترتيب الأمراض النفسية والاجتماعية لدي أحد الزوجين أو كلاهما. ثم اضطراب العلاقة بين الزوجين لأي سبب آخر غير المذكورين أعلاه.

دوافع العنف الأسري:

١. الدوافع الذاتية: وهي تلك الدوافع التي تنبع من ذات الإنسان ونفسه والتي تقوده نحو العنف الأسري.
٢. الدوافع الاقتصادية: في محيط الأسرة لا يحصل الأب على منافع اقتصادية من استخدامه للعنف إزاء أسرته وإنما يكون ذلك تفريغا لشحنه الفقر الذي ينعكس أثاره بعنف من قبل الأب إزاء الأسرة.
٣. الدوافع الاجتماعية: تقتضي العادات والتقاليد التي أعتادها مجتمع ما من الرجل قدرا من الرجولة والعنف في قيادة أسرته وذلك لأنهما المقياس الذي يبين مقدراً رجولته- وهذا النوع من الدوافع يتناسب طرديا مع الثقافة التي يحملها المجتمع وخصوصا الثقافة الأسرية فكلما كان المجتمع على درجة عالية من الثقافة والوعي، كلما تضاءل دور هذه الدوافع حتى ينعدم في المجتمعات الراقية، وعلى العكس من ذلك في المجتمعات ذات الثقافة المحدودة، إذ تختلف درجة ثقافات المجتمعات.

نتائج العنف الأسري:

للعنف الأسري العديد من النتائج والتي تتبلور في الآتي:

١. يتسبب العنف الأسري في نشوء العقد النفسية التي قد تتطور وتتفاقم إلى حالات مرضية أو سلوكيات عدائية .

٢. يوثر العنف الأسري سلباً ويفكك الروابط الأسرية وانعدام الثقة وتلاشي الإحساس بالأمان وربما يصل الأمر إلى الطلاق.

٣. يؤثر العنف الأسري على المجتمع سيقود في النهاية إلى تهديد كيان المجتمع بأسره.

الحلول المقترحة لمواجهة العنف الأسري:

١. الوعظ والإرشاد الديني لحماية المجتمع من مشاكل العنف الأسري، إذ أن تعاليم الدين الإسلامي توضح أهمية التراحم والترابط الأسري .

٢. تقديم استشارات نفسيه واجتماعية وأسرية للأفراد الذين ينتمون إلى الأسر التي ينتشر فيها العنف.

٣. وجوب تدخل الدولة في أمر نزع الولاية من الشخص المكلف بها في الأسرة إذا ثبت عدم كفاءته للقيام بذلك وإعطائها إلى قريب أخر مع إلزامه بدفع النفقة، وإذا تعذر ذلك يمكن إيجاد ما يسمى بالأسر البديلة التي تتولى رعاية الأطفال الذين يقعون ضحايا العنف الأسري.

٤. إيجاد الصلة بين ضحايا العنف الأسري وبين الجهات الاستشارية المتاحة وذلك عن طريق أيجاد خطوط ساخنة لهذه الجهات الاستشارية يمكنها تقديم الاستشارات والمساعدة إذا لزم الأمر.

٥. الاهتمام بعملية التنشئة الاجتماعية للأطفال من الذكور والإناث وأن تكون التربية على أساس أن الرجل والمرأة يكمل أحدهما الآخر .

٦. التعاون مع الجهات المختصة برعاية الأسر والأطفال لإيجاد حلول تتوافق مع كل أسرة على حده.

٧. تعليم الأطفال على سلوكيات إيجابية بحيث تمكنهم من التكتم بموجات الغضب والمشاعر السلبية لتساعدهم على تكوين علاقات مستقبلية آمنة وسليمة(المسيري: ٢٠١٢، ٩٤-٩٧).

خصائص المرتكبين للعنف البدني ضد الأطفال:

١. الزواج المبكر والإنجاب في وقت مبكر اقل من ٢٠ سنة لكل من الوالدين أو أحدهما.
٢. الوالدان هما أكثر من يرتكب العنف ضد الأطفال.
٣. زوج الأم أو زوج الأب.
٤. أشخاص لديهم اضطرابات سلوكية وعاطفية.
٥. اسر ينقصها التفاعل السليم وتتسم بالصرامة في التعامل.
٦. .الوالدان قد يكونان يعانيان من مشكلة صحية أو إعاقة.

خصائص ضحايا العنف الأسري من الأطفال:

١. الأطفال الإناث أكثر عرضة للاعتداء بالعنف الجنسي.
٢. أعمار غالبية المتعرضين للعنف ما بين ٧ – ١٢ عاماً.
٣. الأطفال الذين يعيشون مع زوج الأم أو زوجة الأب.
٤. الأطفال الذين يعانون من غياب احد الوالدين.
٥. الأطفال الذين تخرج أمهاتهم للعمل خارج المنزل لفترات طويلة.
٦. الاطفال المعتمدين على العمال المنزلية.

أسباب العنف:

١. اختلال البناء الأسريوانعدام التوجيه السليم.
٢. إعداد الابن الأكبر للقيام بمهمات الأب.
٣. التفرقة بين الجنسين مثل تفضيل الأولاد على البنات.
٤. تسامح الأسرة مع العنف.
٥. البحث عن الاحساس بالرجولة.
٦. الفقر والبطالة والتحيز الاجتماعي.

٧. الثقافة القبلية أو البدوية .(جبرين :٢٠٠٥، ص ٢٤١)

علامات يستدل بها على حدوث العنف الأسري:

١. مرتكبو العنف تتميز شخصياتهم بحب السيطرة وإرهاب الأخرين.
٢. علامات العنف على الضحية قد تكون علامات واضحة على الجسد: مثل الجروح والكسور والكدمات في مواضع لا يمكن أن تحدث فيها بالصدفة.
٣. يجب أن العنف الأسري لا يقتصر على العنف البدني فهناك أنواع أخري نفسية وعاطفية ووجدانية لا تقل عن العنف الجسدي ويجب علينا اليقظة.
٤. يميلون إلى تشجيع الضحية على عدم الشكوى إلى الآخرين.
٥. يميلون ويصرون دائما على أن يكون برفقة الضحية عندما تذهب إلى مستشفى أو بعض الجهات التي تكون لها اهتمان بهذا الموضوع ويميلون دائما للحديث نيابة عن الضحية.

إن استعمال العنف الجسدي ضد الأطفال يبدو إن يعكس خليطاً من الإيمان القوي باستعمال القوه كوسيلة لتكيف السلوك عن الآباء وهو نفس الوقت يعكس الإفلاس في وجود البدائل الفعالة لاستعمال القوة وأيضاً يوحي توتر عاطفي وسط الأبوين (عبد المحمود: ٢٠٠٤، ٥٦).

موقف الإسلام من العنف الأسري ضد الأطفال:

القرآن الكريم منهج حياة ودستور أمة. وهو الكتاب الخالد الذي (يحدد منهجا واضحا للحياة الإنسانية، وأهدافها ويقدم تصوراً شاملاً للكون والإنسان (متولي: ١٤١٧هـ، ١٣١) مصداقا لقوله تعالي: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (الأنعام : ٣٨) ثم تأتي السنة النبوية المطهرة وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وتُعدُّ التطبيق العملي للقرآن الكريم. ومن أبرز وظائفها:

- إيضاح المنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن وبيان التفاصيل التي لم ترد في القرآن الكريم .

- استنباط أسلوب تربوي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ومعاملته للأولاد وغرسه الإيمان في النفوس (النحلاوي: ١٤٠٣هـ، ٢٥) قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب: ٢١).

طبيعة التربية الاسلامية اذا تتمثل في كونها منهجا ونظاما متكاملا لجميع جوانب الحياه ويجمع بين العلم النافع والعمل المفيد، الذي يتم تحقيقه عن طريق الممارسات أو التطبيقات التربوية التي تأتي ترجمة للفكر الإسلامي النابع من الأصول الشرعية الثابتة. (أبو عزاد: ٢٠١٤هـ، ٤٨). الأطفال نعمة إلهية ومنحة ربانية، يهبها الله من يشاء من عباده، ويمنعها عمن يشاء، بحكمته وقدرته سبحانه.

قال تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) (الكهف: ٤٦) إن للطفل في الشريعة الاسلامية حقوقا واضحة معروفة أتي بها الشرع المطهر لحفظ وحماية وصيانة كرامته حتي ينمو نفسياً وجسدياً واجتماعياً بشكل طبيعي. وبعض هذه الحقوق تبدأ وهم أجنة في بطون أمهاتهم قبل قدومهم إلى الحياة وتستمر وهم أطفال رضع، ثم مرحلة المراهقة ثم مرحلة الشباب(الأنصاري: ٢٠٠١، ٨).

رسخت الشريعة في القلوب خُلق الرحمة وحثت الآباء والمعلمين على التحلي بها والتخلق بأخلاقها، ومن تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وبحث عن مواقفه عليه السلام وطرائق تعامله مع الأطفال، يقف مندهشاً أمام آيات الرحمة والعطف والرأفة التي أوتيها، فقد كان يُداعب الأطفال ويمازحهم ويلاعبهم قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء : ١٠٧).

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا) أخرجه الترمزي.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قبّل النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال: الأقرع: إن لي عشر من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر النبي صلي الله عليه وسلم إليه، ثم قال: (من لا يَرحم لا يُرحم) أخرجه

البخاري كتاب الأدب/ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ج٥ص٢٢٣٥ رقم الحديث ٥٩٩٧).

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعربي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتقبلون صبيانكم فما نقبلهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم (أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة) (أخرجه البخاري كتاب الأدب ج٥ ص ٢٢٣٥ برقم ٥٦٥٢).

وهو النبي الكريم الذي بكي حين رأي ابنه إبراهيم يجود بنفسه في حجره عليه الصلاة والسلام، فذرفت عيناه وقال: (تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بك يا إبراهيم لمحزنون) (أخرجه البخاري كتاب الجنائز رقم ١٢٤١).

ومواقف رحمته – عليه الصلاة والسلام – بالأطفال كثيرة معلومة.

الذي نود الإشارة إليه هنا وتأصيله في هذا النهج النبوي: أن تكون هذه المواقف التي تحمل أسمي وأنبل المعاني الإنسانية متمثلة أمام الجميع. وبيان سيرته الشريفة مع الأطفال علاج للقسوة والغلظة والعنف والقهر وكل أشكال الاضطهاد. والدعوة إلى تهذيب الأخلاق المتمثلة في الحوار والتواضع والعدل والتسامح.

جعل الله تبارك وتعالى التفرق الذي هو أعظم أسباب الهزيمة والعنف ناتجا عن القسوة والغلظة، فقال سبحانه: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: آية ١٥٩]، وهذا ينطبق على الآباء لو كانوا بهذا الُخلق من القسوة وغلظ القلب انفضَ الأبناء من حولهم ولم ينتفعوا بهم عند كبرهم، والرحمة لا تعني إهمال تربيتهم وتأديبهم وترك تعليمهم أمور الدين ومبادئ الحلال والحرام (فقد أخذ الحسين بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم كخكخ أرم بها أما علمت إنَّا لا نأكل الصدقة) [صحيح مسلم كتاب الزكاة رقم ١٠٦٩٠].

وكذلك يؤصل القرآن الكريم لهذه الرحمة:

وصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بأبآئهم قال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) [الإسراء: ٣١] نهاهم الله سبحانه عن أن يقتلوا أولادهم خشية

الفقر، وقد كانوا يفعلون ذلك ثم بين لهم أن خوفهم من الفقر حتى يبلغوا بسبب ذلك إلى قتل الأولاد لا وجه له [الشوكاني : ١٩٧١م ، ١٠٤٥].

أساليب التربية المستمدة من الكتاب:

التربية الإسلامية: هي النظام التربوي الذي فرض الله على المسلمين أن يربوا به أولادهم والمستمد من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية والهادف إلى تنشئة المسلم وتوجيهه ورعاية جوانب نموه، لبناء سلوكه وإعداده للخلافة الصحيحة في الأرض، لصلاح دينه ودنياه [الحمد : ٢٠٠٣م ، ١٦].

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا] [الأحزاب الآية ٧٠ - ٧١]. يتبين لنا من خلال تفسير الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بتقواه وعبادته دون إعوجاج أو انحراف وذلك بالقول السديد المستقيم. وأنه من أطاع الله ورسوله قد فاز فوزاً عظيماً، وهذه الغاية مبتغى كل مسلم. فيجب علينا أن ننتهج ونتبع الأسلوب والطريقة التي أوصانا بها الله عز وجل، لتحقيق مبتغانا، ولا شك أن السبيل إلى ذلك هو بالتربية المستقيمة التي تستقي من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة [ابن كثير: ١٤٠٧هـ ، ٥٢٩].

المنهج كذلك بينته الشريعة (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [المائدة، الآية ٤٨].

أساليب التربيةِ الدينية والاجتماعية المستمدة من السنة:

يمكن الاستفادة من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في التربية من خلال: القدوة وإسهامه في توظيف جميع طاقاته واستغلالها فيما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة، ويظهر ذلك جليا إذا ما كان المربي مثالاً في العبادة والطاعة (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) [الأحزاب: ٢١] هذه الآية أصل كبير في التآسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله، وأفعاله، وأحواله.

-أسلوب التربية بالموعظة والتلقين، وما للموعظة من فوائد في توفير الجهد عن طريق نقل الخبرات من الراشدين إلى غير الراشدين.

-أسلوب التربية بالحوار والمناقشة ومن أمثلته: الشاب الذي أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا .. الخ (انظر متن الحديث الذي رواه أبو داود في كتاب الصيام، ج١، ص٧٢٧) وهكذا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنع الفتى بأن مالا يقبله على أقربائه لن يقبله الناس على أقربائهم.

-أسلوب ضرب الأمثلة فقد استخدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة منها: وصف من لا يحفظ القرآن، وبيان التواصل بين المؤمنين، وبيان فضل الجليس الصالح، وبيان أثر الصلوات الخمس على المؤمن كل ذلك في أساليب توضيحية رائعة من خلال ضرب الأمثلة الموضحة التي لا يختلف عليها أحد. فحقق بالأمثلة الغاية التربوية التي يهدف إليها.

-وأسلوب الجمع بين التربية بالترغيب والترهيب: ووسائل الترغيب كثيرة منها كالتشجيع، المدح، التقبيل، المسامحة والعفو، النظر بالإبتسامة المشجعة.

- الترهيب والعقاب: كالكف عن التشجيع، الحرمان من الأشياء المحببة، الضرب المشروط(الحمد : ٢٠٠٣هـ ، ١٨٤).

التربية مسئولية عظيمة في عنق الوالدين كما قال النبي صلي الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) [أخرجه البخاري كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده برقم : ٢٤١٩، ٢١٥].

الأساليب التي يرفض الإسلام إتباعها مع الطفل في التربية :

أعظم مهمة للأسرة هي تربية الطفل، فمسؤولية الأسرة نحو تربية الطفل تربية سليمة – بهدف تكوين شخصية الطفل تكوينا متزنا – مسؤولية جسيمة، لاسيما في هذا العصر الذي تكاثرت مشاكله، وتداخلت الجهات التي تؤثر في هذه التربية .(أبو غدة: ١٤٣٧هـ، ٢٣١). فالأساليب التي يرفض الإسلام إتباعها مع الطفل:

١. التدليل المفسد وما يتعلق به من شدة الخوف علي الولد.
٢. القسوة المفرطة وما يتعلق بها من تقريع الطفل علي مشهد من الآخرين.
٣. التفرقة في المعاملة وما يتعلق بها من تفضيل وإيثار بعض الأبناء علي بعض، فذلك يولد بينهم العداوة والبغضاء والحقد . قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (اتقوا

الله واعدلوا بين أولادكم) [صحيح البخاري، كتاب الهبة باب الإشهاد في الهبة حديث رقم ٢٥٨٧].

العقوبات التي تترتب علي العنف ضد الأطفال في الاسرة من وجهة نظر الشرع:

حرصت الشريعة الإسلامية على تحديد معني الطفل، فالطفل هو الناشئ المأخوذ بالتربية والإعداد حتي يبلغ الحلم، وعندما يبلغ الحلم تتحدد شخصيته، ويصبح مكلفا من قبل الشرع ومسؤول عن تصرفاته (الحمد : ٢٠٠٣هـ، ١٧).

حددت الشريعة الإسلامية بلوغ الحُلم نهاية مرحلة الطفولة وذلك تطبيقا لقولة تعالى: (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا). [النور : آية ٥٩].

وتعد الشريعة الإسلامية أول من ميز بين الصغار والكبار من بني البشر، اذ قررت أحكاماً اختلفت باختلاف السن منذ ولادة الإنسان إلى حين بلوغه. وقد تتنوع العقوبات قد تكون: من نزع الحضانة والسجن والغرامة.

الدارسة الميدانية:

أولاً- التعريف بمجتمع الدارسة:

يتمثل في طالبات التربية الميدانية بقسم رياض الأطفال بكلية التربية بالدوادمي واللاتي بلغ عددهن ١٢٠ طالبة، موزعات على الروضات الحكومية والأهلية بمحافظة الدوادمي، وقد تم اختيار مجتمع الدراسة من طالبات التدريب الميداني نظرا الى أن الطالبات هن أكثر طالبات الكلية اهتماما وقربا من الأطفال، والنظر إلى مشكلات الأسرة والطفولة بصورة واعية الى جانب أنهن يتدربن على الأطفال وبرامج الأطفال المختلفة في روضات التدريب، وعلى علاقة بالأسر طوال فترة التطبيق العملي التي تمثل فصلان دراسيان كاملان(وحدة التربية الميدانية:٢٠١٧).

ثانياً- أدوات الدراسة:

تم استخدام استبيان من إعداد الباحثات للتعرف على واقع العنف الأسري ضد الأطفال، للإجابة على تساؤلات الدراسة ولتحقيق أهداف الدراسة تم تصميم الاستبيان الموجه لمجتمع الدارسة في ثلاث محاور وهي :

المحور الأول: ظاهرة العنف ضد الأطفال من وجهة نظر المجتمع.
المحور الثاني: من الذي يمارس العنف ضد الأطفال في الأسرة.
المحور الثالث: أشكال العنف ضد الأطفال في الأسرة.
المحور الرابع: أسباب العنف ضد الأطفال في الأسرة.
المحور الخامس: الحد من ظاهرة العنف ضد الأطفال في الأسرة.

ثالثاً: عينة الدراسة:

طبقت الدراسة عن طريق عينة عشوائية من طالبات التربية الميدانية بقسم رياض الأطفال بكلية التربية بالدوادمي جامعة شقراء، بلغ حجمها ١٢٠ طالبة بنسبة ٥٠% من مجتمع الدراسة.

التحليل الإحصائي:

في تحليل البيانات استخدمت الباحثات النسب المئوية البسيطة لاستخراج النتائج

عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:

السؤال الأول: والذي ينص على (ما هو واقع العنف الذي يتعرض له الأطفال في بالمملكة العربية السعودية بمحافظة الدوادمي ؟).

جدول رقم (١)

رقم	البند	نعم	لا	المجموع
١	هل ظاهرة العنف ضد الأطفال ظاهرة قديمة في المجتمع السعودي؟	%٧٥	%٢٥	%١٠٠
٢	هل ظاهرة العنف ضد الأطفال منتشرة في المجتمع السعودي؟	%٧١	%٢٩	%١٠٠
٣	هل يري المجتمع السعودي أن العنف ضد الأطفال وسيلة لتربية وتأديب الاطفال؟	%٧٠	%٣٠	%١٠٠
٤	هل ساهم المجتمع الحديث في بروز ظاهرة العنف ضد الأطفال والغاء الضوء عليها؟	%٧٦	%٢٤	%١٠٠

أظهرت استجابات العينة بالجدول أعلاه أن٧٠%يروا أن ظاهرة العنف ضد الأطفال ظاهرة قديمة، ومنتشرة في مجتمع الدراسة، وأن ٧٦% من العينة يروا أن المجتمع الحديث والتغيرات التي طرأت عليه أظهرت هذه الظاهرة وجعلتها محل اهتمام من قبل الهيئات والباحثين. اتفقت هذه النتيجة مع معظم الدراسات السابقة بمتن البحث.

السؤال الثاني: الذي ينص على (من هو الذي يمارس العنف على الأطفال في بالمملكة العربية السعودية بمحافظة الدوادمي ؟).

جدول رقم (٢)

الممارس للعنف	نسبة العنف الممارس
الأب	٧٠.٤%
الأم	٢١.٧%
الأقارب	٣١.٧
أخرى تذكر	الأخوة، وزوجة الأب، وزوج الأم

أسفرت نتائج الدراسة على أن الأب هو الذي يمارس العنف ضد الأطفال بشكل كبير وقد جاءت بنسبة ٧٠,٤% بينما أن الأمهات أقل ممارسة للعنف حسب إجابات العينة، اتفقت الدراسة الحالية في هذه النتيجة مع (دراسة آل سعود٢٠٠٠) التي أظهرت أيضا أن لزوجة الأب دور في العنف ضد الأطفال وكذلك (دراسة اليوسف ٢٠٠٩) التي أبانت أن الطلاق والتفكك الأسرى يعد من الأسباب الواضحة للعنف ضد الأطفال.

السؤال الثالث: الذي ينص على (ما هي أشكال العنف التي يتعرض لها الأطفال بالمملكة العربية السعودية بمحافظة الدوادمي ؟)

جدول رقم (٣)

أشكال العنف	نعم	أحيانا	لا	المجموع
عنف جسدي	٤٦،٧%	٤٨،٣%	٥%	١٠٠%
عنف نفسي	٦١،٧%	٣٥%	٣،٣%	١٠٠%
أخري (تذكر)				

من الجدول أعلاه يتضح أن أكثر أشكال العنف الممارس هو العنف النفسي الذي جاء بنسبة ٦١,٧ بدرجة كبيرة ونسبة ٣٥% الى حد ما، تتفق هذه النتيجة مع (دراسة الزهراني: ٢٠٠٤) أن ٥% فقط يروا أنه لا يمارس عنف جسدي مع الأطفال.

ماهي أشكال العنف الجسدي التي تمارس ضد الأطفال .

جدول رقم (٤)

أشكال العنف	نعم	أحيانا	لا	المجموع
الحبس	٢٥%	٢٥%	٥٠%	١٠٠%

الحرق	%١٦	%٢٠	%٦٣،٣	%١٠٠
التجويع	%١٣،٣	%٢٠	%٦٦،٧	%١٠٠
الضرب	%٨٠	%٢٠	% ٠	%١٠٠
أخري (تذكر)				

يبين الجدول أعلاه أن أكثر أشكال العنف الأسري المارس مع الأطفال في المجتمع هو الضرب الذي جاء بنسبة٨٠%، ويرى أكثر من نصف أفراد العينة أنه لا توجد ممارسات الحرق والتجويع.

ما هي أشكال العنف النفسي التي تمارس ضد الأطفال.

جدول رقم (٥)

أشكال العنف	نعم	أحيانا	لا	المجموع
التوبيخ	%٨٣،٣	%١٥	%، ١،٧	%١٠٠
الاذلال	%٣٥	%٣.٤٣	% ٢١	%١٠٠
اثارة الالم النفسي	% ٥١،٧	%٣٠	%١٨،٣	%١٠٠
التفرقة بين الابناء	%٧٣،٣	%٢٥	%١،٧	%١٠٠
أخري (تذكر)	رفع الصوت	التهديد	النظرة الحادة	

نلاحظ من الجدول أعلاه أن التوبيخ ٨٣,٣ والتفرقة بين الأبناء ٧٣,٣ كان أعلى استجابات للعينة مما يبين ممارستها بشكل كبير في مجتمع الدراسة، كما أظهرت أن من الأساليب الممارسة والموجودة بمجتمع الدراسة رفع الصوت والتهديد والنظرة الحادة.

السؤال الرابع: الذي ينص على (ما هي أسباب العنف ضد الأطفال بالمملكة العربية السعودية بمحافظة الدوادمي).

جدول رقم (٦)

السبب	أوافق تماماً	اوافق	لا اوافق	المجموع
عدم السعادة الزوجية	%٣٧.٣	%٤٢.٤	%٢٠.٣	%١٠٠
كثرة عدد الأبناء في الأسرة	%٢٧.١	%٣٧.٣	%٣٥.٦	%١٠٠
تدني المستوي الاقتصادي	%٢٦.٧	%٣٣.٣	%٤٠	%١٠٠
تعرض الوالدين للعنف في الصغر	%٢٢.٤	%٩.٥٦	%٢٠.٧	%١٠٠
تدني المستوي التعليمي للأسرة	%٤٠	%٣٦.٧	%٢٣.٣	%١٠٠
تعاطي الكحول او المخدرات	%٦٨.٣	%١٨.٣	%١٣.٣	%١٠٠

ضعف الوازع الديني	٤٥.٨%	٣٢.٣%	٢٢%	١٠٠%
عدم الوعي بأساليب التربية الصحيحة	٥٨.٣%	٣٦.٧%	٥%	١٠٠%
العادات والتقاليد بالمجتمع	٢٥.٤%	٥٢.٥%	٢٢%	١٠٠%
نوع الطفل (ذكر / انثي)	٢٩.٨%	٢٤.٦%	٤٥.٦%	١٠٠%
وسائل الاعلام	١٠.٢%	٣٣.٩%	٥٥.٩%	١٠٠%
عدم تطبيق ميثاق حماية الطفل	٣٩%	٤٢.٤%	١٨.٦%	١٠٠%
آخري (تذكر)				

يظهر من الجدول أعلاه أن أكثر أسباب العنف الأسري ضد الأطفال هي عدم الوعي بالتربية الصحيحة، يليه تعاطي الكحول أو المخدرات يليه تعرض الوالدين للعنف في الصغر يليه ضعف الوازع الديني والعادات والتقاليد تدني المستوي التعليمي، بينما لم يتفق أفراد العينة على نوع الطفل ووسائل الإعلام كونها أسباب للعنف الأسري، اتفقت الدراسة الحالية مع (دراسة آل سعود ٢٠٠٠) في كون تدني المستوى التعليمي للأسرة يعد من أسباب العنف واختلفت معها حول حجم الأسرة الذي لم تر العينة أنه من الأسباب الواضحة واتفقت أيضا مع دراسة (اليوسف ٢٠٠٩) حيث أظهرت العينة أن إدمان الكحول من الأسباب الجوهرية لممارسة العنف مع الأطفال واختلفت مع دراسة مصطفي التي أظهرت أن لنوع الطفل دور في أسباب العنف.

السؤال الخامس: الذي ينص على (ما هو الرأي الفقهي لحالات العنف ضد الأطفال وكيف رفض الاسلام العنف ضد الأطفال؟)

تبين من أدبيات الدراسة أن الإسلام نهى عن العنف ضد الأطفال، والرحمة بهم.

السؤال السادس: الذي ينص على (ما هي الحلول القائمة للحد من العنف ضد الأطفال بالمملكة العربية السعودية ؟)

من خلال إجابات أفراد العينة تظهر هناك العديد من الحلول التي بذلت من قبل هيئات حقوق الطفل ومؤسسات التنشئة الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية والتي تتمثل في الآتي:

١. دورات تأهيل المقبلين على الزواج وتكوين أسر.

٢. تفعيل مراكز الإرشاد الأسري.
٣. تفعيل قانون حماية الطفل.
٤. تنفيذ برامج توعوية من خلال وسائل الإعلام.
٥. إثراء المناهج التعليمية بالتربية الأسرية وتفعيل برامج الشراكة المجتمعية مع المؤسسات التعليمية والأسرة لبيان أهمية الأسرة في التنشئة السليم للنشء.

الخاتمة:

أولاً - تلخيص النتائج:

يمكن تلخيص النتائج التي أسفرت عنها الدراسة فيما يلي:

١. العنف الأسري ضد الأطفال ظاهرة قديمة ومنتشرة في المجتمع السعودي الذي يرى أن العنف طريقة من طرق تربية الطفل.
٢. الأب هم أكثر فد في الأسرة يمارس العنف مع الأطفال.
٣. أكثر أشكال العنف الأسري الممارس مع الأطفال هو العنف النفسي المتمثل في التوبيخ والتفرقة بين الأبناء.
٤. أكثر أشكال العنف الجسدي الممارس مع الأطفال بالمجتمع هو الضرب بينما تقل ممارسة الحبس والحرق والتجويع.
٤. من أكثر أسباب العنف عدم الوعي بالتربية الصحيحة، وتعاطي الكحول أوالمخدرات، وتعرض الوالدين للعنف في الصغر، وضعف الوازع الديني، والعادات والتقاليد، وتدني المستوي التعليمي للأسرة.
٥. تحريم الإيذاء الأسرى للأطفال عن طريق وضع مشروع متكامل للعقوبات من الشريعة.
٦. برزت العناية الإلهية بالطفل منذ خلقته وتكوينه وشرع له الإسلام واجبات الزم الأسرة والمجتمع بمراعاتها نحوه من رحمة وتربية وصحه وتعليم وغيرها.
٧. نهى الإسلام عن ممارسة العنف ضد الأطفال وحذر من إيذائهم.
٨. نهى الإسلام عن الضرب، وفي أمر الصلاة والتأديب جعله مشروط.
٩. النهي عن الدعاء علي الأطفال.

١٠. اهتمام الشريعة الإسلامية بحقوق الأطفال من رضاعة – نفقة – صحة –تعليم وغيرها.

ثانياً – التوصيات:

على ضوء نتائج الدراسة نوصي بالآتي:

١. رعاية الإسلام للطفل في الأسرة المسلمة واجبة على الآباء والأمهات.
٢. الأسرة هي الوحدة الأولى في المجتمع والتي تتكون عن طريق الزواج الشرعي وما يسودها من قيم أخلاقية إسلامية يلتزم بها الجميع.
٣. الوعظ والإرشاد الديني مهم لحماية المجتمع من المشكلات إذ إن تعاليم الدين الإسلامي توضح أهمية التراحم والترابط الأسري.
٤. توعية المجتمع بأساليب التربية الصحيحة.
٥. توعية المجتمع من خطورة الإدمان وأثره على الأسرة.
٦. تفعيل قانون حماية الطفل.
٧. تفعيل دور مراكز الإرشاد الأسري.

قائمة المراجع والمصادر:

القرآن الكريم

١. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم(١٤٠٧هـ). صحيح البخاري؛ كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ج٥، ص٢٢٣٥رقم الحديث(٥٩٩٧)، دار الريان للتراث، القاهرة.

٢. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم(١٤٠٧هـ). صحيح البخاري؛ كتاب الجنائز، باب قول النبي صلي الله وسلم إنا بك لمحزنون.

٣. الامام مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم(١٤١٦هـ). صحيح مسلم؛ كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله صلي الله عليه وسلم وعلى آله دون غيرهم، حديث رقم (١٠٦٩٠) ، دار الخير للنشر والتوزيع، دمشق.

٤. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(١٩٧١م). فتح القدير، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥. ابن كثير، إسماعيل بن عمر(١٤٠٧هـ) تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار المعرفة.
٦. الحمد، أحمد محمود(٢٠٠٣هـ) تربية الطفل في الإسلام، دار النشر الدولي، الرياض.
٧. أبو غدة، حسن عبد الغني(١٤٣٧هـ).الإسلام وبناء المجتمع، مكتبة الرشد، الرياض.
٨. سليمان، شحاتة سليمان محمد(٢٠١٠). التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، دار النشر الدولي، القاهرة.
٩.عبد الرحمن، علي إسماعيل(٢٠٠٦). العنف الأسري الأسباب والعلاج، مكتبة الأنجلو المصرية، الإسكندرية.
١٠. غيث، محمد عاطف (١٩٩٠): قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
١١. المسيري، نوال علي عواطف وأسعد أشرف(٢٠١٢). المشكلات الاجتماعية والقضايا المجتمعية المعاصرة، مكتبة الرشد، الرياض.
١٢. اليوسف، عبد الله عبد العزيز (٢٠٠٩). العنف الأسري في المجتمع السعودي، جامعة الإمام محمد بن سعود قسم علم الاجتماع، مركز آفاق الدراسات والبحوث، الرياض.
١٣. الزهراني، علي سعد (٢٠٠٤). ظاهرة إيذاء الأطفال في المجتمع السعودي، مركز أبحاث الجريمة، الرياض.
١٤. آل سعود، منيرة(٢٠٠٠). ظاهرة إيذاء وأسباب وخصائص المتعرضين لها، رسالة دكتورة غيرة منشورة، جامعة الملك سعود.
١٥. باوزير، إبراهيم بن عمر بن عبدالله(٢٠٠١). الجرائم الجنائية الواقعة على الأطفال في مدينة الرياض، بحث مكمل لرسالة الماجستير، المعهد العالي للقضاء.
١٦. عزت، محمد(٢٠١٢). (العنف الأسري الموجه ضد الأبناء وعلاقته بالوحدة النفسية)؛ مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، مج ٢٨؛ ع ١. ص ٦٧- ١٠٦.

١٧. كامل، مي (١٤٢٠). إساءة المعاملة البدنية والإهمال الوالدي بجامعة أم القرى كلية التربية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.
١٨. مصطفي، يامن العنف الاسري وعلاقته بالتوافق لدي المراهقين في مدارس مدينة دمشق، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة دمشق .
١٩. الزهراني، علي حسن(د،ت):العنف ضد الأطفال وإهمالهم في المملكة العربية السعودية.
٢٠. جبرين، علي جبرين (٢٠٠٥). العنف الأسري خلال مراحل الحياة، مكتبة الملك فهد الوطنية السعودية، الرياض.
٢١. مطاوع، ضياء الدين محمد وحسن جعفر الخليفة (٢٠١٧). مبادئ البحث ومهاراته في العلوم التربوية والنفسية والاجتماعية، مكتبة المتنبي، الدمام.
٢٢. عبد المحمود، عباس أبو شامة (٢٠٠٤). جرائم العنف وأساليب مواجهتها في الدول العربية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض.
٢٣.عدس، محمد عبد الرحيم (٢٠٠١). رياض الأطفال. دار الفكر للطباعة والنشر عمان ، الأردن.

الملحـــــــق:

استبانة حول واقع العنف الأسري ضد الأطفال في محافظة الدوادمي بالمملكة العربية السعودية من منظور إسلامي واجتماعي – جامعة شقراء

رقم	البند	نعم	لا
١	هل ظاهرة العنف ضد الأطفال ظاهرة قديمة في المجتمع السعودي؟		
٢	هل ظاهرة العنف ضد الأطفال منتشرة في المجتمع السعودي؟		
٣	هل يري المجتمع السعودي أن العنف ضد الأطفال وسيلة لتربية وتأديب الاطفال؟		
٤	هل ساهم المجتمع الحديث في بروز ظاهرة العنف ضد الأطفال والغاء الضوء عليها؟		

١) من الذي يمارس العنف ضد الأطفال في الأسرة:

الممارس للعنف	نعم	أحيانا	لا
الاب			
الام			
الأقارب			
أخري (تذكر)			

٦- ماهي أشكال العنف التي تمارس ضد الأطفال .

أشكال العنف	نعم	أحيانا	لا
عنف جسدي			
عنف نفسي			
أخري (تذكر)			

٧- ماهي أشكال العنف الجسدي التي تمارس ضد الأطفال .

أشكال العنف	نعم	أحيانا	لا
الحبس			
الحرق			
التجويع			
الضرب			
أخري (تذكر)			

٨- ماهي أشكال العنف النفسي التي تمارس ضد الاطفال .

أشكال العنف	نعم	أحيانا	لا
التوبيخ			
الاذلال			

اثارة الالم النفسي			
التفرقة بين الابناء			
أخري (تذكر)			

٩- الي أي مدي تري أن هذه الأسباب لها علاقة بممارسة العنف الأسري ضد الأطفال.

السبب	اوافق تماما	اوافق	لا اوافق
عدم السعادة الزوجية			
كثرة عدد الأبناء في الأسرة			
تدني المستوي الاقتصادي			
تعرض الوالدين للعنف الأسري في الصغر			
تدني المستوي التعليمي للأسرة			
تعاطي الكحول او المخدرات			
ضعف الوازع الديني			
عدم الوعي بأساليب التربية الصحيحة			
العادات والتقاليد بالمجتمع			
نوع وجنس المولود (ذكر / انثي)			
وسائل الاعلام			
عدم تطبيق ميثاق حماية الطفل			
آخري (تذكر)			

١٠- ماهي مقترحاتك للحد من ظاهرة العنف ضد الاطفال ؟

(دور الحديث النبوي في تغيير الأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس بمحلية كسلا من وجهة نظر المعلمين –تلاميذ الحلقة الثالثة نموذجا).

د. حاج حمد تاج السر حاج حمد محمد –نائب عميد كلية الدراسات الإسلامية
د. علي موسى أبكر – قسم العلوم التربوية –كلية التربية

مستخلص الدراسة

هدفت هذه الدراسة للوقوف على دور الحديث النبوي الشريف في تغيير الأنماط السلوكية لتلاميذ الحلقة الثالثة بمرحلة الأساس من وجهة نظر معلمي التربية الإسلامية بمدارس محلية كسلا،وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وتم اختيار عدد (١٠٠) معلم ومعلمة كعينة من مجتمع البحث، والذي يمثل معلمي ومعلمات التربية الإسلامية بمرحلة الأساس بمحلية كسلا، وعددهم (٣٣٧) معلما ومعلمة حيث تم جمع البيانات الرئيسة بواسطة استبانة تم تصميمها لأغراض هذا البحث واعتمدت الدرسة في تحليل البيانات على أدوات الحزمة الإحصائية للدراسات الاجتماعية.spss. وخرجت الدراسة بعدة نتائج أهمها: أن هنالك تغيير للإنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس يتسم بالإيجابية، وهذا يدل على أن الأسس التي تم على ضوئها بناء المناهج في ترسخ العقيدة الإسلامية – وأنماط السلوك المرتبطة بالقيم الإسلامية-موزعة في المنهج بحيث تكون شاملة ومتنوعة ومتكاملة ،ويتوافق سلوك التلاميذ الآن مع ماهو مستهدف من أنماط سلوكية إسلامية نابعة من المنهج النبوي من خلال الحديث الشريف، حيث تم غرسها من خلال مناهج التعليم الأساسي، ويوجد دور للحديث النبوي في تغيير الأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس يتسم بالإيجابية من وجهة نظر المعلمين الذين يدرسون مقرر التربية الإسلامية بمرحلة الأساس بمحلية كسلا.

وأن المعلمين الذين يدرسون التربية الإسلامية بمحلية كسلا بمرحلة الأساس غالبيتهم من المعلمات اللآئي يحملن درجة البكلاريوس العام غير المتخصص في التربية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية : الحديث ، السلوك ، مرحلة الاساس ، الحلقة الثالثة ، محلية كسلا

الإطار العام للبحث

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه ووليه وخيرته من خلقه ،صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد

فمما لا شك فيه أن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لكل مسلم في كافة مناحي حياته، وأن السنة النبوية هي التي تبين وتفسر وتشرح ماجاء فيه من نصوص،وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو المثال الحي لتنفيذ وتطبيق ما جاء به القران، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا). (الأحزاب: ٢١) وبعد انتقال القدوة للرفيق الأعلى ترك لنا ثروة ضخمة من الأقوال والافعال والتقريرات الصحيحة، التي أحدثت تغيرا ضخما في سلوك الأمة في العصر الأول، ومع تطاول الزمن وبُعد الشقه بين عصرنا وصدر النبوة، وتغير النظم التربوية والتعليمية، حدث تغير كبير في الأنماط السلوكية لطلاب العلم في كافة المراحل التعليمية، وقد تأثر بهذا التغير طلاب مرحلة الأساس التي هي بداية الغرس، وحتى نقف على مدى التغير، وإمكانية إلتماس دور للحديث النبوي في تهذيب سلوك طلاب مرحلة الأساس اخترنا أن نجري دراسة تطبيقية على محلية كسلا،بولاية كسلا، نستطلع فيها بالإستبانة آراء المعلمين والمعلمات في دور الحديث في تغيير الأنماط السلوكية لطلاب الحلقة الثالثة، لأن هذه هي فترة تشكل شخصية المسلم المتكامل.

الدراسات السابقة:

(١) دراسة بعنوان: (الأساليب التربوية النبوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك وكيفية تفعيلها مع طلاب المرحلة الثانوية بنين-تصور مقترح) إعداد الطالب فواز بن مبيريك حماد الصعيدي، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة،مقدمة

إلى كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى. ٢٠٠٩-١٤٣٠هـ. وهدفت الدراسة إلى : مساعدة صُنَّاع القرار التربوي على بلورة فكرة التطبيق الفعلي للأساليب النبوية في التوجيه وتعديل السلوك بالمرحلة الثانوية -بنين مع التعرف على دور برامج التوجيه وتعديل السلوك بالمرحلة الثانوية -بنين. التعرف على الأساليب النبوية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في توجيه وتعديل سلوك بعض الصحابة. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي مع استخدام طريقة الاستنباط من الأحاديث النبوية. وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج أهمها: أن الهدف الأسمى من أهداف الإرشاد والتوجيه هو توجيه الطالب إلى المنهج الرباني. مساهمة أساليب التربية النبوية في تنمية الجانب النفسي لشخصية الطالب المسلم بالمرحلة الثانوية. والفرق بين هذه الدراسة ودراسة الباحثان، أن هذه الدراسة تمت على طلاب المرحلة الثانوية، ودراسة الباحثان تمت على تلاميذ مرحلة الأساس من وجهة نظر المعلمين، ودراسة الباحثينن تتحدث عن الأنماط السلوكية في الحديث النبوي، وهذه الدراسة تتحدث عن تصور مقترح للبحث عن الأساليب التربوية النبويه في التوجيه وتعديل السلوك.

(٢) بحث علمي بعنوان: (المنفعة المترتبة على السّلوك الإنسانيّ في السنّة النبويّة) إعداد/ الدكتور عدنان مصطفى خطاطبة (قسم الدراسات الإسلامية) مقدم إلى (مؤتمر السنّة النبوية في الدراسات المعاصرة) محور: أثر السنّة في توجيه العلوم التربوية - كلية الشريعة/ جامعة اليرموك / ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

هدفت الدراسة إلى بحث موقف السنّة النبوية من المنفعة المترتبة على السّلوك الإنساني، وذلك من خلال مباحثها الأربعة. حيث درس المبحث الأول منها الجانب المفاهيمي وتوصّل إلى شمولية مفهوم المنفعة في السنّة للمصالح والملذّات الظاهرة والباطنة والعاجلة والآجلة، ومقابَلة مفهوم السّلوك للعمل وشموليته للاستجابات الظاهرة والباطنة، ودرس المبحث الثاني أطر المنفعة ومقرراتها، وتوصّل إلى عمق التأصيل الشرعيّ لمطلب المنفعة وارتباطه القيمي، وتنوعِ مصادره وتقسيماته وصيغه، ودرس المبحث الثالث محددات المنفعة، وتوصّل إلى تأثرها بالمعتقد والبيئة والفروق الفردية وبسواء السلوك وإتقانه وبالفضل الرباني، وفي سبيل التحقيق في طبيعة العلاقة بين المنفعة

والسلوك وإمكان تطبيقاتها الميدانية، جاء المبحث الرابع ليدرسها دراسة تحليلية شملت جوانب المنفعة والأداء السلوكي والعلاقة النوْعيّة والكَمّية بينهما والأثرَ في تعديل السّلوك. ثم ختمت الدراسة بأهم النتائج والتوصيات.

(٣) دراسة محمد حسن أحمد حسن، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، بعنوان: (الأساليب التربوية في السنة النبوية الشريفة)، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية ، جامعة الأزهر، القاهرة. حيث تناولت هذه الدراسة الأساليب التالية التربوية النبوية من خلال: أسلوب القدوة، وأسلوب التربية العملية، وأسلوب الأمثال، وأسلوب القصة. حيث استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي للوصول للنتائج واستنباط الأساليب. وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج تم من خلالها اظهارالأساليب موضوع الدراسة (القدوة –والتربية العملية –الأمثال والقصة) من خلال السنة النبوية في التربية واعتبرت الدراسة أسلوب التربية العملية من أهم أساليب التربية لأنه يعتمد على النشاط الذاتي للفرد وبه يكتسب الفرد المعارف والمهارات والخبرات اللازمة للتعلم.

ولعل ما توصلت إليه هذه الدراسة يتشابه مع النتيجه التي توصلت لها دراسة الباحثينن،مع أن هذه الدراسة تعمل على حصر أهم الأساليب التربوية في السنة النبوية. ولعل نتيجة أن التربية العملية هي أهم أسلوب هو ما يعتمده الباحثان ويبحثان لدور الحديث النبوي فيه من وجهة نظر معلمي المدارس بمحلية كسلا الذين يدرسون التربية الإسلامية، بمرحلة الأساس.

(٤) دراسة محمود أبو دف، بعنوان: (بعض الأساليب التربوية المستنبطة من خلال السنة النبوية)، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، مصر. وهدفت الدراسة إلى الكشف عن بعض الأساليب التربوية التي تضمنتها السنة النبوية المطهرة، وقد حدَّد الباحث الأساليب التربوية كما جاءت في السنة النبوية في ثلاثة أساليب هي: أساليب متعلقة بوظائف المربي، وأساليب متعلقة بآراء المربي، وأساليب متعلقة بعلاقة المعلم بالمتعلم.

وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي، وتوصل لعدة نتائج أهمها: التأكيد على ضرورة الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في مجال التربية. بيان تعدد وتنوع

الأساليب التربوية التي كان يستعملها الرسول صلى الله عليه وسلم في تربيته وشملوها لجميع جوانب الحياة.

ولعل التشابه بين هذه الدراسة ودراسة الباحثين أن الدراستين تعملان على الاستنباط من كتب السنة النبوية الصحيحة للبحث عن الأساليب التربوية والأنماط السلوكية تأصيلاً للمنهج وتطبيقاً عملياً للدين الإسلامي، وتتشابهان أيضاً في الوقوف على رأي المربي، وهو معلم المرحلة المحددة. وتختلف دراسة الباحثين عن هذه الدراسة في أنها وقفت فقط على آراء المربي بمرحلة الأساس لمعرفة دور الحديث النبوي في تغيير الأنماط السلوكية لتلاميذ هذه المرحلة.

والفرق بين هذه الدراسة والدراسات السابقة أن هذه الدراسة تسعى للوقوف على دور الحديث النبوي في تغيير الأنماط السلوكية من خلال آراء معلمي التربية الإسلامية، حيث أن كتب المرحلة الاساسية هي التي تبني هذا التلميذ بذرة يانعة في الحلقة الأولى والثانية، ويستوي الغرس في الحلقة الثالثة لذلك كان التركيز على المعلم الذي يدرس التربية الإسلامية في هذه الحلقة، المهمة لتشكيل التلاميذ لمستقبل قادم.

مشكلة البحث:

ومشكلة البحث هي الوقوف على دور الحديث النبوي في تغيير سلوك تلاميذ الحلقة الثالثة، من خلال وجهة نظر المعلمين في هذه الحلقة. حيث لاحظ الباحثان مشكلة الدراسة من خلال عملهما في المجال التربوي وهي عدم وضوح الرؤية في تغيير الأنماط السلوكية عند طلاب الحلقة الثالثة من تلاميذ مرحلة الاساس، ودور محتويات مفردات الحديث النبوي التي تشير إلى تغيير وتضبط السلوك الإنساني للطلاب في هذه المرحلة.

أهمية البحث:

تنبع أهمية الداسة في الآتي:

١-معرفة أهمية الحديث النبوي الشريف في حياة المتعلم.

٢-تعزيز أهمية الدروس الدينية لدى المعلمين في تغيير الأنماط السلوكية.

٣-قد ينتفع بهاالمسؤولون عن التخطيط التربوي، وإعداد المناهج في وزارة التربية والتعليم.

٤-قد تفيد الدراسة في وضع حلول لتغيير الأنماط السلوكية عبر الحديث النبوي.
٥-الوقوف على رأي المعلمين والمعلمات في دور الحديث في تغيير سلوك التلاميذ.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية:

أ/ التعرف على الأنماط السلوكية في مقررات الحلقة الثالثة بمرحلة الأساس من خلال نظرة معلمي التربية الإسلامية الذين يدرسون مفردات مقرر الحديث الشريف.

ب/ الوقوف على الأهداف والغايات التي يسعى المقرر لغرسها في التلاميذ لهذه المرحلة.

ج/ التعرف على مدى تأثير مادة الحديث الشريف في سلوك تلاميذ هذه الحلقة.

د/ التأكيد على أن مناهج التعليم في السودان مستقاة من القيم الإسلامية السمحة.

منهج البحث:

استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وتم اختيار عينة البحث من معلمي مرحلة الأساس بمحلية كسلا الذين يدرسون التربية الإسلامية من خلال الإستبانة التي تم تصميمها للوقوف على دور مفردات الحديث الشريف في تغير الأنماط السلوكية من خلال وجهة نظر المعلمين.

فروض البحث:

١-تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى طلاب الحلقة الثالثة بمرحلة الأساس من وجهة نظر المعلمين يتسم بالإيجابية.

٢-توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى طلاب الحلقة الثالثة مرحلة الأساس تعزى لمتغير النوع من وجهة نظر المعلميين.

٣-توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى طلاب الحلقة الثالثة مرحلة الأساس تعزى لمتغير التخصص من وجهة نظر المعلمين.

٤-توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى طلاب الحلقة الثالثة مرحلة الأساس تعزى لمتغير سنوات الخبرة من وجهة نظر المعلمين.

٥-توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى طلاب الحلقة الثالثة مرحلة الأساس تعزى لمتغير درجة التمسك بالأنماط السلوكية.

حدود البحث:

أ/ اقتصرت هذه الدراسة على دور الأحاديث النبوية في كتاب التربية الإسلامية للحلقة الثالثة في السودان، حيث تمت الدراسة التطبيقية بمحلية كسلا بولاية كسلا في العام ٢٠١٨م الميلادي.

ب/ تعمل الدراسة على البحث والكشف عن القيم السلوكية وانماطها من خلال المقرر الدراسي.

مصطلحات البحث:

أ/ الحديث: الحديث في إصطلاح جمهور المحدثين يطلق على قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره (الدهلوي، مقدمة في أصول الحديث ، ص٣٣)

ب/ السلوك: يقصد كل الأفعال والتصرفات التي تصدر عن الفَرْد في مواقف الحياة المختلفة(أساسيات سلوك الإنسان، علي ، (د.ت).

سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال: فلان حسن السلوك، أو سيئ السلوك والسلوك في علم النفس: الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حي إزاء أي موقف يواجهه (المعجم الوجيز : ٣١٩)

ج/ مرحلة الأساس: هي تلك المرحلة الدراسية التي تلي التعليم قبل المدرسي وتعقبها المرحلة الثانوية.

هـ/ الحلقة الثالثة: هي الفصل السادس والسابع والثامن، من مرحلة الأساس.

د/ محلية كسلا: هي تلك المحلية التي أنشأت بموجب الحكم الفدرالي، وقسمت ولاية كسلا إلى إحدى عشرة محلية(العرض الاقتصادي والاجتماعي، شادية ،-٢٠١٥م)

الإطار النظري:

تعد مقررات التربية الاسلامية بمرحلة الأساس هي البذرة الأولي لغرس القيم الإسلامية حسب المنهج النبوي، وذلك من خلال الأهداف التي يضعها المختصون للوصول للهدف المنشود، وبعد التطبيق الفعلي للمنهج يتم التقويم والتقييم بواسطة المتخصصين في كل مقرر، وتأتي هذه الدراسة في إطار الوقوف علميا وعمليا على دور الحديث النبوي

الشريف في تغيير اللأنماط السلوكية لدى تلاميذ الحلقة الثالثة بمرحلة الأساس من وجهة نظر المعلمين الذين يدرسونهم، ودوره في تغيير الأنماط السلوكية أو التمسك بها من وجهة نظر المعلمين.

أهداف التربية الإسلامية: (انظركتاب الفقه والعقيدة، ٢٠٠٦م)

لعل أبرز أهداف التربية الإسلامية المكتوبة في بداية كل كتاب لها في مرحلة الأساس هوتنمية العقيدة الصحيحة في نفس التلميذ، وتمتين إيمانه بالله تعالى وإزكاء ودعم تأكيد إعتزازه بالإسلام وتعريفه بأصول الدين وأركان الإسلام وعموم الرسالة الإسلامية وشمول صلاحيتها لكل زمان ومكان. مع تبصير التلميذ بقواعد الإسلام وكيفية أدآء العبادات وتدريبه على الشعائر الدينية وترغيبه في أدائها. وتعريفه بقيمة الوقت وعلاقته بالعبادات، مع التنشئة على قيمة الخير والفضائل والأخلاق والآداب الاسلامية وتعديل سلوكهم وعاداتهم واتجاهاتهم لتنبثق من تعاليم الدين وتراث الأمة وقيم المجتمع الفاضلة وتعميق مفاهيم الحلال والحرام والمعروف والمنكر من خلال الشعائر التعبدية وأدب التعامل مع المجتمع.

القيم والميول والإتجاهات (انظردليل تدريب معلم الأساس ٢٠١٧م-الفقه والعقيدة الصف الثامن ،٢٠٠٨م -كتاب الفقه والعقيدة، ٢٠٠٦م) اهتمت كتب التربية الإسلامية بمعرفة مقاصد الشريعة في (حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال)، وتنمية روح حسن الصحبة للوالدين والمحبة والإلفة وعدم الخصام، ثم السعي على الأرملة والمساكين وحسن معاملة المسلم لأخيه المسلم والمحافظة على المرافق العامة والإحسان للجار وإكرام الضيف مع بيان آداب الأكل والنهي عن الإسراف والمحرمات ثم أدب المناجاة وحب الصحابة وحب التعلم واحترام الكبار والصغار، مع حب الخير للناس، وبذل النصيحة وشكر المعروف والرفق في الأمور كلها، وصلة الرحم والسعي لطلب العلم والتعاون في الأزمات والاستعفاف.

الأنماط السلوكية المستنبطة من القيم والميول والإتجاهات: - (الفقه للصف الرابع ٢٠٠٤م - م- الفقه والعقيدة الصف الثامن، ٢٠٠٨م) وبما أن المنهج في إطاره الجديد

يسعى لصياغة الإنسان صياغة جديدة قائمة على ترسيخ العقيدة والإيمان بالله. تم دمج بعض الأبعاد الدينية في الحديث الشريف والسيرة النبوية والتهذيب في محور اللغة العربية والإنسان والكون واختصر محور التربية الدينية (التربية الإسلامية) في صفوف الحلقة الثالثة على بعدين القرآن وعلومه والفقه وأصول العقيدة ولكن يظهر دور الحديث النبوي فيها بعد دراسة فصول الحلقتين الأولى والثانية ونستعرض أبرز القيم في الحلقات السابقة عنر الصفوف وهي:

الصف الثالث: الأنماط السلوكية المستنبطة من القيم والميول والإتجاهات (الفقه للصف الثالث ٢٠١٥م).

١-فضل تلاوة القرآن الكريم وأن يكون ماهراً ومتقناً

٢-حب الصحابة رضي الله عنهم من الإيمان.

٣-حب التعلم والحث عليه واحترام المعلمين وتحفيز المتعلمين.

٤-احترام الكبار والمرضى والحرص على إكرامه واجتناب ما يبغضهم.

٥-احترام الصغار واحترام رغبتهم في اللعب.

٦-الأخوة الإيمانية وأن تحبهم وتتمنى لهم الخير.

٧-المسلم يحب المؤمنين والتعاون فيما بينهم.

٨-التعاون مع الآخرين في أعمال الخير والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٩-حب الخير للناس ونصرتهم قولا وعملا وعدم خذلانهم.

١٠-من أدب الكلام عدم رفع الصوت واجتناب القول الخبيث.

١١-الدين النصيحة للطلاب مع بعضهم والمؤمنين.

١٢-من أدب الطريق باعتباره من المرافق العامة.

الصف الرابع: (الفقه للصف الرابع٢٠٠٤م):

١-حرص الإسلام على أن تسود المحبة والإلفة بين الناس.

٢-رعاية الإسلام للروابط الإجتماعية وحفظ كيان المجتمع وذلك بمراعاة مشاعر الآخرين وحفظ كرامتهم حتى لا يتباغض الناس ويتقاطعوا.

٣-النهي عن الإسراف في تناول الطعام والإكتفاء بالمقدار المناسب الذي يحفظ الحياة والصحة.

٤-الوضوء يعمل على نظافة الجسم والذنوب.

٥-الدعاء عبادة يؤديها المسلم تضرعا وخشوعا لله في أي كسب.

٦-صلاة الجماعة والجمعة تجمع المسلمين فيتعارفون ويتألفون وينفذ المصلون بعضهم بعضا وهي مظهر رائع للمساواة وتدريب على طاعة القائد الصالح وتعدد على تسوية الصفوف والنظام.

الصف الخامس:- (الفقه للصف الخامس ٢٠٠٤م)

١-حسن الصحبة ومحبة الوالدين.

٢-الإلتزام بأدب الزيارة.

٣-الإسلام يهتم بالمحافظة على العلاقات بين الأفراد والجماعات.

٤-الخصومة بين المسلمين فيها ضرر عليهم.

٥-لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه ويخاصمه لفترة طويلة.

٦-أفضل المتخاصمين هو من يبادر إلى الصلح.

٧-القدوة الحسنة تكون في المبادرة إلى الإصلاح.

٨-الأجر العظيم لمن يعول أرملة أو مسكينا.

٩-الحث على الترابط والتكافل بين أفراد المجتمع.

١٠-السلام وإجابة الدعوة والنصيحة وغير ذلك دلالة على حسن المعاملة ومكارم الأخلاق.

١١-إهتمام الإسلام بحقوق الترابط والتواصل والتعاون بين أفراد المجتمع ويشيع بينهم المودة والمحبة.

١٢-المحافظة على المرافق العامةوذلك بحماية المصالح العامة والمحافظة عليها والكف عن إلحاق الضرر عليها والجزاء الصارم للمعتدين عليها.

١٣-الإحسان إلى الجار بمعاملته بالإحسان والرفق والمعاونة والنصح.

١٤-إكرام الضيف ورعايته وإطعامه حتى تسود المحبة بين الناس وتتآلف القلوب.

الصف السادس: (الفقه والعقيدة ،للصف السادس، ٢٠٠٤)

١-شكر الآخرين على معاملتهم دليل على حسن المعاملة والسلوك الحسن.

٢-شكر أهل المعروف فيه تحفيز لهم لمواصلة معروفهم نحو الآخرين.

٣-تقديرعمل الناس والثناء عليهم يساعد على إشاعة المحبة والإلفة بين الناس .

٤-الدعوة إلى الرفق في الإمور كلها وعدم العنف والفحش.

٥-إهتمام الإسلام ببناء المجتمع السليم القائم على القيم الرفيعة.

٦-الإهتمام بالقرابة ورعاية حقوقهم.

٧-صلة الرحم سبب في زيادة البركة والتوفيق في فعل الخير.

٨-يرغب الإسلام في حسن المعاملة وفي كرم النفس ومراعاة المصلحة وحفظ الوقت.

٩-مساعدة الناس والوقوف معهم في المصائب والشدائد والتخفيف من وطأتها عليهم فيه أجر عظيم يوم القيامة

١٠-أسهل طريق إلى الجنة هو طريق العلم.

١١-قرآءة القرآن الكريم ومدارسته في حلقات المساجد سبب في نزول الطمأنينة وكثرة الرضا وجلب الملائكة.

١٢-الكمال لا يدرك بالأنساب إنما يدرك بالجد والإجتهاد.

١٣-احترام الناس للمسلم العفيف والثقة به.

١٤-تساعد العفة على ضبط النفس فلا يطلق العنان لشهواتهم وغرائزهم.

١٥-العفة تقوي عزة النفس فيبتعد الفرد عن الذلة والدناءة والخسة.

١٦-العفة تحفظ المجتمع من مظاهر الإنحلال والفساد.

الصف السابع: (الفقه والعقيدة، الصف الساب (٢٠٠٦م)

١-نصرة المؤمنين قولاًوفعلاً وعدم خذلانهم.

٢-إظهار المحبة والمودة لهم وتأييدهم في كل مكان وزمان.

٣-الإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم لأنه قدوة المسلمين في السلوك والأخلاق.

٤-الحض على العمل وتقديره وجعل كسب اليد من أفضل الأعمال.

٥-الصبر على المرض واسباب التداوي وعيادة المريض.

الصف الثامن: (الفقه والعقيدة للصف الثامن ،٢٠٠٨م)

١-معرفة مقاصد العبادات والشريعة الإسلامية وحفظ الدين عن طريق الإيمان بالله وأداء العبادات.

المحافظة على النفس ووالمحافظة على العقل والمحافظة على النسل والمحافظة المال.

إجراءت الدراسة الميدانية التطبيقية:

مجتمع وعينة الدراسة: يتمثل مجتمع البحث في هذه الدراسة من معلمي مرحلة الأساس بمحلية كسلا، وعددهم الكلي (٣٣٧) معلم ومعلمة، يدرسون مادة التربية الإسلامية بمرحلة الأساس، وتم اختيار عدد (١٠٠) معلم ومعلمة كعينة لهذه الدراسة أثناء إجراء الدراسة.

بناء الإستبانة:

وقد تم بناء الإستبانة وفقاً للأنماط السلوكية الموجودة في مناهج مرحلة الأساس، مع الإستفادة من الدراسات السابقة، ولضمان الصدق الظاهري للإستبانة تم عرضها على عدد من المحكمين المختصين لإبدآء آرائهم وعلى حسب توجيهات المحكمين تمت عملية الحذف والإضافة.

التحليل الإحصـــائي:

الأدوات الإحصائية:

تم استخدام عدد من الأدوات الإحصائية لغرض تحليل بيانات البحث والوصول إلى إجابات معتمدة علمياً لفرضياته. وهذه الأدوات هي: الأشكال البيانية، التوزيعات التكرارية، النسب المئوية، معامل ألفا-كرونباخ لحساب معامل الثبات، المتوسطات، الإنحرافات المعيارية، إختبار ت لمتوسطي عينتين مستقلتين واختبار ف لاختبار الفرق بين عدة متوسطات وتم اختبار الفرضيات عند مستوى معنوية ٠,٠٥. وقد تم استخدام برنامج التحليل الإحصائي SPSS والذي يشير إلى "STATISTICAL PACKAGE FOR SOCIAL SCIENCES" و تعني (الحزمة الإحصائية للعلوم الإجتماعية) لتحليل بيانات الدراسة.

الثبات والصدق الإحصائي:

يعني ثبات الإستبانة أنها تعطي نفس النتائج تقريباً إذا استخدمت في عينة مشابهة وفي ظروف مشابهة للأولى. أو أنها تأتي بذات نتائج المرة الأولى إذا وزعت مرة ثانية على نفس أفراد العينة ما لم تتغير الظروف. وهنالك عدد من الطرق التي تستخدم لحساب الثبات الإحصائي للإستبانة ومن أشهرها طريقة ألفا-كرونباخ وهي المستخدمة في هذا البحث. وتقوم هذه الطريقة على حساب معامل الثبات من خلال تباين مجموع الأسئلة والأسئلة المنفردة و ذلك من خلال المعادلة التإلية:

$$\alpha = \frac{k}{k-1}\left(1 - \frac{\sum_{i=1}^{k} \sigma_{y_i}^2}{\sigma_x^2}\right)$$

حيث:

σ_x^2 تمثل تباين مجموع الأسئلة

$\sigma_{y_i}^2$ تمثل التباين للأسئلة الفردية

k تمثل عدد العناصر (الأسئلة)

أما الصدق فهو مدى صدق المبحوثين في إجاباتهم عن أسئلة الاستبانة التي إجابوا عليها ويحسب بالجزر التربيعي لمعامل الثبات.

وتتراوح القيم العددية لمعاملي الصدق والثبات بين صفر وواحد. وكلما اقتربت قيمة المعامل من الواحد كان أفضل وإذا كانت القيمة أقل من ٠,٤ تكون هنالك مشكلة في فهم أسئلة الاستبانة و يجب إعادة النظر فيها.

معامل الثبات = ٠,٩٤

معامل الصدق= ٠,٩٧

نجد أن قيمة معامل الثبات كبيرة جداً مما يعني درجة ثبات عالية لأسئلة الاستبانة وكذلك قيمة معامل الصدق عالية جداً مما يعني درجة صدق ممتازة من المستجيبين وذلك يعني موثوقية عالية في نتائج التحليل الإحصائي التي سوف نحصل عليها.

البيانات الأساسية لعينة الدراسة:

أولاً – جدول: النوع لعينة الدراسة.

النوع	العدد	النسبة (%)
ذكر	٣٤	٣٢.٤
أنثي	٧١	٦٧.٦
المجموع	١٠٥	١٠٠.٠

المصدر: تحليل بيانات الدراسة الميدانية، ٢٠١٨م.

ويتبين من الجدول أن غالبية أفراد عينة الدراسة من الإناث حيث بلغت نسبتهم (٦٧,٦) ويرى الباحثان أن ارتفاع نسبة الإناث له دلالة في صدق الآرآء وقربه للصواب عند الإجابة على أسئلة الاستبيان.

ثانياً: جدول: العمر لعينة الدراسة.

العمر (سنة)	العدد	النسبة (%)
أقل من ٢٥	٤	٣.٨
٢٥-٣٦	٢٧	٢٥.٧
٣٧-٤٧	٣٢	٣٠.٥
٤٨-٥٦	٢٣	٢١.٩
٥٧-٦٦	١٦	١٥.٢
٦٦ فأكثر	٣	٢.٩
المجموع	١٠٥	١٠٠.٠

المصدر: تحليل بيانات الدراسة الميدانية ،٢٠١٨م.

ويتبين من خلال الجدول عاليه أن غالبية أفراد عينة الدراسة تتركز أعمارهم ما ٣٧-٤٧) وهذا العمر فيه الخبرة والحنكة والدراية مما يزيد إمكانية الإعتماد على إجاباتهم على الأسئلة التي طرحت من خلال الإستبيان، ويجعل آراءهم معتمدة وأقرب للصواب، مع المعرفة العميقة بالقيم الإسلامية النبوية المستقاة من الحديث الشريف، ودورها في تغيير الأنماط السلوكية لطلاب الحلقة الثالثة بمحلية كسلا.

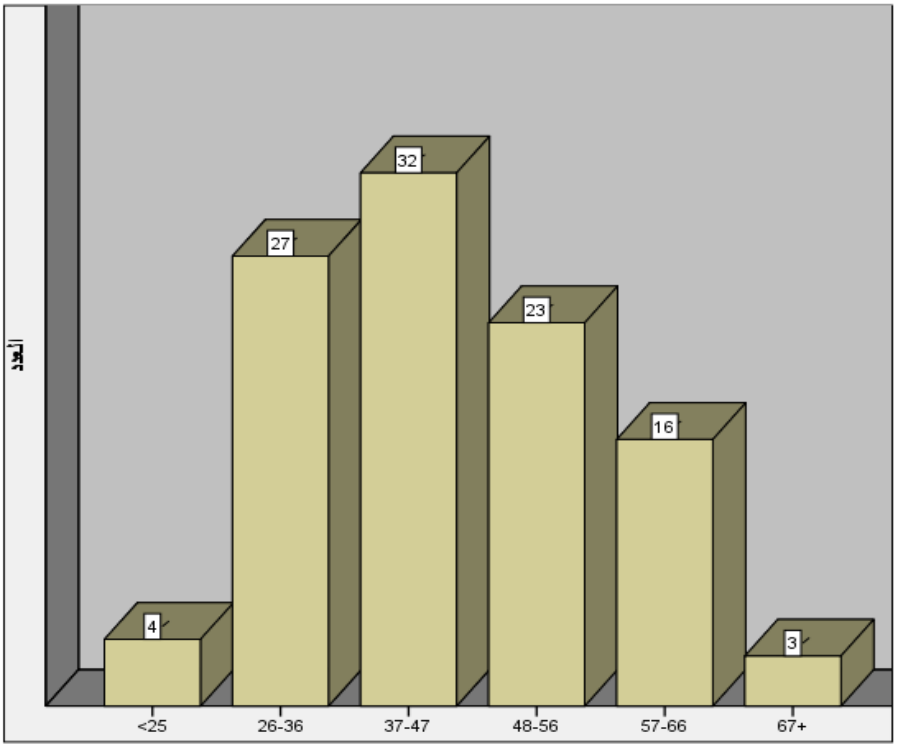

شكل ١: متغير العمر لعينة الدراسة. المصدر :تحليل بيانات الدراسة الميدانية ،٢٠١٨م.

ثالثا: جدول: المؤهل الأكاديمي لعينة الدراسة.

المؤهل	العدد	النسبة (%)
شهادة سودانية	٢٩	٢٧.٦
بكالوريوس	٦٨	٦٤.٨
دبلوم	٤	٣.٨
ماجستير	٣	٢.٩
دكتوراة	١	١.٠
المجموع	١٠٥	١٠٠.٠

المصدر: تحليل بيانات الدراسة الميدانية، ٢٠١٨م.

ويتبين من خلال الجدول أن غالبية أفراد عينة الدراسة هم من ذوي التأهيل العلمي من حملة شهادة البكالوريوس حيث بلغت نسبتهم (٦٤,٨). وهذا يجعل نظرتهم التقييمية لدور الحديث في تغيير الأنماط السلوكية سليمة وعلمية من خلال التأهيل العلمي الذي نالته هذه الشريحة.

رابعاً :جدول: التخصص لعينة الدراسة.

التخصص	العدد	النسبة (%)
عام	٩٠	٨٥.٧
تربية إسلامية	١٥	١٤.٣
المجموع	١٠٥	١٠٠.٠

المصدر: تحليل بيانات الدراسة الميدانية، ٢٠١٨م.

ويتبين من خلال الجدول الخاص بالتخصص أن غالبية أفراد عينة الدراسة الذين يدرسون التربية الإسلامية بمحلية كسلا بمرحلة الأساس ليسوا من ذوي التخصص في تدريس التربية الإسلامية حيث بلغت نسبتهم(٨٥,٧) من مجموع عينة الدراسة. ويرى الباحثان أن قله المتخصصين في التربية والدراسات الإسلامية يُعدّ مشكلة تحتاج لعلاج عاجل ولذلك يجب الاهتمام بزيادة تعيين متخصصين في هذا المجال.

خامساً: جدول: سنوات الخبرة لعينة الدراسة.

سنوات الخبرة	العدد	النسبة (%)
أقل من ٥ سنة	٨	٧.٦
٥ و أقل من ١٠	٢٧	٢٥.٧
١٠ و أقل من ١٥	١٥	١٤.٣
١٥ و أقل من ٢٠	١٠	٩.٥
٢٠ فأكثر	٤٥	٤٢.٩
المجموع	١٠٥	١٠٠.٠

المصدر: تحليل بيانات الدراسة الميدانية، ٢٠١٨م.

ويتبين من الجدول أعلاه أن غالبية عينة الدراسة تتراوح سنوات خبرتهم (٢٠ فأكثر) بنسبة ٤٢,٥ وهذا يدل بوضوح على خبراتهم المتراكمة مما يعطي النتائج المترتبة على آرآئهم درجة كبيرة من الواقعية والصدق والقوة .

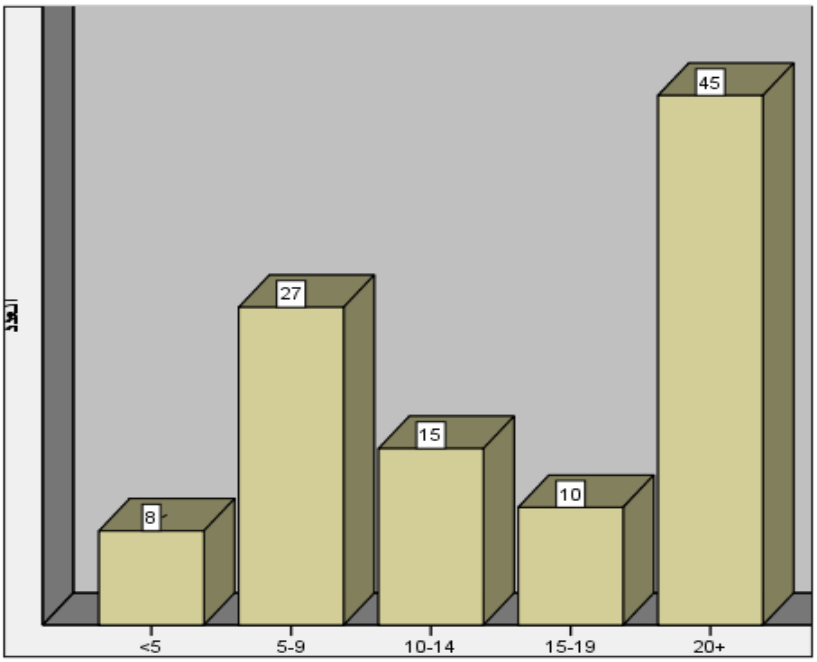

شكل ٢: متغير الخبرة لعينة الدراسة. المصدر : تحليل بيانات الدراسة الميدانية، ٢٠١٨م.

سادسا:جدول: الالتزام بالأنماط السلوكية كقدوة حسنة بين أفراد عينة الدراسة.

الالتزام	العدد	النسبة (%)
بدرجة كبيرة	٧٦	٧٢.٤
بدرجة متوسطة	٢٩	٢٧.٦
لا يوجد التزام	٠	٠.٠
المجموع	١٠٥	١٠٠.٠

المصدر: تحليل بيانات الدراسة الميدانية، ٢٠١٨م.

من خلال الجدول السابق لعينة الدراسة يتضح أن غالبية عينة الدراسة يلتزمون بالانماط السلوكية النبوية بدرجة كبيرة ،حيث بلغت نسبة التزامهم (٧٢,٤) مما يجعلهم قدوة لتلاميذ هذه الحلقة بالالتزام بالأنماط السلوكية المستنبطة من الحديث النبوي الشريف، ومما يظهر دور الحديث في تغيير الانماط السلوكية للطلاب من خلال القدوة الحسنة من المعلمين.

اختبار فرضيات الدراسة:

سوف يتم اختبار فرضيات هذه الدراسة عند مستوى معنوية ٠,٠٥ وهو المستخدم في هذا النوع من الدراسات.

الفرضية الأولى: تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس يتسم بالإيجابية من وجهة نظر المعلمين.

جدول: اختبار ت لمتوسط مجتمع واحد

الوسط الفرضي	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية
١٠٥	١٣٢	٢٠	١٣.٨٦	١٠٤	٠.٠٠٠

المصدر: تحليل بيانات الدراسة الميدانية، ٢٠١٨م.

يتبين من الجدول أعلاه أن القيمة الإحتمإلية تساوي (٠,٠٠٠) أقل من مستوى المعنوية (٠,٠٥). وذلك يعني وجود فرق معنوي بين الوسط الحسابي الفرضي والحقيقي، وبما أن الوسط الحسابي أكبر من الفرضي يعني ذلك صحة الفرضية. أي أن تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس يتسم بالإيجابية من وجهة نظر المعلمين. ويرى الباحثان من خلال عملهما في هذا المجال أن ذلك متحقق في طلاب محلية كسلا تماما، وهو ما تطابق مع وجهة نظر المعلمين.

الفرضية الثانية: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس من وجهة نظر المعلمين ترجع لمتغير نوع المعلم.

جدول : إختبار ت للفرق بين متوسطين حسب النوع.

النوع	المتوسط	الإنحراف المعياري	قيمة ت	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية
ذكر	١٢٦	٢٤	١.٨٢-	٥٢	٠.٠٧٥
أنثى	١٣٥	١٨			

المصدر: تحليل بيانات الدراسة الميدانية، ٢٠١٨م.

من الجدول أعلاه نجد أن القيمة الإحتمإلية لمتغير النوع تساوي ٠,٠٧٥ أكبر من مستوى المعنوية (٠,٠٥) مما يعني عدم وجود فرق معنوي بين المتوسطات. أي لا توجد

فروق ذات دلالة إحصائية في تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس من وجهة نظر المعلمين ترجع لمتغير نوع المعلم. ويرجع الباحثان ذلك لأن غالبيه معلمي التربية الإسلامية من ابناء السودان المتمسكين بالقرآن والسنة والذين يسلكون السلوك القويم ويقدمون القدوة الحسنة بغض النظر عن النوع.

الفرضية الثالثة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير الخبرة.

جدول: اختبار ف لاختبار الفرق بين عدة متوسطات.

الخبرة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت	القيمة الاحتمالية
أقل من ٥ سنة	١٣٥	١٢	٠.١٨	٠.٩٤٨
٥ و أقل من ١٠ سنة	١٣٤	١٥		
١٠ و أقل من ١٥ سنة	١٢٩	٢٥		
١٥ و أقل من ٢٠ سنة	١٣٢	٢٦		
٢٠ سنة فأكثر	١٣٢	٢٢		

المصدر: تحليل بيانات الدراسة الميدانية، ٢٠١٨م.

يتبين من الجدول أعلاه أن القيمة الاحتمالية تساوي ٠,٩٤٨ وهي أكبر من مستوى المعنوية (٠,٠٥). وذلك يعني عدم وجود فرق معنوي بين المتوسطات. أي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير الخبرة.

الفرضية الرابعة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير التخصص.

جدول : اختبار ت للفرق بين متوسطين حسب الخبرة.

التخصص	المتوسط	الإنحراف المعياري	قيمة ت	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية
شامل	١٣٣	١٩	٠.٧٨	١٠٣	٠.٤٣٦
تربية إسلامية	١٢٩	٢٥			

المصدر: تحليل بيانات الدراسة الميدانية، ٢٠١٨م.

من الجدول أعلاه نجد أن القيمة الاحتمالية تساوي ٠,٤٣٦ أكبر من مستوى المعنوية (٠,٠٥) مما يعني عدم وجود فرق معنوي بين المتوسطين. أي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير نوع التخصص.

الفرضية الخامسة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس من وجهة نظر المعلمين تعزى لدرجة تمسك المعلم بالأنماط السلوكية كقدوة حسنة.

جدول : إختبار ت للفرق بين متوسطين حسب درجة تمسك المعلم بالأنماط السلوكية كقدوة حسنة.

درجة التمسك	المتوسط	الإنحراف المعياري	قيمة ت	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية
درجة كبيرة	١٣٤	٢١	١.٦٦٧	١٠٣	٠.٠٩٩
درجة متوسطة	١٢٧	١٨			

المصدر: تحليل بيانات الدراسة الميدانية، ٢٠١٨م.

من الجدول أعلاه نجد أن القيمة الاحتمالية تساوي ٠,٠٩٩ أكبر من مستوى المعنوية (٠,٠٥) مما يعني عدم وجود فرق معنوي بين المتوسطين. أي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس من وجهة نظر المعلمين تعزى لدرجة تمسك المعلم بالأنماط السلوكية كقدوة حسنة.

النتائج والتوصيات:

أولاً: من خلال الفرضيات والتحليل يتضح أن هنالك تغييرا للإنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس يتسم بالإيجابية وهذا يدل على أن الأسس التي تم على ضوئها بناء المناهج (ترسخ العقيدة الإسلامية – وأنماط السلوك المرتبطة بالقيم الإسلامية-موزعة في المنهج بحيث تكون شاملة ومتنوعة ومتكاملة – والسودانين بطبعهم لهم اسس وقيم إسلامية راسخة منذ دخول الإسلام، مروراً بالدولة المهدية، والدولة السودانية المعاصرة، ويتوافق سلوك التلاميذ الآن مع ما هو مستهدف من أنماط سلوكية إسلامية، نابعة من

المنهج النبوي من خلال الحديث الشريف حيث تم غرسها من خلال مناهج التعليم الأساسي عامة.

ثانياً: يوجد دور للحديث النبوي في تغيير الأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس يتسم بالإيجابية من وجهة نظر المعلمين الذين يدرسون مقرر التربية الإسلامية بمرحلة الأساس بمحلية كسلا.

ثالثاً: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير التخصص أو الخبرة، إذ أن الخبرة إن توفرت فهي مؤثرة وإن لم تتوفر فالمعلم مسلم متمسك بالأنماط السلوكية النبوية وإن لم تكن له خبرة موجودة وإن لم يكن متخصصا في التربية الإسلامية.

رابعاً: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تغيير الحديث النبوي للأنماط السلوكية لدى تلاميذ مرحلة الأساس من وجهة نظر المعلمين تعزى لدرجة تمسك المعلم بالأنماط السلوكية كقدوة حسنة.

خامساً: إن غالبية المعلمين الذين يدرسون التربية الإسلامية بمحلية كسلا بمرحلة الأساس من المعلمات، وأن غالبيتهن يحملن درجة البكلاريوس العام غير المتخصص في التربية الإسلامية.

التوصيات:

أولاً: يوصي الباحثان بإجراء دراسات علمية عن دور الحديث الشريف في سلوكيات التلاميذ لاختيار الأحاديث التي تبني القيم ووضعها في المناهج حسب المرحلة العمرية.

ثانياً: تأهيل معلمي مرحلة الأساس وعدم تعيين أصحاب البكلاريوس العام والاهتمام بتخصص التربية والدراسات الإسلامية خاصة بمرحلة الأساس.

ثالثاً: التأصيل للقيم السلوكية لدي طلاب المراحل المختلفة، واستنباط الأساليب التربوية من الحديث الشريف.

المراجع:

- ابن حجر العسقلاني، أحمد، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق ابن باز، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٧٩هـ.

- ابن رجب، عبد الرحمن، جامع العلوم والحكم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م .

- أبو العينين، علي خليل وآخرون، الأصول الفلسفية للتربية، دار الفكر، عمّان، ط١، ١٤١٧هـ-٢٠٠٣م.

- أبو حماد، ناصر الدين ،تعديل السلوك وأساليب حل المشكلات السلوكية، عالم الكتب، الأردن، ط٢، ٢٠٠٨م

- الخطيب، جمال، تعديل السلوك الإنساني، مكتبة الفلاح، الكويت ، ط١ ،١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٣هـ

- الزغول، عماد، نظريات التعلّم، دار الشروق، عمّان، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- الشريفين، عماد، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، اربد،

- أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا، اسطنبول، ط٢، ١٣٩٢هـ.

- حسن، محمد حسن، الأساليب التربوية في السنة النبوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، الأزهر، القاهرة، مصر، ١٩٩٠م.

- خياط، محمد جميل، النظرية التربوية في الإسلام: دراسة تحليلية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

- سليمان، حسين حسن، السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٥م.

- عبد الله، عبد الرحمن صالح، الأهداف السلوكية في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١،-٢٠٠٣م.

- علي، علي أحمد، أساسيات سلوك الإنسان، مكتبة عين شمس، القاهرة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
-أبو دف، محمود، بعض الأساليب التربوية المستنبطة من خلال السنة النبوية رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، مصر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
-الدهلوي، عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري، مقدمة في أصول الحديث تحقيق سلمان الحسيني الندوي،الطبعة الثانية-الناشر : دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان، (١٤٠٦هـ-١٩٦٨م).
-الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
-دليل المعلم (التربية الإسلامية) الصف الثالث مرحلة الأساس – المركز القومي للمناهج والبحث التربوي ٢٠١٥م.
-سلامة، سالم أحمد، الأساليب التربوية في السنة النبوية الشريفة، رسالة ماجستير غير منشورة، مجلة البحوث والدراسات التربوية الفلسطينية، العدد (٦) ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
-كتاب التربية الإسلامية لمرحلة التعليم الأساس، مجموعة من الأساتذة، الصف الثالث– المركز القومي للمناهج والبحث التربوي – بخت الرضا، ٢٠١٥م.
-كتاب الفقه لمرحلة التعليم الأساس، الصف الخامس، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، بخت الرضا، ٢٠٠٤م.
-كتاب الفقه لمرحلة التعليم الأساس، الصف الرابع، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، بخت الرضا ٢٠٠٤ م.
-كتاب الفقه والعقيدة التعليم الأساس، الصف الثامن، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، بخت الرضا، ٢٠٠٤م.
-كتاب الفقه والعقيدة التعليم الأساس الصف السابع، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، بخت الرضا، ٢٠٠٤م.
-كتاب الفقه والعقيدة التعليم الأساس، الصف السادس، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، بخت الرضا، ٢٠٠٤م.

-كتاب دليل تدريب معلم الصف الثالث بمرحلة الأساس، الإدارة العامة للتدريب والتأهيل ٢٠١٧م.
-منهج التربية الإسلامية في صفوف الحلقة الثالثة –إعداد الأستاذ محمد أحمد علي، ورقة عمل ٢٠١٢م .
-نجاتي ، محمد عثمان ، الحديث النبوي وعِلم النفس ، دار الشروق ، القاهرة .ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

طبيعة النظام الإداري والسياسي في دولة الفونج

د. الزين تيراب إسماعيل محمد
كلية الشريعة والقانون - جامعة أم درمان الإسلامية

المستخلص:
ذهبت هذه الورقة لمعالجة موضوعها ضمن ثلاثة محاور، الأول يبحث فى أصل المجموعات التى شكلت دولة سنار وخلفياتها الثقافية والاجتماعية التى شكلت وعيها السياسى والإدارى. والمحور الثانى تضمن تشكل وبلورة النظام السياسى للدولة والتأثير القبلى ومعطيات الجوار خاصة الدور الحبشى والمصرى وهجرات المجموعات من وراء البحار، حيث أسهم كل ذلك فى إضافة عناصر ومعطيات ساهمت فى تشكيل النظام النظام السياسى للدولة والذى كان يغلب عليه اللون الدينى بمذاهبه المختلفه علاوة على البعد المحلى المتمكن أصلا. أما المحور الثالث والأخير تناولت فيه طبيعة النظام الإدارى والأجهزة الإداريه ومرجعيات التشريع ومستويات الحكم.

مقدمة:
تعتمد النظم الإدارية والسياسية فى نشأتها وتطورها وفعاليتها على وجود المجتمعات المستقرة التى تسعى إلى العيش المشترك وإدارة المصالح والتنوع الفكرى والاقتصادى والثقافى والاجتماعى فيما بينها، وفق أسلوب يحقق الإستقرار والتراضى بين مكونات المجتمع. لذلك نجد السلطة السياسية والإدارية التى يختارها المجتمع لإدارة وتنظيم حياته، ترتكز بشكل أساسى وتستمد فلسفتها الإدارية وديناميكيتها من ثقافة المجتمع وإحتياجاته وتطلعاته فى الحياة، لذا تكون السلطة مستندة فى فكرها السياسى وعطاءها الإدارى على حاجة المجتمع، وتشكله الثقافى والحضارى والمعرفى.
ولقد كان ميلاد الدولة السنارية نتيجة أحلاف قبلية تشكلت بدوافع ومشتركات عديدة تمثلت فى التحالف للقضاء على نظام الحكم الذى تمثلة دولة علوة المسيحية، حيث لم يرد من بين معطيات ودواعى الثورة على الدولة العلوية من قبل الحلف السنارى معطيات الدين، حيث ورد من بين أقوى المبررات التى أوردها المؤرخون عن أسباب سقوط دولة

علوة تدور حول الضرائب المرهقة التى كانت تفرض على الرعايا وأسلوب العنف والبطش الذى كان يمارس فى جمعها وتحصيلها.

لقد نجحت الدولة السنارية فى القضاء على دولة علوة، وأقامت على أنقاضها نظام سياسى وإدارى وإقتصادى وإجتماعى مكتمل الأركان، إعتمد فى إدارة الدولة على هياكل النظام القبلى الموروث. حيث قسمت البلاد الى مشيخات ومكوك ونظار لأقاليم جغرافية محددة، ويقوم المشائخ والنظار برعاية شئون مجتمعاتهم إنابة عن الدولة التى يخضعون لسلطانها وتقوم بتعيينهم وفق أسس الولاء المتعارفه فى النظام القبلى، ومن خلال هذا النظام تتمكن الدولة من بسط نفوذها الإدارى والأمنى والسياسى والقانونى على الأقاليم مقابل أن تتحمل الدولة مسؤلية الدفاع عن هذه الأقاليم نظير الخضوع للسلطة المركزية للدولة ودفع الضرائب. حيث أورد صاحب كتاب الإسلام والنوبه فى العصور الوسطى عن هذا المحتوى قوله (منذ القرن الخامس عشر تأكد ظهور عدة ممالك فى حوض النيل الأوسط، وقد أحدثت هذه الممالك والمشيخات نهج سياسى وإدارى متطورا، عوضا عن النهج الإقتصادى والإجتماعى واثقافى والحضارى. ومن أبرز سمات ذلك أن أصبح نهج الحكم وراثيا فى بيت شيخ القبيله أو الدار، حيث مثلت الدار مجموعة من القبائل تتمركز فى إقليم معين تتخذه دارا لها وكونت زعامات فى شكل أحلاف إقليمية بقيادة شيخ القبيلة، وهو عادة ما يكون شيخ أقوى قبيلة فى المجموعة المتحالفة وقد عرف بإسم الملك أو المانجل وبهذا النهج إختفى نظام الوراثة القديم الذى كان متبعا فى وراثة الممالك أى نظام الأمومة.

حيث ذهبت هذه الورقة لمعالجة موضوعها ضمن ثلاثة مطالب، الأول يبحث فى أصل المجموعات التى شكلت دولة سنار وخلفياتها الثقافية والإجتماعية التى شكلت وعيها السياسى والإدارى.

المطلب الثانى تضمن تشكل وبلورة النظام السياسى للدولة والتأثير القبلى ومعطيات الجوار خاصة الدور الحبشى والمصرى وهجرات المجموعات من وراء البحار، حيث أسهم كل ذلك فى إضافة عناصر ومعطيات ساهمت فى تشكيل النظام النظام السياسى للدولة والذى كان يغلب عليه اللون الدينى بمذاهبه المختلفه علاوة على البعد المحلى المتمكن

أصلا. أما المطلب الثالث والأخير تناولت فيه طبيعة النظام الإدارى والأجهزة الإداريه ومرجعيات التشريع ومستويات الحكم.

أرجو أن يكون هذا الطرق قد أسهم فى التنبية لأهمية الإجنهاد الإدارى والسياسى الذى صاحب فترة حكم سلطنة سنار فى ذلك الزمن المبكر من تاريخ الحكم والإدارة فى السودان، وإستطاع أن يحدث إستقرار داخلى فى تنظيم شأن المجتمع وإدارة التباين بين مكوناتة، وفى ذات النسق حافظة على توازن فى العلاقات الخارجية فى ظل إضطراب وتباين فى اللاقات الدولية وحالات عداء ظاهرة كانت تحيط بالسلطنة خاصة من جوارها المصرى والحبشى وما له من إمتداد مناصر على المستوى الدولى. لا شك أن التجربة فى الإدارة والحكم لدولة سنار جديره بالإستلهام منها بحكم ما حققته من قدرة وحيوية فى إدارة السودان لفترة استمرت لأكثر من ثلاثة قرون أسست من خلالها لنظام حكم وسياسة جديدين على السودان، تحول فيها منهج الحكم من المسيحية للإسلام لأول مرة فى تاريخ السودان. حيث استطاعت السلطنة أن تضع أسس قوية وثابته للنظام الجديد ظلت صامدة إلى اليوم وشكلت أسس الإدارة والحكم فى السودان عبر تاريخه اللاحق.

التطور التاريخى لمكونات دولة الفونج

لقد اجمعت الروايات التاريخية على حقيقة أن سلطنة سنار جاءت نتيجة للحلف القبلى بين مجموعات قبائل العبدلاب والفونج، لكن تضاربت الروايات نفسها وتباينت حول أصل مجموعات الفونج والعبدلاب وخلفياتهم العرقية ومكوناتهم الثقافية والاجتماعية. وتُعدُّ هذه المعطيات فى غاية الأهمية لأنها تعطى المؤشرات لدراسة أسس المكونات الحضارية لدى المجموعتين وحقيقة إسهام إندماج مكونات كل مجموعة مع الأخرى وعطائهم فى تشكيل مستقبل حضارة السلطنة مستقبلا. حيث يعد هذا المعطى بالغ الأهمية فى وضع أسس التعايش والإندماج الحضارى فى عالم اليوم الذى تطورت فيه وسائل التواصل والترابط بين مكونات العالم وأصبحت فرضية العيش المشترك من المسلمات، ولاشك أن معطيات الإنصهار والعيش المشرك تتطلب دراسة قواعد لتجارب تاريخية ملهمة مثل تجربة السلطنة الزرقاء التى حكى عنها التاريخ بأنها ومنذالقرن

الخامس عشر تمكنت من دمج وصهر عدة ممالك ومشيخات في حوض النيل الأوسط، وقد أحدثت هذه الممالك والمشيخات بإنصهارها نهج سياسي وإداري متطوراً عوضاً عن النهج الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والحضاري ومن أبرز سمات ذلك أن أصبح نهج الحكم وراثياً في بيت شيخ القبيلة أو الدار، حيث مثلت الدار مجموعة من القبائل تتمركز في إقليم معين تتخذه داراً لها وكونت زعامات في شكل أحلاف إقليمية بقيادة شيخ القبيلة، وهو عادة ما يكون شيخ أقوي قبيلة في المجموعة المتحالفة وقد عرف باسم الملك أو المانجل[1] وبهذا النهج اختفي نظام الوراثة القديم الذي كان منبثقاً في وراثة الممالك أي نظام الأمومة [2]. لذلك نتابع فى هذه الدراسة أصل المجموعات التى شكلت السلطنة وطبيعة مكوناتها الحضارية تحقيقا لمقصد الدراسة.

أصل مجموعات الفونج والعبدلاب:

تباينت الأراء في أصل الفونج كالعادة في ظل عدم توفر وثائق قطعية تحسم الخلاف قطعاً باليقين لصالح أي من الروايات، فالفونج أنفسهم يذهبون إلى نسبة أصلهم من بني أمية، بينما ترجح روايات أخرى إلى أصلهم المنحدر من قبائل الشلك في أعالي النيل أو عائلة برنو المالكة في غرب أفريقيا حينئذ.

١/ رواية الأصل البرناوي:

تذهب هذه الرواية إلي أن أصل الفونج يرجع إلي بحيرة تشاد جنوب الصحراء الغربية، وهذه المنطقة تُعدُّ من مناطق التأثير الحبشي، كما تُعدُّ مملكة برنو من أشهر الممالك الإسلامية حول هذه المنطقة والتي أشهر ملوكها المقومي وهنالك من يذهب إلي أن مؤسس المملكة هو سيف بن زيزن[3].

---

1 المنجل: ربما أخذت من الأثيوبية وتعني عظيم (الملك)، وأصلها غير معروف، وكانت من أرفع الألقاب في مملكة الفونج (مظاهر الحياة الاجتماعية في سلطنة الفونج – مني دياب مختار) بحث ماجستير – جامعة أم درمان الإسلامية ٢٠١٠م.

2 الإسلام والنوبة في العصور الوسطي – مصطفي محمد سعد – مكتبة الأنجلو المصرية ط١٩٦٠، ص١٨٧–١٨٨.

3 تاريخ الثقافة العربية في السودان – عبد المجيد عابدين، دار الثقافة، ط٢، ١٩٦٧م، ص٥٠.

تقوم حجة الداعمين إلي هذه الوجهة من النظر علي أن الروايات والمخطوطات التي وجدت في دارفور تتحدث عن صراع نشب داخل مملكة برنو عام ١٤٨٦م أدي إلي هزيمة سلطان برنو وقتها عثمان بن كاوي[١] (قاضي)، مما اضطره بعد الهزيمة إلى التوجه صوب حوض وادي النيل حيث تمكن ومن معه من السيطرة علي الشلك ومن بعدهم علي مملكة نوبا. وقد دعمت هذه الوجهة بوحدة المذهب المالكي الذي يعمل به كل من مملكة برنو والفونج [٢]. إلا أن ما أستندت عليه هذه الوجهة من النظر قد واجه نقد موضوعي في شقي سندها، حيث يبين منتقدوها أن المذهب المالكي أتي من صعيد مصر ومؤخراً من المغرب، وهو ليس دليلاً علي وحدة الموطن كما هو في تشابه الأسماء التي لا تثبت وحدة الأصل[٣] أما موضوع الصراع داخل مملكة برنو وهجرة وطرد عثمان ففيها روايات أخرى تثبت وفاته بكردفان وأخرى لا تشير إلي طرده بشيئ[٤].

٢/ رواية الأصل الشلكاوي:

أول من قال بهذه الرواية الرحالة الاسكتلندي جيمس بروس[٥] والذي زار عاصمة الفونج سنار في عام ١٧٧٢م، وبعدها كتب مذكراته التي مضمونها يقول أن الفونج زنوج ينحدرون من قبيلة الشلك التي جاءت من جهة النيل الأبيض علي زوارق واستولت علي حوض النيل الأزرق بعد معركة فاصلة مع جيش ود عجيب شيخ العرب انتهت بهزيمته ورضوخه لشروطهم التي تضمنت خضوع العرب للشلك والتنازل عن نصف

---

1 راغب السرجاني، الموسوعة الميسرة في التأريخ الإسلامي، ط١، ٢٠٠٥م، مؤسسة اقرأ القاهرة، ص٣٤٩-٣٥٠.

2 إبراهيم طرفان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م، ص٦-٧.

3 عوض الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب، ط١ الخرطوم شركة أفرو فراف ١٩٩٦م، ص١١٦.

4 عوض الشريف قاسم، مسوعة القبائل والأنساب ، ص١٩٥٧

5 هو رحالة مشهور (١٧٣٠ – ١٧٩٤)، من أهم مؤلفاته رحلات لاستكشاف منابع النيل ، تاج السر عثمان، لمحات من تاريخ سلطنة الفونج الاجتماعي، ص١١٨.

ماشية العرب لهم[1]، وذكر جيمس بروس أنه استقي المعلومات التي بني عليها رأيه من رواة مختلفين ومتعددين علي رأسهم أحمد سيد القوم مدير شؤون القصر الملكي السناري. وقد انتقد رأي جيمس لعدة اعتبارات منها أنه كتب هذا الرأي والمذكرات بعد إثني عشر عاماً من تاريخ رحلته ومشاهداته علاوة علي ما عرف عنه من عدم الدقة والعفوية في التتبع والتفصيل . ومن أبرز الذين قالوا ببطلان نظرية بروس محمد صالح محي الدين صاحب كتاب مشيخة العبدلاب.

٣/ رواية الأصل الأموي:

الروايات السودانية التاريخية جميعاً متفقة علي انحدار الفونج من السلالة الأموية خاصة أولئك الذين هاجروا من بطش الدولة العباسية بعد سقوط دولة بني أمية، وترجح الروايات دخول الفونج إلى السودان عن طريق الحبشة إلي بلاد البجة والنوبة في شرق وشمال السودان عبر مجري النيل، وذلك بعد أن تعقبهم سيف أبو عبدالله السفاح العباسي الذي كتب إلي النجاشي الحبشي يطالب منه تسليمهم أو الدخول في حرب ففضل النجاشي التخلص منهم بالهجرة حيث تقول الروايات أنهم تصاهروا مع القبائل المحلية ومن ثم انتقل إليهم الملك عبر هذه المصاهرة وبحكم خبرتهم في الملك والسلطة [٢].

وتتحدث روايات أخري عن هجرتين عبر عمان إلي أرتيريا، ورواية أخري تتحدث عن وجودهم بين سواكن وبربر مما يعني علاقة هجرتهم عبر مصر [٣].

أغلب هذه الروايات اعتمدت في إسناد نسب الفونج إلى الأفارقة من وقائع لون السمته والتقاطيع، وذلك في نظري غير كاف لأن الفارق الزمني بين سقوط دولة بني أمية وقيام أول سلطنة للفونج بالسودان (سنار) تجاوز السبعمائة عام، مما يعني أن المجموعات العربية التي هاجرت بالطبع كما تشير أغلب الروايات التاريخية أنها تزاوجت وأنصهرت مع

---

1 محمد صالح محي الدين، مشيخة العبدلاب، دار الفكر، ط بيروت، ١٩٧٢، ص١٩.

2 يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية، جامعة الخرطوم للنشر، ط٤، ص٤٧.

3 نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧م، ص٣٨٥ – ٣٨٦.

المجموعات المحلية وبالتالي حدث لها مزج كامل مما يعني تغير كبير في ثقافتها وسحنتها وأيضاً عاداتها وتقاليدها [1].

ثانياً- العبدلاب:

عكس ما ورد عن نسب الفونج من روايات تختلف حول أصلهم توحدت الروايات حول نسب العبدلاب من ناحية أصلهم العربي الجهني، وتذهب أيضاً الروايات في نسب هجرتهم إلي السودان بسبب قيام الدولة العباسية والذين عبروا البحر الأحمر عبر سواكن ومنها إلي أبو حمد، دنقلا ثم بربر وأبودليق إلي أن استقر بهم المقام في قرى والتي أتخذوها عاصمة لهم بعد سقوط دولة الفونج[2]. ومن فروع جهينة الرئيسة التي ينتمي إليها العبدلاب أولها: رفاعه وأقربائها من القواسمة والعبدلاب والعركيين واللحوبين الحكوميين والعوامره والخوالده والشكرية ومن تبعهم.

ثانيها دار حامد وأقربائها من بني جرار والزيادية والبزعة والشنابلة والمعاليا. وثالثهما شعبة الدويحية والمسلمية والبقارة والمحاميد والماهرية والكبابيش والمغاربة والحمر.

تكوين الدولة وتبلور نظامها السياسي

تمحور المطلب الأول حول أصل مجموعات الفونج والعبدلاب التي تحالفت فيما بعد لتكوين السلطنة السنارية، وكان ذلك مقدمة أساسية للبناء عليها في تلمس أسس واتجاهات النشأة والبناء السياسي في الدولة السنارية. حيث تتحدث الروايات التي أوردها صاحب الطبقات عن تأسيس وقيام سلطنة الفونج: (أعلم أن الفونج ملكت أرض النوبة وتغلبت عليها أول القرن العاشر بعد التسعمائة وخطت مدينة سنار خطها الملك عمارة دنقس وخطت مدينة اربجي قبلها بثلاثين سنة خطها حجازي بن معين[3] أما

---

1 محمد صالح محي الدين، مشيخة العبدلاب، ص١٣١

2 محمد صالح محي الدين، مشيخة العبدلاب، مرجع سابق، ص١٠٨ – ١١٣.

3 محمد النور ود ضيف الله، الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والشعراء في السودان، جامعة الخرطوم، ط٢، ١٩٨٢، ص١٦٣.

صاحب مخطوطة الشونة [1] فتحدث عن نشأة السلطنة بقوله: (فأول ملكهم ما تداول في السنة الخلق أن ابتداء أمر الفتح كانو بمحل يعرف لوّلوّ يتفخيم اللامين فكانوا بها علي قدر ما أراد الله إقامتهم بها ثم إنتقلوا إلي جبل مويه وهو معروف وأقاموا به، فلما أراد الله إظهار أمره وتسليطهم علي خلقه وكان لهم بقر وفيها ثور فحل جعل الثور يسري بالليل إلي غابة سنار، ولم يكن بها عمارة غير أنه يذكر أن بها جارية تسمي سنار مقيمة علي جرف وبها سميت المدينة حين عمارتها بها، ثم إن ذلك الثور يرعى في تلك الغابة ليلاً ويأتي في ليلته وتبعوه في بعض الأيام فرأوا دارها ونهرها فتنزلوا من موية وقطع أشجارها الملك عمارة دنقس، وهو أولهم وصار ملكهم بعد أن قاتل العنج مع عبدالله القريتاتي[2] القاسمي أبي عجيب الكاقوته ورجع إليها وبقي ملك فيها وشيخ عبدالله المذكور في قرى).

وعن كيفية نشأة السلطنة تتحدث المصادر الوطنية أن عمارة دنقس زعيم الفونج جمع رجالة في جبل موية ثم تحالف مع عبدالله جماع شيخ عرب القواسمة على اخضاع ملوك العنج الذين فروا إلي جبال فازوغلي وكردفان ومن بقي منهم اختلط بالغزاة واعتنق الإسلام [3].

وتذهب رواية محلية إلي أن الفونج قبل نزولهم لجبل موية في موطنهم الأصلي، جرت عندهم العادة عند الطعام أن يجتمعوا عند كبيرهم ويحضر إليهم الطعام من بيوتهم وكان كل ما حضر الطعام يأكلونه في غير ما انتظار لاجتماع الطعام كله ومن ثم الشروع في الأكل، حيث ظلوا علي ذلك إلي أن أتاهم رجل من الساحل فأنكر عليهم هذه الطريقة وأمر بحبس الطعام حتي يجتمع كله وبعد ذلك الإذن بالأكل للجميع، وهذه الطريقة

---

1 كتاب الشونة: لأحمد بن الحاج من سكان الجزيرة بوسط السودان، أشتغل كاتباً لشونة الغلال بالخرطوم إلي سنة ١٨٣م وقدم كتاب الشونة سنة ١٨٣٨م، مكي شبيكة، مملكة الفونج – سابق ص٣. هو جد العبدلاب (لولو) مكان يبعد ٨ أيام جنوب سنار عرف بجبال لول، عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب، ص٢٠٥٦.

2 أحمد بن الحاج، الشونة، ص٦–٧.

3 مخطوطة كتاب الشونة – أحمد بن الحاج، ص٢.

جعلت الطعام يفيض عن حاجتهم فقالوا الرجل مبارك وزوجوه بنت ملكهم التي أنجبت له ابن فلماً كبر الأبن ومات جده الملك نصبوه محلة وحملوه علي عنقريب هو وزوجته حتي نزلوا به عن جبل موية [1].

وجاءت رواية ثالثة بالقول (وانتقل الفونج من جبال الجنوب إلي جبل موية المجاور لجبل سقدي على مقربة من سنار وكان كبيرهم عمارة دنقس وفي جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة وعليها شيخ شديد البأس يقال له عبدالله جماع، فاتفق عمارة وعبدالله جماع المذكور علي ضم كلمة المسلمين ومحاربة الدولة النوبية ونزع الملك من العنج [2].

تشكل الحلف الفونجي العبدلابي:

وقد تعددت الروايات التاريخية وتباينت الأراء حول وقت وطريقة تشكل الحلف الفونجي العبدلابي و أثره علي سقوط مملكة علوة المسيحية، إذ هنالك من يرى أن سقوط علوة تم علي أيدي عبدالله جماع وحدة عندما جمع مشيخات القبائل العربية التي كانت تعاني من طغيان العنج وقاد بهم حلف قضي به علي دولة علوة التي كانت تعاني وقتها من ضعف شديد[3]، بينما يقول رأي آخر بتشكيل الحلف بين عمارة وعبدالله وإسقاطه لعلوة المسيحية التي كانت تعاني من ضعف معقد، ومهد هذا السقوط لإنشاء سلطنة سنار وقرى عند بدايات القرن السادس عشر أي حوالي عام ١٥٠٥م[4]. رغم اختلاف الروايات إلا أنها جميعاً تقرر قيام حلف بين الفونج والعبدلاب أدى إلى سقوط علوة المسيحية. وهذا الإنتصار أدى إلى قيام سلطنة الفونج الإسلامية العربية بالسودان وعاصمتها سنار عام ١٥٠٤م. بزعامة عمارة دنقس ووزارة عبدالله جماع، بهذا أصبح

---

1 مملكة الفونج الإسلامية – مكي شبيكة، مرجع سابق، ص٣٨.

2 نعوم شقير، تاريخ السودان، مرجع سابق، ص٩٨.

3 تاريخ العبدلاب من خلال روايتهم الشمالية، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، يوليو ١٩٩٦م، ص١٦، وليام آدمز، النوبة رواق إفريقيا، مطبعة جامعة الخرطوم برستون، ط٢ ١٩٨٤م، ص٥١٩.

4 مكي شبيكة، السودان عبر القرون، ص٥٨؛ محمد صالح محي الدين، مشيخة العبلاب، ص٩٢.

السلاطين من الفونج والوزراء من العبدلاب ومن أبرز سمات هذا الحلف أن يقوم علي الآتي:

١) أن تكون القيادة العسكرية للحلف لعبدالله جماع وأن يمده حليفه عمارة بالعسكر والمؤن.
٢) أن يقوم شيخ دار ولد جماع بخدمة العرب الموجودين في منطقة الفونج.
٣) أن يحكم الفونج منطقة الجزيرة الواقعة بين النيلين الأزرق والأبيض، أما بقية السودان يحكمه العبدلاب.
٤) تقديم العون لبعضهم البعض في حالة الإعتداء الخارجي .
٥) عند تولية رئيس جديد في كل من سنار أو قرى يجب حضور مفوضين من العاصمتين، والكبير في السن من أبناء الشيخ عبدالله جماع أو الملك عمارة دنقس هو صاحب الكلمة فيها.
٦) لا يدق نحاس مع نحاس ولد جماع عند حضوره إلي عاصمة الفونج و أيضاً لا يدق نحاس مع نحاس ملك الفونج في قرى.
٧) تولية قبائل العرب الذين هم أهل الطواقي (شارات الملك) أو المشيخات تكون في قرى.

وقد اجتمعت الروايات كلها علي أن تاريخ إبرام هذه الاتفاقية كان عام ١٥٠٤م[1].

تظهر بنود الاتفاقية أن لعمارة دنقس امتياز وسلطة مقدمة وتعلو علي حليفه عبدالله الذي يأتي في المرتبة الثانية كنائب للملك وزيراً أولاً في المملكة وحمل عبدالله جماع لقب شيخ بينما حظي عمارة بلقب الملك، حيث انتقل الاتفاق إلي أبنائهم من بعدهم علي ذات النهج والشاكلة.

1 محمد صالح محي الدين، مشيخة العبدلاب، ص٩٩؛ مصطفي محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطي، ص٢٠٨.

النظام الإداري

على خلفية ما تقدم من حقائق حول نشأة سلطنة الفونج تأسيساً علي ما قام من حلف بين مجموعات الفونج والعبدلاب، نجد أن السلطنة وجدت نفسها أمام إرث سياسي واسع تمثل في مملكة سوبا التي بدورها قد كانت منظومة خالفة لمملكة المقرة. ولاشك أن هذا الإرث السياسي يتطلب عمل إداري فاعل ومحكم ويبدو أن ذلك كان يمثل تحدي للسلطنة الوليدة التي ليس لها رصيد سياسي أو إداري مباشر تستند عليه خاصة في أرض السودان.

والمقروء من بنود الاتفاق التأسيسي لمكوني السلطة في عام ١٥٠٤م يبرز أن المساحة التي وجدت السلطنة مطالبة أن تبسط نفوذها السياسي والإداري عليها تمتد من أسوان المصرية شمالاً إلى فازوغلي في أقصي الجنوب، ومن سواحل البحر الأحمر شرقاً إلى حدود مملكة الفور في الغرب، مع أن هنالك من يرى أن بلاد المحس والسكوت كانت خارج حدود السلطنة بناءً علي الإتفاق الذي ابرم مع سلطة الأتراك في مصر ودولة الفونج الناشئة [1]، ومهما يكن ذلك لا يقلل من اتساع الرقعة الجغرافية التي تتمتع بها سلطنة الفونج وتعقيدات الوضع.

بعد أن تحقق لنا مدى اتساع المساحة والرقعة التي دانت لسلطنة الفونج نبحث في الطريقة والأسلوب الإداري الذي اتبعته السلطنة في إدارة شأنها المترامى الأطراف والمشحون بالتناقضات والتحديات التي يأتي ضمنها ضعف الخبرة الإدارية لدي الدولة الوليدة وتربص أعدائها سواءً بقايا وأتباع علوة الذين تفيد الروايات بلجوئهم إلي مناطق فازوغلي وكردفان، مما يعني إمكانية صناعة أحلاف داخلية مع أطراف خارجية مثل الحبشة والتي كانت تراقب الأوضاع في السودان عن كثب وشهدت مسارات متباينة من العدائية والترغب والسلم الهش علي طول الحقب التاريخية حتي الحديثة منها والحالية.

---

1 مكي شبيكه، السودان عبر القرون، ص٥٤.

الدمج بين المركزية واللامركزية والكونفدرالية الإدارية:

تقوم أنظمة الإدارة الحديثة علي التركيز في إظهار ميزات المركزية واللامركزية الإدارية والإعلان لها في خصائص كل طريقة باعتبارها تحمل مزايا ومقومات نظم الإدارة التي تتناسب مع أوضاع واحتياجات الإدارة الحديثة وعند الوقوف علي أسس النظام الإداري في سلطنة الفونج نجده قد أخذ بما يشبه الكونفدرالية على مستوى نظام الحكم الأعلى، ودمج بين المركزية واللامركزية في مستويات الحكم الأدنى، ومظاهر ذلك تتمثل في المعاهدة الدستورية التأسيسية التي وقعت بين طرفي الحلف (الفونج والعبدلاب) بعد نهاية حرب مملكة سوبا، حيث بموجب المعاهدة قسمت السلطنة إلي قسمين إداريين كبيرين، أولهما الجزء الممتد من الجزيرة (أربجي) جنوباً إلى أسوان شمالاً، ومن حدود الحبشة وسواكن في الشرق إلي منطقة كاب بلول [1] عند حدود سلطنة الفور في الغرب، حيث تمثل هذه المنطقة الموصوفة منطقة نفوذ للعبدلاب يحكمها عبدالله جماع وسلالته من بعده وعاصمتها جعلت في (قرِّي) كمنطقة منتصف وملتقي بين أطراف السلطنة. بينما احتفظت السلطة المركزية للفونج بإدارة الحدود الجنوبية من السلطنة والممتدة من منطقة أربجي بالجزيرة (جنوب الخرطوم) إلي مناطق فازوغلي في أقصي الجنوب [2].

حيث يتبين من خلال مخرجات وثيقة الحلف وما تمخض عنها من اقتسام لأرض السلطنة ونفوذها علي إقليمين جغرافيين يتمتع كل منهما باستقلال نسبي عن الثاني مع خضوع أحدهما للآخر في أمور شكلية من مظاهر السيادة والأرض والعلاقات الخارجية والدفاع، يبرز هذا الوضع نظام كونفدرالي تحالفي إداري أبتدعه طرفا الحكم في دولة سنار، ولا نعلم أن هناك سابقة إدارية أفرزت نظام حكم بهذا الشكل استلهمت منه التجربة السنارية. أفرزت وثيقة الحلف السناري ثلاثة مستويات من الحكم، أولهما

---

1 كاب بلول: مكان بغرب السودان منسوب إلي بلول البديري، عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب، ص١٩١١.

2 محمد صالح محي الدين، مشيخة العبدلاب، ص١٤٩؛ مكي شبيكة، مختصر تاريخ السودان، ص١٢؛ يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان وأفريقيا، ص٢٧.

المستوى الأعلى ويحتفظ فيه الفونج وعلي رأسهم السلطان بنفوذ الرئيس وينوب عنه في قمة الهرم شيخ العبدلاب، وهذا المستوي من الحكم بمثابة السلطة الأعلى في الدولة ورئاستها في سنار، أما المستوى الثاني يتم تقاسم الأرض والنفوذ فيه إلي قسمين، أحدهما يقع تحت حكم شيخ العبدلاب نائب رئيس السلطنة، وهو إقليم جغرافي محدد المعالم والجغرافيا والديمغرافيا، ويمارس فيه العبدلاب سلطة شبه مستقلة إدارياً عن المركز ما عدا مظاهر الولاء من دفع الضرائب والتمثيل الخارجي والدفاع وبعض سلطات الأراضي. أما الإقليم الآخر فيقع تحت سلطنة ونفوذ سلطان الفونج ورئيس السلطة العليا في الدولة وهو بالطبع يمثل سلطنة لا تخضع للإقليم الأول. أما المستوى الثالث فيمثل أجهزة الحكم الأدنى أو السلطات المحلية التي تمارسها أجهزة الحكم الأدنى علي نطاق الإقليمين. وقد تميزت علاقة سلطان الإقليم بمستويات الحكم التي تتبع لها علي نطاق الإقليمين بنظام تفويض إداري تقوم به سلطات الإقليم إلي أجهزة الحكم الأدنى من مشائخ القبائل والأعيان بما يتماثل ونظام اللامركزية الإدارية، حيث يقوم رئيس إقليم قري، ورئيس إقليم سنار بتفويض سلطاته إلي المشائخ في إدارة شؤون المجتمعات ورعاية مصالحهم مع الخضوع للإشراف والمتابعة من قبل السلطة المركزية في الإقليمين ومن وراء ذلك كله السلطة العليا بالمركز التى تملك حق الإشراف على الجميع.

هذه الطريقة المختلطة من نظم الإدارة تقف وراء عامل التحالف السياسي العسكري الذي أنتجه ركني السلطنة (الفونج والعبدلاب) والذي يُعدّ بمثابة الدستور التأسيسي للسلطنة، حيث احتفظ فيه الفونج بمظاهر المركزية ومنح تفويض وإنابة إلي حلفائهم من العبدلاب بإدارة شطر السلطنة مع الإبقاء على مظاهر التبعية والولاء للمركز. ولا بد من الإشارة هنا إلي طبيعة العلاقة التي تربط بين حلفي السلطنة والتي تحدث عنها المؤرخون بتباين واضح إلا أنهم ظلوا على اتفاق في تبعية العبدلاب ومناطق نفوذهم في قرى إلي سلطنة الفونج وتمتع الفونج بالسيادة علي قرى. وبالمقابل احتفظ مشائخ العبدلاب ومناطق نفوذهم في قرى بالنيابة والسلطة الثانية في الحكم.

وقد أوضح ذلك نعوم شقير بقوله: (وقد كان للعبدلاب المقام الأول عند ملوك الفونج وكان إذا أراد أحدهم الدخول علي ملك الفونج يستأذنه أولاً في ذلك، فإذا أذن له تملق

بثوبه ورمي بسلاحه عند الباب ودخل عليه ثم يقول الشيخ مخاطباًالملك (طويل العمر) وهو لقب ملوك الفونج فيقف الملك ويأخذ بيده ويقول (البان بايده تنين سيده)[1].

كما وصف الرحالة المبشرون الكاثوليك موكب السلطان وبعض التقاليد المتبعة في مجلس الملك في سنار ومناجل[2] العبدلاب سيما عندما يزور المانجل سنار حيث يتلقاه الملك بموكب ضخم خارج المدينة وعند الإلتقاء يترجل المانجل ويقبل رجل الملك بالنهوض[3].

مظاهر المشيخة القبلية:

اعتمد نظام الإدارة في الدولة السنارية علي المشيخة العربية التقليدية التي تقوم على القبلية[4] وهو ما يعني اللامركزية الإدارية التي تقوم علي تفويض زعماء القبائل في إدارة شأنهم بصورة مطلقة ولا توجد أي مؤسسات للحكومة المركزية على المستويات المحلية ولا تباشر سلطات فعلية ماعدا إختصاص الأراضي التي تقع بين النيلين والتي تتبع للسلطة المركزية في سنار مباشرة. وهذا لا ينفي ولا يتناقض مع سعي السلطنة الحثيث في إيجاد مؤسسات وبسط مظاهر الحكم في كل ربوع السلطنة ولكن يبين نهج السلطنة في إتباع أساليب اللامركزية الإدارية القائمة علي تفويض السلطان خاصة في المناطق البعيدة مع مراعاة وعورة الطرق وبدائية وسائل التواصل وذلك يجعل من اللامركزية أسلوباً فعالاً وذا جدوي، حيث انتهجت السلطنة إعطاء لقب المانجل (الملك) إلي الأفراد الذين يتم تعيينهم في الأقاليم ويتم توريث منصب المانجل أو الملك، حيث يشترط أن يكون من

---

1 مكي شبيكة، السودان عبر القرون، ص٧٠.

2 مانجل: لقب كبير للعبدلاب (الشيخ والملك) ومنها ما نجلك ومانجلق، وقيل أن أصل الكلمة (الوزير) بلغة الهمج، وقيل تعنى ما نجل إلا إياك، وقيل تعنى توكيل بلهجة الطوارق وتعنى زعيم القبيلة، عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب، ص٢٨٢.

3 مختصر تاريخ السودان؛ عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب، ص٢٠٨٢.

4 وليام آدمز، النوبة رواق إفريقيا، ص٥١٥.

أسرة الحاكم المتوفي، وهذا النظام كان معمولاً به في الأقاليم التي تضم حديثاً إلي السلطنة أيضاً إذ يتم تعيين أمير من الإقليم نائباً عن السلطان [1].

ولعل من أبرز مظاهر حضور السلطنة المركزية وإحاطتها الإدارية توليها تعيين المشيخات وإشرافها المباشر علي ذلك بما فيها المشيخات التي تتبع لمنطقة قرى (العبدلاب)، بل لا يتم تنصيب واختيار مانجل العبدلاب نفسه إلا وفق الأسس المتفق عليها ومنها موافقة السلطان علي المرشح لتولي الخلافة في قرى.

مسؤوليات واختصاصات المشائخ:

كما يتطلب في المرشح للمشيخة الإدارية في القبيلة توفر معايير مثل الكرم والعطف وحفظ الأنساب، وأن يتولي إدارة شأن القبيلة وحفظ الأمن وجباية الضرائب يعاونه في ذلك مجلس الأجاويد الذي يتكون من كبار رجال القبيلة كما يتولى شيخ القبيلة مهمة توزيع الأراضي الزراعية علي رؤساء العائلات والمحافظة علي حقوق القبيلة وأيضاً يقوم بتنظيم علاقة القبيلة مع شيخ المشائخ فيما يلي جمع الضرائب، ويتحمل المسؤلية في جرائم الديات والتعويض، ويتحمل المسؤولية الاجتماعية تجاه الفقراء والعجزة وأصحاب الاحتياجات من القبيلة[2].

أما فيما يلي ملكية الأرض وهي في الأصل ترجع إلي السلطان ثم حكام الأقاليم ثم المشايخ والملاك الذين حصلوا علي تصديق من السلطان، وتقع مسؤولية الفصل في نزاعات الأراضي علي عاتق حاكم الإقليم، والذي له الحق أيضاً في قبض خراجات الأراضي[3]. نجد وجه خلل كبير في نظام إدارة المشيخات لاسيما في النشاط الاقتصادي والذي اقتصر فيه واجب المشيخات فقط في تأمين التجارة وإهمال وظائف الدولة الإدارية الأخرى التي يلزم أن تمتد إلي مجالات النشاطات الفردية الأخرى في الزراعة

---

1 ترمنجهام، الإسلام في السودان، ص٩٢-٩٣، ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، السعودية، جده، مطابع سحر، ١٩٨٩م، ص١٧؛ وليام آدمز، النوبة رواق إفريقيا، ص٥٢٣.

2 محمد صالح محي الدين، مشيخة العبدلاب، ص٣١٠؛ عبد الحميد متولي، تطور نظام الحكم في السودان، ١١٨-١١٩.

3 عبد الحميد متولي، تطور نظام الحكم في السودان، ص١١٨.

والرعي والصناعة ومؤسسات رعاية وتطوير مهارات وقدرات الأفراد وإشاعة الوعى العام والإلتزام بأسس العيش المشترك... الخ

النظام الإداري في إقليم قري:

ظهر من خلال استعراضنا لمقتضيات حلف العبدلاب والفونج أن (السلطة العليا)، في جهاز الدولة ثم تقاسمتها بين رئاسة الفونج ونيابة العبدلاب، وبمقتضى ذلك مشيخة العبدلاب أصبحت تملك النيابة العامة علي مستوي السلطنة وتحظي بحكم شبه مستقل (كونفدرالي) علي كل أجزاء السلطنة المتدة من أربجي شمالاً ومصوع وحدود الحبشة شرقاً إلي سلطنة الفور غرباً وحدود مصر شمالاً. حيث أقامت عاصمة للمشيخة في مدينة قري وتتمتع بإختصاص بموجب المعاهدة تمارس بموجبه سلطات تعيين وعزل المشايخ في حدود إقليمها وسلطات الضبط والجباية والضرائب وحفظ الأمن والنظام وقد يتطلب ذلك الدخول في حرب مع الأقاليم التي ترفض الإنصياع لأوامر قري كما حدث مع ملوك الجموعية عندما رفض دفع الضرائب[1] كما أورد ذلك صاحب الطبقات (ثم أن الشيخ ود السميح في حربه بشندي فقتل ملك الجموعية وأكثر من مائة نفر وخسرت البلد وخسرنا رقيقنا وبقرنا)[2].

وبالرغم من مظهر النظام الإداري المركزي القابض الذي يمارسه حكام قرى علي الأقاليم التابعة لهم: إلا أنه في الواقع نجد حاكم الإقليم مستقل تماماً في تصريف شؤون إقليمة وهو الذي يختار معاونيه في الإدارة دون الرجوع للسلطة في قرى، وغالباً ما يستعين بأقربائه[3] وهذا يدل علي أن هناك نظام لامركزي للإدارة يقوم علي أسس الولاء العام من قبل الأقاليم إلى السلطنة مقتضاه أن تلتزم الأقاليم بالولاء العام للسلطنة

---

1 محمد صالح محي الدين، مشيخة العبدلاب، ص ٢١٠.

2 ود ضيف الله، الطبقات، ص١٥.

3 عوض الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب، ص٢٤٩٨؛ محمد صالح محي الدين، مشيخة العبدلاب، ص٢١٤.

المركزية ومظهر هذا الولاء يقوم علي دفع الضرائب مقابل أن تتولي السلطنة حماية الإقليم ضد أي اعتداء خارجي أو داخلي، وتتولي مظاهر التمثيل الخارجي للسلطنة.

مكونات إدارة العبدلاب:

خضعت لإدارة إقليم قري مباشرة عدد من المكونات تتمثل في:

١/ الشايقية: قام نفوذ الشايقية على أطلال مملكة نبتة القديمة ومركزها مروي، وجعلها شعورها بالبعد عن سلطنة قرى والاستغلال النسبي في إدارة شأنها إلى الخروج على الدولة السنارية ممثلة في مشايخة قرى وذلك أدى إلى نشوب حرب بينها وقرى في عام ١٦٧٢م إنتهت بمنح إقليم الشايقية الاستقلال حيث تميز الإقليم بحدة خلافات بين مكوناته إلا أنها كانت تتوحد ضد غيرها[١].

٢/ مشيخة الجموعية: امتدت غرب نهر النيل والنيل الأبيض من عقبة قرى إلي الترعة الخضراء ومركزها قيزان أولاد الملك المحينة، وكما ورد في هذا البحث فقد ثبت تمردهم عن دفع الضرائب لقرى وعودتهم بعد ذلك عقب الهزيمة التي لحقت بهم[٢].

٣/ مملكة الجعليين: تقع شمال مشيخة العبدلاب على أنقاض مملكة مروي القديمة بين حجر العسل والدامر وعاصمتها شندي، يحكمها فرع السعداب من الجعليين حيث عرف عن المملكة أنها تولي إهتمام للعسكرية والفروسية وحكموا مشيخة سلطة مدنية عن طريق القوة (دكتاتورية)[٣].

٤/ مشيخة الشنابلة: قامت علي النيل الأزرق شمالي سنار ومركزها المسلمية، وهناك من يرى أن صلتها بالعبدلاب كانت قبل قري حيث كانت المسلمية عاصمة العبدلاب

---

1 نعوم شقير، تاريخ السودان، ص١٣٩؛ الشاطر بصيلي، تاريخ وحضارات بالسودان الشرقي والأوسط، ص٢٥٧.

– الشايقية هم أبناء شايق أحد أشقاء غانم الجعلي، هجرة القبائل العربية إلي وادي النيل مصر والسودان،ضرار صالح ضرار.

2 نعوم شقير، تاريخ السودان، ص١٣٦؛ محمد صالح، مشيخة العبدلاب، ٩٤

3 نعوم شقير، تاريخ السودان، ص١٣٨؛ آدمز، النوبة رواق إفريقيا، ص٥١٦.

ولكن الراجح أن المشيخة انضمت للعبدلاب بعد قيام قرى[1] ويثير هذا الموضوع تداخل بين حدود سنار وقري والذي اعتمد من مدينة أربجي كما ذكرنا.

٥/ مملكة المريفاب: تقع شمالي الجعليين بين مقرات ووادي السفير ومركزهم بربر ولهم ككر وطاقية واشتهروا بالشجاعة والكرم مع النباهة[2].

٦/ مملكة الرباطاب: أشتهر عنهم بأنهم ككر وطاقية وأنهم كانوا علي حرب دائمة مع الميرقاب حيث يمتد ملكهم من وادي السنقر جنوباً إلي الشاخية شمالاً فيما وراء أبي حمد.

٧/ مملكة المناصير: إمتدت من الشاخية إلي الشلال الرابع وعاصمتها السلامات وتجاور مملكة الدفار الواقعة بين مروي والدبة وهي مقر قبائل الدفار فرع من البديرية ودنقلا العجوز والخناق والخندق[3]، وأرقو، وهى أقصي المناطق الخاضعة للفونج شمالاً.

٨/ مشيخة الحمرة: تقع علي نهر الدندر وشرقي مشيخة الكماثير ومركزها ديركى قرب كركوج حيث كان مشايخها يخاطبون بلقب مانجل معهم مثل مشايخ العبدلاب[4].

٩/ بني عامر: قامت علي الصحراء الشرقية بين البحر الأحمر وخور بركة شرقاً وغرباً وبين عقيق علي البحر الأحمر وبلاد الحبشة شمالاً وجنوباً.

١٠/ مملكة الحلنقة: حاضرتها كسلا، وكان زعيمهم يلقب بالشيخ إلي أن تزوج منهم العبدلاب أو الفونج فألبسهم ملك سنار طاقية الملك لتعزيز مقامه.

١١/ مشيخات سنار: قامت علي شرق النيل الأزرق بين رنقة والرصيرص ورنقة هي مكان قرب سنار. ومركزها رنقة نفسها ويرتبط مشايخها بالفونج برابطة الرحم وهم في الأصل قواسمة [5].

---

1 محمد صالح محي الدين، مشيخة العبدلاب، ص٢٣١؛ تاريخ السودان ، نعوم شقير، ص١٣٦.

2 مقرات: جزيرة بأرض الرباطاب،

3 الختاق ماكن قريب من دنقلا كانت به مملكة أيام الفونج وكان به مقر أحد ملوك الفونج – موسوعة القبائل والأنساب، عون الشريف قاسم، ص٧٨٨.

4 ود ضيف الله، الطبقات، هامش ص٧٢.

5 عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب، ص٧٥٦.

١٢/ مملكة فازوغلي: تقع إلي الجنوب من مشيخة خشم البحر وتمتد من الرصيرص إلي فداسي[١]. وحاضرتها فازوغلي، وقد عرفت هذه المملكة بتميزها عن غيرها من أقاليم ومشيخات وممالك السلطنة التزامهم بلبس ملوك الفونج ولا يركب الخيل إلا هم[٢] مما يعني شديد ولائهم وكامل انتمائهم في الشكل والمضمون إلي السلطنة، جدير بالذكر أن مشيخة خشم البحر ومملكة فازوغلي تمثل الجزء من السلطنة الذي يقع تحت الإدارة المركزية مباشرة خلافاً لمتبقي مكونات السلطنة الذي يتمتع بفدرالية لامركزية إدارية شبه مستقلة في بعض الأحيان سيما تلك التي تقع في النطاق الجغرافي والإداري لمقرة العبدلاب، حيث تقع هذه المشيخات والممالك والأقاليم في نطاق سلطنة المقرة بموجب التفويض والإنابة الممنوحة لها من سنار في سلطة أشبه بالكونفدرالية الإدارية، وبدورهم حكام المقرة منحو تفويضهم لتابعيهم من المشايخ والممالك بإدارة شأنهم مع إحتفاظ سلطان المقرة بمتطلبات ولوازم هذه التبعية بأن تؤدي هذه الأقاليم والمشيخات ما عليها من ضرائب وخراجات وأن تلتزم بكل موجهات سلطات المقرة، مقابل أن تتولي المقرة مهمة الدفاع عن هذه الأجزاء وتمثيلها خارجياً لدي الغير وكل ذلك محفوف بالولاء للسلطنة والفونج أيضاً عن طريق ما تقوم به مقرة العبدلاب من أمور تتعلق بتنظيم الإدارة داخل حدود المقرة.

أثر البعد المعرفي والثقافي والمجتمعي على نظام الإدارة في السلطنة :

تلعب العلوم والمعارف أدوار جوهرية في تكوين وتغذية النظم والمناهج الإدارية لدي أي جهة، لذا نجد سنار قد أهتمت بتشجيع العلوم والمعارف المختلفة لاسيما تلك القادمة من مصر لأجل خلق بنية ثقافية توعوية راسخة في أرجاء السلطنة مرتكزة علي شريعة الإسلام ومستفيدة من أحدث ما توصلت إليه النظم الإدارية.

---

1 عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب، ص١٧٤١.

2 فداسي من مدن فازوقلي علي نهر يابوس من فروع النيل الأزرق يوجد ضمن مكوناتها البرني ولغة المملكة العربية السعودية ودينها الإسلام. عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب، ص١٧٤١. بابكر فضل المولي، مظاهر الحضارة في دولة الفونج الإسلامية، ص١١٩.

لقد تحدث روبين في رفقته لأحد ملوك الفونج ضمن برنامج طواف السلاطين الذي كان متبع في نظم الحكم والإدارة عندهم بأن يتجول السلطان في أرجاء السلطنة بصورة دورية، بل كان في الواقع يقضي جل وقته غير مستقر في بقعة محددة إلا بالقدر المتوازن حسب الجدول المنظم لطبيعة الحكم والإدارة والذي يجعلها دائرية ومتجولة تضمن إحاطة السلطان بقضايا ومناطق السلطنة وتمكن الرعية من التواصل مع أعلى أجهزة الحكم، حيث أورد روبين في هذا السياق (ويالكون الأفيال والذئاب والفهود والكلاب والجمال والفيران والحيات وبعضهم يأكل لحم الأدميين)[1].

وأيضاً تابعنا ما كان يحدث من طقوس تتبع وتلتزم في مراسم التنصيب السلطانى مثل أن يجلس الملك المنتخب في محبس ومعه عذراء وبعد أن يخرج من المجلس للتنصيب يتطير الناس بالذهاب إلي أمكنة محددة ليروا ما إن كان المستقبل يبشر بخير أم غير ذلك. فتكثر هذه الأعمال التى تخالف الشريعة الإسلامية ويغلب عليها الطابع الثقافي العرفي للمجتمع المتشبع بالعادات والتقاليد والممارسات الضاربة في القدم والمختلطة بكسب والتزام الأفراد الإسلامي في ظل نقص المعارف والمواعظ والعلماء وصعوبة التواصل والمواصلات بحكم إتساع ووعورة طبيعة وجغرافية المنطقة. كل ذلك يجعل هذه الممارسات رغم تصادمها مع الشريعة إلا أنها تظل ممارسات فردية وغير رسمية ناتجة عن أفعال مستمدة من الثقافة والعرف المجتمعي.

وقد أدى صدى هذة الممارسات والمعاملات القائمه على طغيان العادات والأعراف القبلية بسبب الجهل وقلة المعرفة-أن شاع أن ساد السلطنة رأى عام دفع البعض إلي القول بعدم انتظام أحكام الشريعة أوالاعتداد بها في إدارة شؤون الحكم في السلطنة. ومن ذلك ما أورده صاحب الطبقات (أعلم أن الفونج ملكت أرض النوبة ... ولم تشتهر في تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن، ويقال أن الرجل كان يطلق المرأة ويتزوجها غيره في نهارها من غير عدة حتي قدوم الشيخ محمود العركي من مصر وعلم الناس العدة...).

1 مكي شبيكة، مملكة الفونج الإسلامية، ١٩٣٠م، معهد الدراسات العربية العالمية، ص٣٠.

وليس مفاد ذلك إنكار الشريعة سواءً من قبل أجهزة الإدارة أو عامة الرعية، بل هذا ناتج عن الجهل وقلة الفقه والمعرفة بالأحكام الشرعية لدي المجتمع خاصة إذا وضعنا في الإعتبار أن هجرة المجموعات العربية إلي علوة تمت في وقت مبكر وفي أوقات متقطعة ومختلفة وإنصهرت مع المجموعات والثقافات المحلية في كنف دولة تدين بالمسيحية وحتي المسيحية في علوة ظلت منتشرة وشعار فقط بحكم الإنقطاع الذي حدث بين الكنيسة القبطية في مصر وعلوة. ومن المعلوم أن علوة ورثة تركة المقرة في دنقلا والتي دانت بالإسلام قبل مائتي عام عن قيام الفونج، ومع ذلك لا يعلم إسهام معرفي ديني تم بين مسلمي المقرة ومسلمي علوة رقم أن أغلب النوبة في علوة كانوا مسلمين لكن ينقصهم الوعي والإرشاد مثلهم مثل العرب الذين استقروا معهم والذين كان يغلب عليهم طابع الرعي والبادية وليس من بينهم علماء ومصلحون.

فالثابت أن نهج السلطنة كان إسلامي إلا أن المجتمع كان يعاني من الجهل وتأثير الثقافات المحلية التي جعلت بعض مظاهر الحياة والمعاملات فيه لا تنسجم مع تعاليم الإسلام وما يؤكد ذلك قول كاتب مخطوطة الشونة (أما بعد فإني رأيت تواريخ للأقدمين في عدد من مسني الملوك السابقين وأحببت أن أجمع إلي ذلك شيئاً من ابتداء عمارة سنار المحروسة المحمية أجلها الله خالق البرية وأذكر ما كان فيها ومن ملوكها وسيرهم المحمودة المرضية علي ما سمعته الأذان وشواهد في آخر ملكهم بالأعين). هنا نقف أمام حقائق تعكس توجه عام السلطنة ومن كان يقوم علي أمرها الذين يثبت لهم الكاتب العدالة والسلامة وحسن التزام الإسلام مستنداً فيما ذهب إليه من حقائق تتمتع بدرجة عالية من الضبط والثقة حيث عدد الكاتب مصادرة المستمدة من كشف وقوائم الملوك محددة بعدد سني حكم كل منهم علاوة علي الروايات السماعية الموثوقة ممن عاصر وروي السند الصحيح وختم الكاتب ذلك بمشاهداته هو نفسه متعددة المزايا والمصادر التي يقوى بعضها البعض توجهاً إلي كسب الثقة والقوة المحققة للحجية.

حيث نجد علي نطاق حاضرة العبدلاب قرى أن عهد الشيخ عجيب المانجلك ١٥٠٤ – ١٥٣٤م، يُعدّ من العصور الذهبية فيما يلي هجرة العلماء إلي السلطنة وتدافعهم إلي التوعية والإرشاد في أوساط الرعية حيث يقول عن ذلك مكي شبيكة: (بعد موجة

الأشراف آل البيت التي حضرت إلي السودان في عهد عمارة والذين ربما لم يكن بينهم العلماء والأولياء بل ربما كان هدفهم استغلال الملك وأتباعه ... قدمت هذه الجماعة في عهد عجيب وبينهم العالم وبينهم الولي الصالح وبينهم من جمع بين الأثنين وبينهم من أدخل المذهب المالكي والشافعي).

طبيعة وشكل نظام التشريع الإداري:

وقد كانت مصادر التشريع في السلطنة متمثلة في الشريعة الإسلامية وتقاليد المجتمع تزاحمت معها الأعراف الزنجية والعربية مع الثقافة المصرية فكونت مزيج من الأعراف استند عليها المجتمع والدولة في تنظيم الحياة[1].

لقد أستند النظام التشريعي في الدولة السنارية، خاصة فيما بين الحلفين الرئيسين (الفونج والعبدلاب)، وأستند علي بنود معاهدة تشكيل الحلف السابق سردها، وكعادة النظم القانونية تشكل المعاهدات والاتفاقيات أساس التشريع والقانون، بل تمثل المعاهدات المصادر للتشريعات والقوانين التي تنظم علاقة أطراف المعاهدة.

لقد شكلت المعاهدة الأساس الذي قام عليه هيكل الدولة ومؤسساتها كما تضمن الأساس في توزيع الاختصاصات والمهام والمسؤوليات فكانت مظاهر جهاز الدولة الرئيس قائم علي إقليمين رئيسين محددين جغرافياً بشكل دقيق، يدير الجزء الشمالي والشرقي من إقليم دولة العبدلاب، والإقليم الجنوبي الفونج مع احتفاظ سنار برمزية سيادية عن كلا الإقليمين، لذلك شكل نظام الحكم في الدولة السنارية نظام كونفدرالي تتشاطر الدولة فيه إلي إقليمين يتمتعان بشبه حكم داخلي مستقل عن بعضهما ويخضعان إلي سلطة مركزية به موحدة فقط في نظام الأراضي والضرائب والعلاقات الخارجية والدفاع، أما ماعدا ذلك فكل منهما نظامه الإداري الداخلي الذي ينظم علاقاته بمكونات الإقليم مع تنسيق رفيع مع السلطنة المركزية.

---

1 الشاطر بصيلي، تاريخ سودان وادي النيل، ص٣٠٩-٣١٠. مكي شبيكة، مملكة الفونج الإسلامية، ص٤٨، كاتب الشونة، أحمد بن الحاج، ص٧.

لقد أفرز هذا الوضع الكونفدرالي نزعة استقلالية لدي إقليم قري الشمالي في مرات عديده ولكنها واجهت حسم من المركز في سنار خضعت بعده للسلطنة المركزية. ولقد التزم النظام الكونفدرالي بمصادر تشريع موحد خاصة في مستوياتها العليا، حيث شكلت الشريعة الإسلامية والأعراف مصدراً التشريع الرئيسين لدي السلطنة الزرقاء بمكوناتها المختلفة.

معلوم أن نظام الحكم في سنار يقوم علي شريعة الاسلام حيث يلقب الحاكم في السلطنة بالسلطان أو الملك ويتعاقب علي الحكم الأقارب عن طريق الوراثة. وقد شهد حكم السلطنة من ناحية القوة والاستقرار عهدين أولهما من بداية تأسيس الدولة ١٥٠٤م إلي ١٧٦٢م وثانيها امتد من ١٧٦٢م إلي ١٨٢١م حيث بداية نهايته كانت العهد التركي المصري والذي شهد ضعف و اضمحلال السلطنة وسيادة الهمج [١].

هيكل الحكم:

يتكون هيكل حكم سنار من رأس المملكة وهو الملك أو السلطان والذي يتم اختياره وفق ضوابط العائلة والوراثة المتقدمة عبر مجلس من أكابر العائلة في السلطنة (الشوري، الحل والعقد) ثم يؤخذ المنتخب إلي محبس برفقة عذراء وحراسة جندي ثم يؤتي به إلي ساحة التتويج التي يحضرها رجال الدولة والأمراء والرعية، حيث ينصب له الككر عند ظل شجرة ليتلقى البيعة وتقرأ بين يدي ذلك الفاتحة والأدعية مع موسيقي الغرب[٢].

ورغم أنه لا يوجد مخطوط (دستور) يحدد مهام واختصاصات السلطان لكن في الواقع هو يمثل أعلى سلطة في المملكة ويليه في السلطنة الوزير الذي يلقب بسيد القوم ويتولى قيادة الجيش وقد مثل هذا المنصب في بداية السلطنة نصيب العبدلاب. ويعاون السلطان فى حكمه أيضاً رجالات الدين والطرق الصوفية حيث عرف عن السلاطين مودتهم لأهل الدين والتصوف في مظهر تقليدي متبع عند النظم الإسلامية المختلفة[٣].

---

1 بابكر فضل المولي، مظاهر الحضارة في دولة الفونج الإسلامية، ص٨٠.

2 مكي شبيكة، مملكة الفونج الإسلامية، ص٤٥-٤٦.

3 مكي شبيكة، مملكة الفونج الإسلامية، ص٤٦.

كما لخص روبين[1] هذا الأمر بقوله: (ومن عادة الملك أن يظل متنقلاً في أجزاء مملكته باستمرار من منزلة إلي أخرى يتبعه عدد كبير من الأتباع والخدم وكبار ضباطه وموظفيه ومنهم حكام الأقاليم ومنهم القضاة وتنعقد المحكمة يومياً ويحكم لمرتكب الجريمة صغيرة كانت أم كبيرة بالذبح ويمتلك الملك عدداً من الخيل والجمال الصهب ويتبعه عدد من الفرسان كما يمتلك أيضاً قطعان من الماشية والأغنام وفي بلاده البئر الذي يستخرج منه الذهب)[2].

تُعدُّ الطريقة في الإدارة التي تأسست عليها الدولة السنارية فاعلة في وقتها وذلك من خلال نهج السلطان المتحرك في متابعة شؤون السلطة والرعية بنفسه ونصب الأقضية بين الناس بشكل ناجز وفيه إحاطة وملامسة لواقع الأشياء وحركية وديناميكية الإدارة، وتفيد المصادر تطور هذا النهج الإداري في الحكم لدي السلطنة حيث يسجل لنا التاريخ ١٥٦٣م عهد دكين ود نايل ترتيب الدواوين وسن القوانين الملزمة التي تنظم كل شؤون السلطنة بما في ذلك أنظمة وقوانين تعيين الرؤساء والمشايخ وتوزيع السلطات والمسؤوليات وتقسيم السلطنة إلى مسؤوليات إدارية منضبطة. ولاشك أن الدولة السنارية كانت تتبع نهج إداري متطور استفاد من نظم الإدارة في واقع الحياة وقتها سيما الممالك والإمبراطوريات المجاورة لها وعلى رأسها الدولة العثمانية[3] ومن مظاهر ذلك بناء المساجد ومغار الحكومة من عدة طوابق وبقية الإنشاءات الحكومية المرفقية[4]. وعلي رأسه التنظيم الإداري العسكري الذي احتفظوا فيه لكل إقليم بجيشه علاوة على الجيش الإتحادى السلطاني المقسم إلي مقدم الخيالة سلاح الأسلحة مقدم القواويد قائد

---

1 هو داؤود روبين: يهودي أرسل في مهمة خاصة من الجزيرة العربية وأهله من يهود اليمن ويتقن اللغة العربية حيث كانت مهمته توحيد المسيحين ضد الإسلام وتظاهر بالإسلام، مكي شبيكة، سلطنة الفونج الإسلامية، ص٢٧-٢٨.

2 مكي شبيكة، مملكة الفونج الإسلامية، ص٢٨.

3 مكي شبيكة، مملكة الفونج الإسلامية، ص٤٨؛ مكي شبيكة، السودان عبر القرون ص٦٦.

4 كاتب الشونة، أحمد بن الحاج، ص١١.

عام[1]...الخ وهي هيكلية إدارة الجيش لضمان توزيع الاختصاصات والمهام التي تؤدي الى فاعلية الاداء خاصة أن السلطنة ظهورها كان قائم علي الاستنفار العسكري لذا جعلها تولي إهتمام خاص للجيش وتطوير نظم الإدارة فيه لضمان تفوقه العسكري.

الخاتمة:

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وأصلى وأسلم على خاتم الرسل سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء وآلهم والتابعين لهم بإحسان. ثم بتوفيق الله وعونه قد أكملت ورقة البحث عن طبيعة النظام السياسى والإدارى لدولة سنار، والذى إبتدرته بمدخل تأريخى عن أصل المكونات الإثنية التى شكلت نخب وقادة دولة سنار وأثر تلاقح ودمج هذه المكونات مع المكون المحلى على الإثراء الثقافى والاجتماعى والسياسى والإدارى والحضارى الذى رسم ملامح وجوهر دولة سنار فيما بعد. ولقد حققت فى الورقه عن تشكل وبلورة النظام السياسى للدولة السناريه والتأثير القبلى ومعطيات الجوار وإسهاماته المتعدده فى رسم صورتها خاصة الدور الحبشى والمصرى وهجرات المجموعات من وراء البحار، حيث أسهم كل ذلك الرافد والوافد فى إضافة عناصر ومعطيات قويه ساهمت فى تكوين فسيفساء النظام السياسى للدولة والذى كان يغلب عليه اللون الدينى بمذاهبه المختلفه علاوة على البعد الثقافى المحلى المتمكن أصلا. وقد إنعكس هذا التنوع المعرفى المتعدد المشارب على طبيعة النظام الإدارى الذى جاء مزجاً بين المركزية الإداريه واللامركزية والكونفدرالية. مستفيداً من الإثراء الثقافى والديني والمعرفى المحلى والعالمى فى تطوير النظم الإدارية وتأسيس مرجعيات التشريع ومستويات الحكم. لا شك أن كل هذه المعطيات والعناصر والظروف قد هيأت لنجاح تجربة الدولة السنارية فى وضع نظام سياسى وإدارى مكن من تحقيق استقرار سياسى واجتماعى واقتصادى متفاعل مع محيطه الاقليمى والدولى وهو ما يُعدّ حالة تستوجب الدراسة للاستفاده منها فى واقع السودان المعاصر.

---

1 مني دياب مختار، مظاهر الحياة الاجتماعية في سلطنة الفونج، ص١٠١-١٠٢.

النتائج:

١. تنوع المكون الإثنى لدولة سنار الذى امتزجت فيه العرقية العربية الوافدة مع العرقية الإفريقية المحلية المستقرة كان عامل أساسى ومصدر للقوة والإثراء والاستقرار فى الدولة.

٢. قوة الوعى السياسى التى اتسم بها نظام الحكم فى دولة سنار أتت نتاج وعى معرفى بالمطلوبات المحلية والتحديات الخارية.

٣. لقد تعرضت دولة سنار إلى محاولات اختراق أمنى واستخباراتى عديدة من دول أوربا، وكانت تأتى دوما هذة المخاطر عبر مصر والحبشة.

٤. تميز نظام الحكم والإدارة فى الدولة بالمزج بين المركزية واللامركزية والكونفدرالية أكسبة مرونه وفعالية.

٥. شهدت الدولة فى سنار بناء مؤسسات تشريعية وأمنية متطورة أسهمت فى أمن واستقرار الدولة.

التوصيات:

لقد مثلت تجربة الدولة السنارية فى الحكم والإدارة أساس استطاع توحيد السودان منذ تأريخ قديم تعذرت فيه سبل التواصل وانعدام المواصلات وتباعد الجغرافيا ووعورتها وقلة وسائل تواصل المعرفة، ورغم هذه العوائق والتحديات إلا أن الدولة السنارية استطاعت أن تتغلب على كل ذلك وتؤسس أول تجربة حكم إسلامى فى السودان على أثر ممالك وإرث حكم مسيحى وعرفى متعاقب. كما تمكنت من إستحداث نظم إدارة فعاله وبناء علاقات تواصل خارجى متطوره، كل ذلك يجعلنا نوصى بأن تستلهم العبر والدروس من الموروث الإدارى والحضارى لدولة سنار وتطبيقة بمعايير معاصرة على الوقائع المماثلة لإستخلاص النتائج وبناء جسور للتواصل بين التجارب الإنسانيه والحضارية الملهمة. بما فى ذلك معرفة طبيعة المهددات التأريخية للأمة السودانية عطفا على نتائج هذه الورقة المذكوره عاليه، خاصة البعد الخارجى ومحيط الجوار. والاستفادة من عوامل التنوع الثقافى والاجتماعى الداخلى الذى قوامة التركيبة الإثنية والموروث الحضارى للأمه السودانية فى تقوية اللحمة الوطنيه وتحقيق النهضة.

ثبت المصادر والمراجع

- ✓ إبراهيم طرفان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.
- ✓ أحمد بن الحاج، كتاب الشونة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦١م.
- ✓ بابكر فضل المولي، مظاهر الحضارة في دولة الفونج الإسلامية، وزارة الثقافة والإعلام، الخرطوم، ط١، ٢٠٠٤م.
- ✓ تاج السر عثمان، لمحات من تاريخ سلطنة الفونج الاجتماعي ١٥٠٤-١٨٢١م، مرجز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، ٢٠٠٤م.
- ✓ ج. سبنسر ترمنجهام، الإسلام في السودان، ترجمة فؤاد محمد عكود، ٢٠١٧م.
- ✓ خولة الطيب مصطفى، تاريخ العبدلاب من خلال روايتهم الشمالية، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم، يوليو ١٩٩٦م،
- ✓ راغب السرحاني، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
- ✓ الشاطر البصيلي، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
- ✓ ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط٤، ١٩٦٨م.
- ✓ ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل مصر والسودان، مكتبة التوبة للتوزيع والنشر، ٢٠٠٨م.
- ✓ عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.
- ✓ عبدالحميد متولي عبيد، تطور نظام الحكم في السودان، مطبوعات جامعة أم درمان الإسلامية.
- ✓ عوض الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان، الخرطوم شركة أفرو قراف للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٦م.

- ✓ محمد صالح محي الدين، مشيخة العبدلاب، دار الفكر، بيروت ١٩٧٢م.
- ✓ مصطفي محمد سعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٦٠.
- ✓ مكي شبيكة، السودان عبر القرون، القاهرة، لجنة التأليف والنشر والترجمة، ١٩٦٤م.
- ✓ مكي شبيكة، مملكة الفونج الإسلامية، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٣٠م.
- ✓ مني دياب مختار، مظاهر الحياة الاجتماعية في سلطنة الفونج، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية ٢٠١٠م.
- ✓ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧م.
- ✓ ود ضيف الله، محمد النور، الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق يوسف فضل حسن، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم ط٣، ١٩٨٥م.
- ✓ وليام آدمز، النوبة رواق إفريقيا، ترجمة محجوب التجاني، مطبعة الفاطيما، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
- ✓ يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط٣، ١٩٨٩م.
- ✓ يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان وأفريقيا وبلاد العرب، ج٢، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، ١٩٨٩م.

مصادر دراسات القضية الفلسطينية في دار الوثائق السودانية

د. عبد العزيز محمد موسى
كلية العلوم الإنسانية - جامعة بحري - قسم التاريخ

المستخلص:
يناقش هذا البحث المصادر و المراجع التاريخية التي تتناول القضية الفلسطينية بما في ذلك النكبة الفلسطينية في العام ١٩٤٨م وهو نفس العام الذي فكر فيه لتأسيس الارشيف السوداني تحت مسمي دار المحفوظات السودانية، ثم تطورت إلى أن اصبحت دار الوثائق القومية، وكما هو معلوم ان السودان خضع للاستعمار البريطاني في الفترة من العام ١٨٩٩م إلى ١٩٥٦م عندما نال استقلاله، وتمت سودنة الارشيف السوداني الذي يحتوي على العديد من القضايا العربية وسط وثائقه المتنوعة، وفي مقدمة تلك القضايا (القضية الفلسطينية)، التي وجدت اهتماماً كبيراً في الارشيف السوداني، خاصة في بواكير إندلاعها.

خطة البحث

أهمية الموضوع:
تنبع اهمية الموضوع في أنه يتناول جانب مهم في أخطر القضايا السياسية التي عرفها العالم في التاريخ الحديث والمعاصر وهو الصراع العربي الإسرائيلي.

أهداف البحث:
أ/ الإرشاد إلى الوثائق والمراجع والدوريات والصحف التي تتناولت القضية الفلسطينية الموجودة في دار الوثائق السودانية.
ب/ التعرف علي كيفية معالجة الوثائق السودانية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي.
ج/ إبراز دور السودان ومن خلال الوثائق والمراجع في إيجاد حل للقضية الفلسطينية.

منهج البحث:

الاعتماد على منهج البحث التاريخي الوصفي وذلك من خلال وصف الوثائق والكتب والدوريات التي تناولت تلك القضية، شكلاً ومضمونا.

هيكلة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة محاور ثم خاتمة وقائمة بأسماء المصادر والمراجع ، ثم الملاحق.

المدخل:

تُعدُّ القضية الفلسطينية من أهم المواضيع السياسية التي احتوت عليها الوثائق في الأرشيف السوداني والتي تفوق عدد وثائقه الخمسة والثلاثون مليون وثيقة حسب الإحصائيات الأخيرة، وتتوزع في مجموعات وأقسام عديدة، حيث نجد معظم وثائق القضية الفلسطينية بشكل أساسي موجودة في مجموعة وزارة الخارجية القسم (٢) محفوظة في ملفات بحسب الموضوعات وكل ملف تتراوح عدد عناوين وثائقه ما بين عشرين إلى خمسين في المتوسط، بينما نجد عدد الصفحات في الملف الواحد قد تفوق الخمسمائة صفحة. كل هذه الوثائق مطبوعة على الآلة الكاتبة، وهي الوسيلة المستخدمة خلال الحقبة التي يغطيها البحث (١٩٤٩م – ١٩٨٩م) وحالتها المادية ممتازة والملفات محفوظة في صناديق مصممة من الكرتون والقماش وفقاً لمعايير علمية، ويحتوي كل صندوق على عدد من الملفات تتراوح ما بين ملفين إلى أربعة ملفات حسب حجم الملف.

جلبت هذه الملفات من مصادرها الأصلية المتمثلة في جامعة الدول العربية، سفارات السودان بالخارج، بعض منظمات المقاومة الفلسطينية، وثائق مؤتمر القمة العربي الذي عقد بالسودان سنة ١٩٦٧م، وكل هذه الوثائق محفوظة في غرف مجهزة لذلك وفقاً للمعايير العلمية لحفظ الوثائق، ويمنع الدخول إليها إلاّ بواسطة الموظف المختص لاستخراج الوثائق للباحثين وفقاً للوائح والقوانين المنظمة لذلك، كما يوجد تصنيف للوثائق وفقاً لأهميتها.

تحتفظ دار الوثائق السودانية أيضاً بالعديد من الصحف الصادرة في تلك الحقبة التاريخية مواكبة للنكبة والقضية الفلسطينية منذ إندلاعها، وقد تابعت تلك الصحف القضية الفلسطينية من كل جوانبها العسكرية والسياسية والاقتصادية وآثارها، إلاّ أن درجة

الاهتمام بهذه القضية في الإعلام السوداني تأخذ أهميتها وفقاً للنظام السائد ما بين ديمقراطي وعسكري.

ففي فترة ما قبل الاستقلال بسنوات قليلة (١٩٤٨م – ١٩٥٦م)، كانت القضية الفلسطينية هي العنوان الرئيس للصحف السودانية واستمر الوضع على ذلك حتى بعد إعلان إستقلال السودان، حيث ارتفعت وتيرة الاهتمام بالقضية الفلسطينية بشكل كبير جداً، وبعد الإنقلاب العسكري الذي وقع في السودان في ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م وامتدت فترة حكمه إلى ٢١ اكتوبر ١٩٦٤م تم تعطيل صدور الصحف مع السماح بعدد محدد من الصحف باستئناف الصدور، إلاّ أن الاهتمام بالقضية الفلسطينية خلال هذه الحقبة السياسية من تاريخ السودان كان قليلاً جداً.

وبعد عودة الديمقراطية إلى الوضع السياسي في السودان خلال الفترة من العام ١٩٦٤م – ١٩٦٩م برزت القضية الفلسطينية إلى الواجهة في الصحف السودانية خاصة عند احتضان السودان لمؤتمر القمة العربي الذي عقد في الخرطوم في ٣٠ و ٣١ أغسطس سنة ١٩٦٧م وهو ما عرف بقمة اللاءات الثلاثة.

بعد نجاح الإنقلاب العسكري في ٢٥ مايو ١٩٦٩م واستمرت الحكومة الانقلابية حتى ١٩٨٥م، تواصل في هذه الفترة إهتمام الصحف بالقضية الفلسطينية، خاصة أن النظام السياسي في تلك الفترة كانت له نزعة نحو القومية العربية. وخلال الحقب السياسية التي تلت ذلك نجد أن الاهتمام بالقضية الفلسطينية في الصحف السودانية أصبح من الموضوعات الثانوية التي تتناولها الصحف بين صفحاتها الداخلية.

الشكل العام للصحف السودانية خاصة في فترة الأربعينات والخمسينات والستينات أصبحت غير قابلة للتداول بين الباحثين، إذ زحف عليها عامل الزمن وسوء التعامل معها من قبل الباحثين، وهذه الصحف محفوظة في مجلدات ضخمة، يحتوي كل مجلد على تسعين عدد من الصحيفة وهي مرتبة زمنياً وموضوعياً.

شكلت الكتب المنشورة إحدى مصادر دراسات النكبة والقضية الفلسطينية في الأرشيف السوداني وتحتفظ مكتبة دار الوثائق السودانية بالعديد من الكتب باللغة العربية

والإنجليزية والبعض منها مترجم إلى العربية تتناول الصراع العربي الفلسطيني وأبعاده بالنقد والسرد والتحليل ونلاحظ محدوية هذه الكتب من حيث العدد.

من الملاحظ في الدراسات الأكاديمية المتمثلة في الرسائل الجامعية بكل المستويات (دبلوم وماجستير ودكتوراة) حول القضية القلسطينية في دار الوثائق السودانية ندرتها وتكاد تصل لدرجة العدم، والسبب في ذلك عزوف وتجنب الباحثين السودانيين في الكتابة عن القضية الفلسطينية بالرغم من الكم الهائل من الوثائق المتوفرة في الأرشيف السوداني حول هذه القضية.

النكبة والقضية الفلسطينية في الأرشيف السوداني:

تندرج مصادر دراسات النكبة الفلسطينية في دار الوثائق القومية تحت ثلاثة محاور رئيسة هي الوثائق والصحف والكتب.

أولاً - الوثائق:

تأتي الوثائق التي تتناول القضية الفلسطينية في الأرشيف السوداني في المرتبة الأولى مقارنة مع نظيراتها من المصادر الأخرى التي تناولت نفس الموضوع من حيث الكم والكيف. ومن خلال عرضنا لنماذج الموضوعات التي تناولت تلك الأحداث نجدها متنوعة وشاملة.

ففي جانب المقاومة نجد العديد من الوثائق التي احتوت على العديد من الخطابات والبرقيات والمؤتمرات الخاصة بمنظمة التحرير الفلسطينية،

دوق/ مجموعة وزارة الخارجية / ١/ ٤٥٩/١٢٥

بالإضافة إلى الوثائق الخاصة بمكتب منظمة التحرير الفلسطينية بأديس ابابا عام ١٩٧٩م، وزيارة وفد فلسطيني لإيران في الفترة من ١٠ – ١٨ اكتوبر ١٩٧٩م واحتوى الملف على البيان الذي عرضته الإدارة على اجتماع وزراء خارجية الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي في دورته غير العادية التي انعقدت في نيويورك في ٢٥/ ١٠/ ١٩٧٩م.

في ملف آخر تناول أحداث الضفة الغربية أمام مجلس الأمن القومي ٨/ ٤/ ١٩٨٢م، فضلاً عن وثائق تتناول منح منظمة التحرير الفلسطينية صفة المراقب في اجتماعات البنك

الدولي وصندوق النقد الدولي، إضافة إلى نشاطات القيادات التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والنشرة اليومية التي تصدرها مؤسسة الأرض والدراسات الفلسطينية، بالإضافة إلى منشورات حركة التحرير الفلسطينية متضمنة البيان الختامي للدورة ١٦ للمجلس الوطني الفلسطيني المنعقد خلال العام ١٩٨٢م.

مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ١٩٣/٨٠

وفي أحد الملفات التي بلغ عدد صفحاته ٢٥٣ صفحة تناولت وثائقه مشروع الميثاق الفلسطيني الذي وضعه أحمد الشقيري، عام ١٩٦٤م ويقع الميثاق في ثلاث صفحات، تناولت الأهداف العامة والمبادئ الفلسطينية الأساسية التي تقوم عليها الحركة القومية لتحرير فلسطين التي تؤكد بأن فلسطين وطن عربي تجمعه روابط القومية العربية مع سائر الأقطار العربية التي تؤلف في مجموعها الوطن العربي الكبير ويكون لفلسطين (الوحدة الوطنية، التعبئة القومية، والتحرير)، كما احتوى الملف على وثائق مشروع الهيئة العربية العليا الفلسطينية وتشمل المقدمة والمبادئ الأساسية والأهداف المتمثلة في:

١- تحرير فلسطين من الغزاة الصهيونيين والمستعمرين وإعادتها إلى مكانها المرموق في الوطن العربي.
٢- إبقاء جذوة تحرير فلسطين مشتعلة في قلوب الفلسطينيين وأبناء الأمة العربية.
٣- المحافظة على سلامة القضية الفلسطينية والحيلولة دون استغلالها وإقحامها في الخصومات والإختلافات العربية.
٤- المحافظة على مقومات الشعب العربي الفلسطيني والحيلولة دون استغلال الفلسطينيين وتسخيرهم واستنزاف قواهم في منازعات الدول العربية والزج بهم للتدخل في شؤونهم الداخلية.
٥- عدم الاعتراف بما طرأ على فلسطين من ظروف وأوضاع تمت رغم إرادة الشعب الفلسطيني ورغباته منذ الإحتلال البريطاني ١٩١٧م – ١٩٤٨م وما نجم من مضاعفات.
٦- رفض كافة مشاريع التوطين والتعويض والتهجير وأمثالها.

٧- مقاومة كل خطة ترقى إلى تصفية قضية فلسطين أو تجميدها أو قبول أنصاف الحلول لها ورفض الاعتراف بالأمر الواقع القائم على الظلم والعدوان.

مجموعة وزارة الخارجية ٢/ ٢٢٦/٩٥

وفي جانب مجلس الجامعة العربية ونشاطه تجاه القضية الفلسطينية احتوت دار الوثائق القومية السودانية على العديد من الوثائق التي توضح مدى اهتمام جامعة الدول العربية بهذه القضية نذكر من هذه الوثائق:

مذكرة إلى مجلس الجامعة العربية في دورة إنعقاده العادية الرابعة والخمسين بشأن الاقتصاد بين رومانيا وإسرائيل وكان مجلس جامعة الدول العربية قد اتخذ في دورة إنعاقده العادية الثانية والخمسين القرار رقم (٢٥٧٧) بتكليف أجهزة المقاطعة بإعداد دراسة عن العلاقات الاقتصادية المتزايدة بين إسرائيل ورومانيا في هذا الصدد ومن ثم عرض الأمر على مجلس الجامعة.

كما احتوى هذا الملف على أعمال مجلس الجامعة العربية.

مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ٤/٢

وأيضاً توجد حوالي ١١٧ وثيقة حول اجتماع القمة العربي المنعقد في الخرطوم في عام ١٩٦٧م احتوى على جميع وثائق الاستعدادات والإجراءات الخاصة بالإعداد لهذا المؤتمر بالإضافة إلى الأجندة وما صاحبها من قرارات.

وضمن معالجتها للقضية الفلسطينية نجد في دار الوثائق القومية السودانية عدد من البرقيات والأخبار لوكالات الأنباء العربية عن القضية الفلسطينية وزيارات سياسيين بهذا الشأن، ووثيقة بتاريخ ٢٦/ ٩/ ١٩٦٧ صادرة من أسمرة تتناول المخطط الإسرائيلي الأمريكي الذي يهدد بإسقاط الأنظمة القائمة في الدول العربية.

مجموعة وزارة الخارجية ١/ ٥٢/٢١

وفي ملف آخر يقع في حدود ٨٥٠ صفحة تناولت وثائقه اجتماع مجلس الدفاع العربي المشترك الذي عقد في القاهرة خلال شهر يناير ١٩٧٣م، تمت فيه مناقشة توصيات الهيئة الاستشارية العسكرية وتقرير نائب رئيس هيئة الأركان عمليات، إضافة إلى المصالح الاقتصادية بين الدول العربية والدول الأجنبية ووثائق الصندوق القومي.

مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ١٨٤/٨

ومن الوثائق الموجودة في هذا الملف قرارات مجلس جامعة الدول العربية بشأن قضية العدوان لإسرائيلي بتاريخ ١٣/ ١/ ١٩٧٢م وجاء فيها:

(١) تأليف لجنة من وزراء الخارجية والدفاع في المملكة العربية السعودية، والمملكة الأردنية الهاشمية، والجمهورية التونسية، والجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، والمملكة المغربية، وجمهورية السودان، والجمهورية العربية السورية، والجمهورية العراقية، ودولة الكويت، والجمهورية العربية الليبية، وجمهورية مصر العربية، وفلسطين، وأضيفت لبنان بقرار وزراء الخارجية في اجتماعهم بنيويورك في ٦/ ١٠/ ١٩٧٢م.

(٢) مهمة اللجنة تقييم الموقف من جميع نواحيه ووضع الأسس لخطة عمل عربي مشترك محدد الوسائل والإلتزامات لمواجهة العدوان الإسرائيلي وذلك على ضوء مقترحات الأمين العام والمقترحات السورية.

دوق/ مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ١٨٤/٨

ومن الوثائق التي تناولت مجهودات الأمم المتحدة لقضية فلسطين نجد مذكرة الجامعة العربية رقم ١٢١١٨ / ٣٥٢ بتاريخ ١٢/ ٢/ ١٩٦٩م بشأن مهمة الدكتور جونار يارنج (Gunnar Jarring) المبعوث الخاص للشرق الأوسط ليكون ممثلاً خاصاً للأمين العام. وذلك لإقامة اتصالات مع الدول المعنية بهدف المساعدة في المجهود المبذول للوصول إلى تسوية سلمية ومقبولة على أساس النصوص والمبادئ.

مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ١٩٩/٨٣.

وقد أوردت الوثائق الموجودة في دار الوثائق السودانية، القرارات الخاصة بمجلس الأمن خاصة بعد حرب ١٩٦٧ بشأن القدس ودعيت إسرائيل أكثر من مرة بعدم إحداث أي تغيير في وضع المدينة، ثم تلتها بعد ذلك عدة قرارات أدينت فيها السلطات الإسرائيلية على التغييرات التي أحدثتها في المدينة ولكن رغم هذه القرارات فقد استمرت إسرائيل في إعادة بناء القدس وتوطين المهاجرين اليهود والعمل تدريجياً على التخلص من الوجود العربي، مادياً وعربياً في القدس.

مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ١٠٠/٢٤٤

وقد أكدت العديد من الوثائق بالدليل المادي ما ذهبت إليه الوثيقة السابقة حول تغيير ملامح القدس العربية والسعي إلى تهويدها، فقد صدر قرار من القاضية الإسرائيلية والإنجليزي Ruther تبرئة بعض الشبان اليهود الذين قاموا بالشغب في الساحة المواجهة للمسجد الأقصى بقصد الصلاة فيه وكان ذلك يوم ذكرى إستقلالهم في الأول من مارس ١٩٧٥م حيث جاء في حيثيات القرار الخطير (إنه لا يوجد مبرر لمنع اليهود من الصلاة في ساحة الأقصى). كما وجهت نقداً شديداً لوزارتي الأديان والشرطة الإسرائيليتين لأنهما لم تقوما بإصدار تعليمات واضحة لتمكين أبناء الأديان الأخرى لممارسة حقهم بإقامة الصلوات في الحرم الشريف.

مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ١٠٠/١٤٤.

وأيضاً توجد دراسة عن القدس في الصراع والمفاوضات وخطط إسرائل مستمرة لتهويد المدينة المقدسة (الاحتلال الأول ١٩٤٨م والثاني ١٩٦٧م)

/ مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ٢٤/٣٤٠

وقد تم نشر هذه الدراسة في آيار ١٩٩٥م العدد ١٧ في المركز العربي للمعلومات وتحتوي هذه الدراسة على معلومات قيمة، إذ أشارت تلك المعلومات بأن ٣٠ تموز ١٩٨٠م لم يكن يوماً عادياً في تاريخ النزاع العربي الإسرائيلي، وذلك عندما وافق الكنيست الإسرائيلي على مشروع قرار بضم القدس واعتبارها عاصمة لإسرائيل إلى الأبد، منذ نكبة ١٩٤٨م وبعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م تحتل مدينة القدس موقعاً مميزاً في مشاريع التسوية والحلول كما في التاريخ والعواطف وبات مستقبل المدينة المقدسة يرتبط بجذوة النزاع وجزء أساسي لا ينفصل عن محاولة تهدف إلى تحقيق سلام دائم في المنطقة، لأن للقدس الموقع المميز كان أي قرار بنقل سفارة أي دولة أياً كانت هذه الدولة في ظل الاحتلال يشكل موقفاً من مجمل النزاع العربي – الإسرائيلي وتحدياً لتطلعات العرب في السلام العادل، وخلال المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية التي بدأت في مدريد وإنتهت في أوسلو بتوقيع مبادئ مشتركة، برزت قضية القدس من أعقد القضايا المطروحة على

السلام المقترح. وكان القرار ١٨١ الصادر من الأمم المتحدة بتاريخ ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧م بتقسيم فلسطين لدولتين عربية ويهودية تضمن تدويل القدس ووضعها تحت وصاية الأمم المتحدة.

مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ١٤٤/٢٤.

وفي موضوعات ذات الصلة بإعلان الكنيست الإسرائيلي القدس عاصمة له يوجد في دار الوثائق السودنية ملف يحتوي على ١٩٥ صفحة يحمل في طياته أكثر من خمسة عشر عنواناً (اليابان والقضايا العربية، يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني ٢٩ نوفمبر ١٩٨٥م، تقرير المؤتمر الدولي للقضية الفلسطينية الذي عقد بمكتب الأمم المتحدة بجنيف في الفترة من ٢٩ أغسطس إلى ٧ سبتمبر ١٩٨٣م، وثائق عن مصادرة مسجد حسن بيك بيافا من قبل اليهود في العام ١٩٨١م.

مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ٢٣٤/٩٨.

كما حظيت وثائق دول المواجهة مع إسرائيل بإهتمام الأرشيف السوداني، خاصة العلاقات المصرية الإسرائيلية التي تمخضت عنها إتفاقية كامب ديفيد سنة ١٩٧٨م، حيث توجد أكثر من وثيقة سواء بالعربية أو الإنجليزية لنصوص الإتفاقية التي جاء فيها: (إن حكومة جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل إقتناعاً منهما بالضرورة الماسة لإقامة سلام عادل وشامل ودائم في الشرق الأوسط ووفقاً لقراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ إذ تؤكدان من جديد بإطار السلام في الشرق الأوسط المتفق عليه في كامب ديفيد المؤرخ في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٧٨م وإذ تلاحظان أن الأطار المشار إليه إنما قُصِد به أن يكون أساساً للسلام ليس بين مصر وإسرائيل فحسب بل أيضاً بين إسرائيل وأيٍ من جيرانها العرب كل فيما يخصه ومن يكون على استعداد للتفاوض من أجل السلام معها على هذا الأساس ورغبة منهما في إنهاء حالة الحرب بينهما وإقامة سلام تستطيع فيه كل دولة في المنطقة أن تعيش في أمنٍ وإقتناعاً منهما بعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل يُعدّ خطوة مهمة في طريق السلام الشامل في المنطقة والتوصل إلى تسوية للنزاع العربي الإسرائيلي بكافة نواحيه.

مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ١٨٦/٧٧.

وقد قامت الإدارة العربية بوزارة الخارجية السودانية برصد ردود الأفعال العربية والعالمية على تطبيع العلاقات وتبادل السفراء بين مصر وإسرائيل.

مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ٢٠٥/٢٥.

وأصدرت لجنة التضامن العربي وثيقة تحتوي على تقييم التطورات في قضية الشرق الأوسط بعد مبادرة الرئيس المصري محمد أنور السادات حتى إنعقاد الدورة التاسعة والستين لمجلس الجامعة العربية في ٢٧ مارس ١٩٧٨م، حيث أشارت بأن الجانب الإيجابي فيها أنها كشفت نوايا إسرائيل العدوانية والتوسعية، فللمرة الأولى حددت إسرائيل مطالبها بشكل واضح كشف تلك النوايا، كما أن أسلوب المباشرة كشف في مواجهة القضية واختصر كثيراً من الوقت كان ممكن أن تكسبه إسرائيل بمناوراتها، وأكدت المبادرة للرأي العام العالمي رغبة العرب في الوصول إلى سلام عادل ودائم في المنطقة واصطدام هذه الرغبة بالتعنت الإسرائيلي، وقد أثرت المبادرة وتطوراتها تأثيراً مهماً على الرأي العام الأمريكي والعربي. ومن سلبيات المبادرة المصرية أنها تمت دون مشاورة الزعماء العرب ودون موافقتهم، وإن جاءات متمسكة بأهدافهم وداخلة في إطار الوسائل التي اتفقوا عليها وهي البحث عن الحلول السلمية وإذا تعذرت اللجوء إلى الحلول العسكرية.

أدت هذه المبادرة إلى حدوث إنقسام خطير في الصف العربي وانتقلت بمقتضاه سوريا والجزء المعتدل من الفلسطينيين إلى جبهة التصدي والصمود وبجانبهما نجد ليبيا والجزائر واليمن الجنوبي مع وقوف العراق في أقصى جبهة الرفض رافضة لأي حل سلمي.

مجموعة وزارة الخارجية / ١/ ٥٧/١٩

وفي وثائق أخرى تناولت وجهة نظر الأردن في الدخول في مفاوضات يتوقف أساساً على ثلاث نقاط يفترض فيها دخول الفلسطينيين كشريك في الوصول إلى نتائج مقبولة وهي:

(١) مباحثات اردنية امريكية.

(٢) مباحثات اردنية فلسطينية.

(٣) مباحثات اسرائيلية امريكية.

وتوجد العديد من الوثائق ذات الموضوعات المختلفة تمثلت في قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨:

Resolution 242 (1967) as proposed by United Kingdom S/824 adopted unanimously by Council on 22 Nov. 1969 meeting1922.

وأيضاً احتوى الملف على تقييم زيارة السادات للقدس بالإضافة إلى كلمة السفير المصري اشرف غربال في إجتماع مجلس اليهود للعبادة في واشنطن عام ١٩٧٧م وردود الفعل العربية تجاه ورقة العمل الامريكية الإسرائيلية في يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٧٧م والذي ضم الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ووزير خارجيته سايروس فانس وموشي ديان وزير خارجية إسرائيل.

مجموعة وزارة الخارجية / ١/ ٥٥/١٨

وفي ملف يتكون من حوال ٣٠٠ صفحة يحتوي على عدد من الوثائق ذات الموضوعات المختلفة تحت مسمى القضية الفلسطينية تناول كتيب من مؤسسة الدراسات الفلسطينة، وهي مؤسسة عربية مستقلة تأسست سنة ١٩٦٣م[1]، عرض موجز لأعمال المؤتمر الصهيوني التاسع والعشرين والنشاطات التي سبقت إنعقاده ورافقته، وذلك بهدف تسليط الضوء على مخططات الحركة الصهيونية والكشف عن مخططها في مجالات الهجرة والاستيطان وجمع التبرعات لدعم الحكومة الإسرائيلية في تنفيذ سياساتها الاستيطانية في الأرض المحتلة، وأيضاً احتوى الملف على وثائق وتقرير عن الرؤية الأردنية للتحرك العربي على ضوء اجتماعات الملك حسين في واشنطن في عام ١٩٨٣م، كما احتوى نفس الملف على وثائق مشروع احتضان السودان لمؤتمر إسلامي مسيحي عالمي لإنقاذ القدس في عام ١٩٨٠م.

ومن الوثائق المهمة التي تحتفظ بها دار الوثائق القومية السودانية مشروع الاتحاد السوفيتي الذي صدر بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩٦٨م حول الصراع العرب الإسرائيلي وجاء فيه: (لا بد من استعداد جانبي الصراع لقبول قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ فبراير ١٩٦٧م وتنفيذ جميع بنوده وبناءاً على ذلك يتم تحديد جدول زمني وطريقة إنسحاب القوات

الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها خلال نزاع سنة ١٩٦٧م عن طريق الإتصالات بواسطة يارنج (Jarring) ويجري في نفس الوقت خطة يتفق عليها لتطبيقها من قبل الطرفين من أجل تنفيذ البنود الأخرى من قرار مجلس الأمن).

مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ٢٢٦/٩٤

أيضاً يوجد في هذا الملف الوثائق الخاصة برد الولايات المتحدة على المشروع السوفيتي بتاريخ ١٥ يناير ١٩٦٦، بالإضافة إلى مذكرة تتناول هجرة اليهود السوفيت إلى فلسطين. كذلك توجد مجموعة من الوثائق تتناول موقف الصين من قضية الشرق الأوسط..

مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ٢٢٧/٩٥

ومن الوثائق الأخرى التي تتناول المبادرات العالمية لإيجاد حل للقضية الفلسطينية نجد وثائق المبادرة الأمريكية التي وضعها الرئيس الأمريكي رونالد ريجان حيث تقضي الخطة بإقامة الحكم الذاتي الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة بالإشتراك مع الأردن، وأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تؤيد إقامة دولة فلسطينية مستقلة، كما أنها لن تؤيد في ذات الوقت ضم قطاع غزة والضفة لإسرائيل أو دوام سيطرة إسرائيل عليها، وأن الولايات المتحدة ترفض قيام المستوطنات في الضفة والقطاع، أما مدينة القدس يجب أن تظل موحدة حتى يتم التفاوض بشأنها.

مجموعة وزارة الخارجية / ٢/ ٢٢٢/٩٤.

ثانياً - الصحف:

يتناول هذا المحور نماذج من الصحف السودانية ومدى اهتمامها بالقضية الفلسطينية. ففي يوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٨م طغت أخبار القضية الفلسطينية على الصفحات الأولى، إذ تناولت الصحف السودانية خبر اتجهت أنظار العالم كله في نفس اليوم صوب فلسطين وإعلان الحكومة المصرية أنها ستجتاز حدود فلسطين مباشرة بعد إنتهاء الإنتداب البريطاني. كما أشارت الصحيفة بأن القوات العربية النظامية التي ستدخل فلسطين سيكون عددها كالآتي: ١٢ ألف شرق الأردن، ٣٠ ألف سوريا ولبنان، ٥٠ ألف مصرياً، ٥٠ ألف العراق وأشارت الصحيفة إلى إعلان اليهود للتعبئة العامة، كما أشارت

إلى اشتداد المعارك على طريق القدس بين العرب واليهود ويشير بيان عربي رسمي أن اليهود فقدوا في المعارك ٨٠٠ قتيل ويدعي اليهود أن الخسائر فادحة بين الطرفين.

الرأي العام، العدد ٩٣٣، بتاريخ ٥ رجب ١٣٦٧ هـ الموافق ١٤ مايو ١٩٤٨م

وفي اليوم التالي من إنتهاء الإنتداب البريطاني على فلسطين كانت العناوين الرئيسة لبعض الصحف السودانية (إنتهاء الإنتداب البريطاني وزحف القولت المصرية والأردنية إلى فلسطين، إعلان الأحكام العسكرية في الدول العربية، اعتراف أمريكا بدولة إسرائيل، جروميكو يسخر من هذا الاعتراف، القائد الأعلى للقوات العربية يعلن أن فلسطين دولة عربية). وأشارت الصحيفة بعد عشر دقائق من إنتهاء الإنتداب البريطاني أعلنت الحكومة الأمريكية من البيت الأبيض إعترافها بدولة إسرائيل التي نادى بها اليهود، وقد جاء هذا الإعتراف كصاعقة غير منتظرة في جميع عواصم العالم وحتى في واشنطن نفسها، وأمرت الحكومة الأمريكية جميع رجالات السلك الدبلوماسي أن لا يتفوهوا بتفسيرات لهذا الإتجاه.

الرأي العام، العدد ٩٣٤، بتاريخ ٦ رجب ١٣٦٧ هـ الموافق ١٥ مايو ١٩٤٨م

أشارت الصحف السودانية الصادرة في شهر يونية ١٩٤٨م إلى بيان الجامعة العربية حول المشروع المقدم بتجريد القدس من السلاح، وقد جاء في البيان (إذاعة بعض محطات الإذاعة والصحف أنباء عن تصريحات لبعض ساسة العرب خاصة بوقف إطلاق النار في مدينة القدس، ومن المعلوم أن جامعة الدول العربية سياستها منذ إندلاع الحرب هو إصدار بيان رسمي يوضح موقفها).

الرأي العام، العدد ٩٩٩، بتاريخ ٢٣ رجب ١٣٦٧ هـ الموافق ٣٠ يونيو ١٩٤٨م

وأيضاً تصدرت الصحف بيان بيفن وزير الخارجية البريطاني في مجلس العموم البريطاني يوم ٢٩ يونيو ١٩٤٨م والذي جاء فيه بأن بريطانيا لم تفكر في أن سياسة حلفائها في الحرب ستؤدي إلى وضع قد تضطر معه بريطانيا لاستعمال القوة، وأن الوضع الراهن جعل بريطانيا تعيد النظر في الموضوع كله وبأن بريطانيا ترحب بأي مفاوضات حرة تصل إلى حل.

أشارت الصحف الصادرة في ١٦ يوليو ١٩٤٨م إلى أن مجلس الأمن الدولي قرر لأول مرة في تاريخه أن هناك وضعاً يهدد السلم العالمي ويأمر العرب واليهود بايقاف القتال وينذر بتطبيق العقوبات الاقتصادية واللجوء للقوة إذا اقتضى الأمر، وأشارت الصحف إلى موقف العرب وبريطانيا من هذا القرار، كما تمت الإشارة إلى الغارة اليهودية بالطائرات على مدينة القاهرة وإلقاء الطائرات المصرية قنابلها الكبيرة والمحرقة على تل أبيب.

الرأي العام، العدد ٩٨٧، بتاريخ ٩ رمضان ١٣٦٧ هـ الموافق ١٦ يوليو ١٩٤٨م.

وتناولت الصحف الصادرة في يناير ١٩٤٩م ردود الفعل المصرية واليهودية من قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار في جنوب فلسطين.

الرأي العام، العدد ١١٣٥، بتاريخ ٣ ربيع الأول ١٣٦٧ هـ الموافق ٣ يناير ١٩٤٩م.

واهتمت الصحف بخطاب شرنوك وزير خارجية إسرائيل الذي تحدث فيه عن المفاوضات الجارية في جزيرة رودس بين مصر وإسرائيل وقال أن الاتفاقات التي تجري لن تصبح سارية المقعول إلّا إذا اتفق على جميع النقاط والبنود المتعلقة بموقف الطرفين، أن هذه المفاوضات لم تصل بعد إلى درجة الهدنة الدائمة، كما توجد إتصالات مع حكومة شرق الأردن.

الرأي العام، العدد ١١٤٠، بتاريخ ٢١ ربيع الأول ١٣٩٨ هـ الموافق ٢١ يناير ١٩٤٩م

وفي ٢٢ يناير ١٩٤٩م أشارت صحيفة الرأي العام إلى أنه من المحتمل أن تعلن بريطانيا اعترافها الواقعي بالدولة اليهودية.

الرأي العام، العدد ١١٤٠، بتاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٣٩٨ هـ الموافق ٢٢ يناير ١٩٤٩م.

وأيضاً اهتمت الصحف السودانية الصادرة أبان النكبة الفلسطينية بكل ما يكتب وينشر عبر مقالات داخل الصفحات الداخلية سواء لكتّاب وصحفيين سودانيين أو مقالات منقولة من صحف ومجلات عربية أو مترجمة من لغات أخرى، ففي مقال مترجم من صحيفة التايمز البريطانية تناول توقف القتال بين العرب واليهود بعد أن استمر لثلاثة أشهر كان الغرض من حمل العرب للسلاح تحطيم تقسيم فلسطين وأن انتهاء الحرب لا

يعني أن الدول العربية مستعدة لقبول شروط دولة إسرائيل الخاصة بالصلح. وقد رفضت جامعة الدول العربية التقسيم عندما نُودي به في نوفمبر ١٩٤٧م.

الرأي العام، ٢٥ يناير ١٩٤٩م

من الملاحظ أن القضية الفلسطينة وما يرتبط بها من أحداث كانت تتصدر الصفحات الرئيسة الأولى في الصحف السودانية الصادرة في الأربعينات من القرن الماضي والموجودة في دار الوثائق القومية السودانية وتصل نسبة ذلك ما بين ٩٠% إلى ٩٥% من الأخبار وكان السودان في ذلك الوقت ما زال تحت الإدارة البريطانية.

اهتمت الصحف السودانية في صدر صفحاتها الأولى بالقضايا السياسية الداخلية مع وجود بعض الأخبار عن القضية الفلسطينية وما ارتبط بها من أحداث. ففي عام ١٩٥٩م تناولت الصحف السودانية مغادرة وفد أردني عمان يحمل رسالة خاصة من الملك حسين إلى بيروت وليبيا وتونس تدعو رؤساء هذه الدول إلى عقد اجتماع عربي على مستوى الرؤساء الغرض منه توحيد الصف العربي عن طريق إزالة سوء التفاهم بين الدول العربي والوصول إلى إتفاق حول موقف موحد لمجابهة قضية فلسطين واللاجئين العرب وذلك على ضوء تقرير المستر همر شولد السكرتير العام للأمم المتحدة.

النيل ، العدد ١٠٨٦٣، بتاريخ ١ محرم ١٣٧٩ هـ الموافق ٧ يوليو ١٩٥٩م.

خلال شهر مارس ١٩٦٢م أوردت الصحف السودانية المؤتمر الذي عقد بمبنى البرلمان السوداني وهو المؤتمر السابع عشر لضباط مقاطعة إسرائيل. حضر المؤتمر مندوبو لبنان والسعودية والكويت والجمهورية العربية المتحدة وسوريا واليمن وليبيا وتخلفت العراق بسبب اشتراك الكويت.

الرأي العام، العدد ٥٠٨٠، بتاريخ ١٠ شوال ١٢٨١ هـ الموافق ٦ مارس ١٩٦٢م.

ابتداءاً من فترة الديمقراطية الثانية لنظام الحكم في السودان ١٩٦٤م – ١٩٦٩م، نلاحظ بأن الأخبار العالمية قد تحولت إلى الصفحات الداخلية عدا الأخبار المهمة العاجلة، وأيضاً أصبحت أحداث القضية الفلسطينة محل تحليل واهتمام الكتّاب السودانيين، فبعد أن كانت مجرد أخبار نقلاً عن الوكالات الإعلامية العالمية والعربية تحولت إلى دراسة وتحليل للقضية الفلسطينية. ففي صحيفة الرأي العام الصادرة في ١٨ سبتمبر ١٩٦٥م تناول

الصحفي محمود حمد مدني أخبار مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في الدار البيضاء وخاصة التصريح الذي أدلى به الرئيس الجزائري هواري بومدين بالتحليل، حيث أشار الكاتب بأنه يجب أن نقف عند هذا التصريح كثيراً ونحن نحاول تحديد منطلق ثوري جديد لقضية فلسطين، قال هواري بومدين أنه يعتقد أن حرب العصابات داخل فلسطين المحتلة هي حرب في نظره اكثر جدية من تنظيم جيش خاص بفلسطين، والعقيد هواري بومدين عندما أدلى بهذا التصريح إنما كان يتحدث عن تجربة مر بها شخصياً واجتازتها الجزائر بنجاح وحققت من خلالها الإستقلال والسيادة الذاتية الكاملة، ولكن ونحن نناقش تصريح العقيد بومدين كرجل عسكري يتحدث عن تجربة يجب أن نلقي نظرة صغيرة على الحالة داخل فلسطين المحتلة نفسها.

الرأي العام، ٢٥ يناير ١٩٤٩م.

وفي العام ١٩٦٨م تناولت الصحف السودانية العديد من الأحداث الخاصة بالقضية الفلسطينية، فقد قصفت المدافع الإسرائيلية القرى الأردنية صباح ١٦ ديسمبر ١٩٦٨م وركزت على المناطق الواقعة إلى الجنوب من البحر الميت على الحدود الأردنية الأسرائيلية وكانت تبريرات الجنرال موشي ديان وزير الدفاع الأسرائيلي لهذا العدوان ضد الأردن للرد على هجمات الفدائيين الفلسطينيين أو تسللهم من الأراضي الأردنية إلى داخل إسرائيل.

وأيضاً اهتمت الصحف السودانية بالمشروع الأمريكي الذي قدمته في عام ١٩٦٨م من أجل السلام في الشرق ألأوسط.

لرأي العام، ٢٥ يناير ١٩٤٩م.

كما تناولت المشروع الإسرائيلي للوصول إلى حل إلّا أن العرب لم يقبلوا به.

الصحافة، العدد ١٧٤٠، ٢٢ اكتوبر ١٩٦٨م.

تناولت الصحف السودانية جميع المفاوضات والمراسلات التي سبقت الاتفاقية المصرية الإسرائيلية، بالإضافة إلى اتفاقية كامب ديفيد نفسها وردود الأفعال العربية والعالمية حيالها.

ففي ٢١ يناير ١٩٧٨م ذكرت صحيفة الأهرام اليوم أن وزير الخارجية الأمريكي سايروس فانس نقل إلى إلرئيس أنور السادات مشروعاً أمريكياً يتضمن سبع نقاط ليكون بمثابة إعلان لمبادئ السلام في الشرق الأوسط، وقالت أن إسرائيل وافقت على بعض النقاط الواردة فيه ولم تذكر الصحيفة إن كان الرئيس السادات قد وافق على المشروع الأمريكى أم لا.

الصحافة، العدد ٥٧٦٦، ٢٢ يناير ١٩٧٨م.

وفي الصحف الصادرة في الثمانينات من القرن الماضي إهتمت الصحف السودانية بالقضية الفلسطينية في الصفحات الداخلة في الأخبار العالمية، فقد نشرت أخبار مؤتمر تونس الذي عقد في اغسطس ١٩٨٤م حيث أكد المشاركون في المؤتمر التضامن مع الفلسطينيين في جلسته الأولى مساء ١٤/ ٨/ ١٩٨٤م على عروبة القدس وطالبوا المجتمع الدولي العمل على انسحاب اسرائيل من القدس الشريف والأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧م تنفيذاً لقرارات الأمم المتحدة في هذا الشأن.

الأيام، العدد ١١٢٢٥، ١٦ اغسطس ١٩٨٤م.

ومن خلال عرضنا السابق لنماذج من ما ورد في الصحف في الأرشيف السوداني نجد أن أحداث النكبة والقضية الفلسطينية حظيت باهتمام كبير وقد استطاعت أن توفر معلومات تاريخية كبيرة وقيمة للباحثين في هذه المشكلة.

ثالثاً - الكتب:

تُعدُّ الكتب المنشورة، التي تحتفظ بها دار الوثائق القومية السودانية في مكتبتها الورقية، من مصادر المعلومات المهمة في القضية الفلسطينية. هذه الكتب مصنفة على نظام ديوي العشري، وهي في مجملها كتب قليلة العدد من حيث الكمية، كما أنها كتب قديمة من حيث تاريخ النشر والطباعة، إلّا أنها تحتوي على زخيرة ضخمة وأساسية من المعلومات خاصة عن جذور المشكلة، ولذلك رأى الباحث أن يستعرض نماذج منها كمحور ثالث في هذا البحث، لكي تكتمل دائرة كيفية تناول الأرشيف السوداني للنكبة والقضية الفلسطينة.

١/ السودان يخاطب ضمير العالم:

هذا الكتاب في الأصل عبارة عن خطاب السودان في الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة حول الإعتداء الإسرائيلي على الدول العربية، ألقاه محمد أحمد المحجوب رئيس الوزراء السوداني مساء يوم ٢٦/ ٦/ ١٩٦٧م.

جاء في الكتاب بأن الأمم المتحدة تعقد هذه الدورة لإصدار حكم على أحد أعضائها بتهمة عدوان سافر مدبر ظالم، ولكن إسرائيل تنكر التهمة، كما تنكر صلاحية الأمم المتحدة في إصدار الحكم وهذا المسلك متوقع من إسرائيل، إذ أنها لم تحترم بتاتاً في أي يوم من الأيام الأمم المتحدة أو المُثُل التي تقدمها الأمم المتحدة. إن إسرائيل تنكر العدوان وتعلن أن الهجوم التي قامت به كان دفاعاً عن النفس، كلنا يعلم أن إسرائيل قد وجدت في موقفها هذا العطف والتأييد من أولئك الذين خلقوها وساعدوها في سطوها خدمة لأغراضهم الذاتية، وأن بعض الدول الكبرى التي تقلص نفوذها في الشرق الأوسط بسبب الوعي القومي المتزايد للشعب العربي قد عجزت عن تبديل موقفها بما يتلائم مع موقفها الجديد وحاولت أن تسترد نفوذها بكل الوسائل فوجدت في إسرائيل أداة طيعة.

ثم يسرد الكتاب التبريرات التي قدمتها إسرائيل للأمم المتحدة حول أسباب الإعتداء، ثم يقوم الخطاب بتفنيد تلك التبريرات بالأدلة والبراهين وما تبعها من ردود الفعل العربية.

ويستعرض الخطاب سجل إدانات إسرائيل خلال العشرين عاماً الماضية ويذكر منها نقل إسرائيل لبعض وزاراتها ومصالحها إلى القدس في عام ١٩٤٩م، ثم إنتهاك قرار وقف إطلاق النار، القرار الصادر في ١٨ مايو ١٩٥١م، ثم الإعتداء على القبة الذي استنكره مجلس الأمن استنكاراً بالغاً بمقتضى قراره الصادر في نوفمبر ١٩٥٣م، تلى ذلك العدوان على غزة الذي استنكره مجلس الأمن بقراره الصادر قي يناير ١٩٥٦م، ثم الاعتداء على غزة وسيناء وإحتلالها الذي أدانته الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها الصادر في ٢ نوفمبر ١٩٥٦م، وأعقب ذلك الاعتداء الإسرائيلي على سوريا في يومي ١٦ و ١٧ مارس ١٩٦٢م الذي أسِفَ له مجلس الأمن بقراره رقم (٥١١١)، كما أدان مجلس الأمن الإعتداء الإسرائيلي على قرية السموح.

وبالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فالأمر ظاهر، إننا نعلم أنهم قد إلتزموا بحماية إسرائيل فقد صرح بهذا كثير من كبار ساستهم.

ثم دلف الكتاب متناولاً موقف الأمم المتحدة من النكبة والقضية الفلسطينية واصفاً إياها، أي الأمم المتحدة، بأنها قد تعرضت لتجارب عديدة في الاثنين وعشرين عاماً من حياتها، لذا رأينا نورها الوضاء يخبو حتى خيفنا أن يخبو إلى الأبد، ولكن الأمم المتحدة عاشت وعاشت معها أمالنا، والأمم المتحدة تمر الآن بتجربة من أقسى تجاربها وهناك دولتان كبيرتان بمساعدة بعض حلفائها فرض إرادتهما على أغلبية الأعضاء حتى يميلوا إلى موقف ظالم وغير مشروع.

هذا الكتاب بالرغم من صغر حجمه وهو في الأصل خطاب السودان أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، إلّا أنه وثق للقضية الفلسطينية منذ النكبة حتى تاريخ كتابته في العام ١٩٦٧م، إذ ذكر كل الاعتداءات التي قامت بها إسرائيل تجاه فلسطين والدول العربية وما صاحبها من قرارات من قبل هيئة الأمم المتحدة، وعدم احترام إسرائيل لهذه القرارات مستندة على حماية الولايات الأمريكية المتحدة في الدفاع عنها.

٢/ سلسلة الوثائق الفلسطينية العربة السنوية : الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧م.

يتناول هذا الكتاب العديد من الوثائق والموضوعات التي صاحبت الأحداث الخاصة بالنكبة والقضية الفلسطينية خلال العام ١٩٦٧م. هذا الكتاب من إعداد جامعة الخرطوم ويقع في ١١٢٤ صفحة نُشِر في بيروت ونشرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية في سنة ١٩٦٧م.

٣/ وثائق عسكرية : الجزء الأول.

وهو كتاب من الحجم الكبير صدر في سنة ١٩٦٨م عن حركة التحرير الفلسطينية (فتح)، ويتناول البيانات الصادرة منذ ١/ ١/ ١٩٦٥م حتى ١٩/ ١٠/ ١٩٦٨م، ويقع في حدود ٢٦٧ صفحة ولا توجد فيه معلومات نشر.

٤/ قضية فلسطين : المرحلة الحرجة (١٩٤٥م – ١٩٥٦م).

هذا الكتاب صدر عام ١٩٦٨م من إعداد الدكتور صلاح العقاد، ويقع الكتاب في ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط.

أشار الكتاب في مقدمته إلى كثرة الكتب الصادرة بالعربية حول القضية الفلسطينية، وأن معظم هذه الكتب الصادرة قبل سنة ١٩٤٨م تتحدث عن حق العرب في الاحتفاظ بفلسطين، ثم صادرت بعد ذلك تتحدث عن حق العرب في استرجاعها. وأشار المؤلف بأن غرضه من هذه الدراسة تقديم عرضاً تاريخياً موضوعياً منهجه تفسير ما حدث وليس البكاء أو الاستعطاف على حق العرب المسلوب، ويتناول إبراز نواحي التقصير والضعف التي أُصيب بها القادة العرب عل الصعيدين السياسي والعسكري.

صلاح العقاد، ، ١٩٦٨م، ص ٩.

وأشار الكاتب بأن الدراسة في هذا البحث تنتهي في العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦م، وفي تقديره أن من أخطر النتائج التي ترتبت على هذا العدوان تجميد قضية فلسطين جزئياً بمرابطة قوة الطوارئ الدولية على الحدود بين مصر وإسرائيل، أي في المنطقة التي كان ينتظر أن تبدأ منها أكثر من غيرها الإنطلاقة لتحرير اللأرض المحتلة، كما تناول البحث وجهة نظر اليهود في طريق المؤلفات التي أصدرها قادتهم العسكريون والسياسيون.

صلاح العقاد، ١٩٦٨م، ص ٥.

تنبع أهمية هذا المرجع في أنه يتناول بالنقد والتحليل المرحلة الحرجة كما أطلق عليها المؤلف من القضية الفلسطينية (١٩٤٥م – ١٩٥٦م)، وهي مرحلة لا غنى للباحثين الذين يكتبون عن القضية الفلسطينية عنها ولا يستطيعون تجاوزها لأنها تمثل أساس لهذه القضية.

٥/ النزاع العربي الإسرائيلي: فلسطينياً وعربياً ودولياً:

وهو عبارة عن كتيب صغيرن صادر من معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية بجامعة الخرطوم ضمن سلسلة الدراسات الأفريقية والأسيوية وهو من إعداد دكتور هشام شرابي. أشار الباحث بأن هدفه من هذا البحث هو تحليل الصراع العربي الإسرائيلي من ناحية ديناميكية، وأن أول خطوة لمناقشة هذا الموضوع هي أنه لا بدّ من فهم طبيعة تفكير إسرائيل بالنسبة لنفسها وللآخرين، وهناك ظاهرة نفسية ايدولوجية ينفرد بها لإسرائيليون دون بقية الأطراف في حلقات النزاع، وتتجسد هذه الظاهرة في عقيدة الإضطهاد التي غالباً لا يخلو منها موقف من مواقفهم ولا قول من أقوالهم، فالإسرائيليون يُعدّون

أنفسهم ضحية الإضطهاد حتى عندما يكونون هم المضطهِدون، كما هو الحال بالنسبة لموقفهم من الفلسطينين، وأشار الكتاب لمقولة أحد اليهود (ليست المشكلة الأساسية في الشرق الأوسط المشكلة الفلسطينية وإنما هي المشكلة الإسرائيلية أو اليهودية التي لم تحل بعد لأن العالم العربي يريد أن يقتلع الكيان الإسرائيلي من أساسه)، وأشار الباحث بأن الصراع العربي الإسرائيلي من عدة حلقات:

الحلقة الأولى: هي محور الحلقات الأخرى وتتألف من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، أي الصراع بين العرب الفلسطينيين واليهود الإسرائيليين.

الحلقة الثانية: وتتألف من اليهود في جميع أنحاء العالم، أي اليهودية العالمية الذين يكونون مصدر الدعم الأول والأساسي لإسرائيل ومن العالم العربي الذي يكون بدوره الدعم الأساسي للفلسطينيين.

الحلقة الثالثة: وتتألف من الدولتين الكبيرتين، الولايات المتحدة الأمريكية التي تساند إسرائل وتتعاطف مع اليهودية العالمية، والإتحاد السوفيتي الذي يساند الفلسطينيين ويدعم العرب وبخاصة دولتي المجابهة مصر وسوريا.

الحلقة الرابعة: فيه من ناحية تتألف من الدول الأوروبية التي كانت تساند إسرائيل وأصبح بعضها الآن محايداً، وتتألف من ناحية أخرى من الدول الأفروأسيوية التي كانت ولا تزال بمعظمها تؤيد الموقف العربي والفلسطيني.

هشام شرابي، ١٩٧٥م ، ص١ - ٢.

يميز هذه الدراسة الرؤية التحليلية العميقة، خاصة فما يلي الجانب النفسي الإسرائيلي، بالإضافة إلى أن كاتب الدراسة فلسطيني، أي من قلب الأحداث، ولذلك إحساسه بالقضية وخفاياها أقرب من أي باحث آخر.

٦/ ملف وثائق فلسطين الجزء الأول:

صدر هذا الكتاب سنة ١٩٦٩م عن وزارة الإرشاد القومي بمصر، وهو يغطي وثائق حقبة تمتد ثلاثة عشر قرناً من العام ٦٣٧م حتى عام ١٩٦٩م ويحتوي على صورة كاملة عن قضية فلسطين بالوثائق والخرائط.

وزارة الإرشاد القومي، ١٩٦٩م

٧/ الأخوان المسلمين في حرب فلسطين ١٩٤٨ – ١٩٤٩م:

يقع هذا الكتاب في ٣٣٤ صفحة من القطع المتوسط، تناول فيه الكاتب كامل إسماعيل الشريف الأدوار التي لعبتها بريطانيا في القضية الفلسطينية وأطلق عليها (بريطانيا تغرر بالعرب) وتناول دفاع العرب بحقوقهم. ثم تناول بعد ذلك الموضوع الرئيس للكتاب المتمثل في الأخوان المسلمين وقضية فلسطين والعقبات التي واجهتهم وكيف تخطوها، ومشاركتهم في الحرب التي وصفها الكاتب بحرب العصابات ودفاعهم عن بيت لحم والخليل وسينا، وتغيير قيادات الأخوان المسلمين، بالإضافة إلى المعارك الأخيرة في النقب، ثم الاعتقالات التي طالتهم في مصر. طبع هذا الكتاب في طبعته الثانية بالقاهرة في عام ١٩٥١م.

٨/ فتح في الميدان يا عرب:

وهو كتاب صغير يتناول عبر العديد من المقالات القضية الفلسطينية (دراسات مختارة عن حقيقة إسرائيل وهو أنها أمام اتحاد العرب واتفاقهم، ثورة ومقاومة مسلحة وتزول إسرائيل). إحتوى الكتاب على قصيدة للشاعر إبراهيم طوقان جاء فيها:

لا تسل عن سلامته * روحه فوق راحته
بدلته همومه * كفناً من وسادته
ترقب الساعة التي * بعدها هول ساعته
شاغل فكر من * يراه بأطراف هامته
بين جنبيه خافق * يتلظى بغايته
من رأي فحمة الدجى * أضرمت من شرارته
حملته جهنم * طرفاً من رسالته

***

صامت لو تكلّما * لفظ النار والدمّا
قل لمن عاب صمته * خُلِق الحزم أبكما
وأخو الحزم لم تزل * يده تسبق الفما

لا تلومـــــــــــوه قد رأى * نهـــــج الحـــــــــــق مظلما
وبـــــــــــــلاداً أحبها * ركنـــــها قـــــــــــد تهـــدّما
وخصـــــــــــوماً ببغيهم * ضحت الأرض والسمـــــــــا
مرّ حين فكـــــــــــــــاد* يقتله اليـــــأس إنمـــــــــــا

***

هو بالباب واقـــــــف * والـــــــــــــــردى منه خائف
فأهدأي يا عواصـــــف * خجـــــــــــــلاً من جراءته

عمر أبو النصر، ، دون تاريخ، ص ١.

٩/ مؤامرة فلسطين:

هذا الكتاب من مطبوعات الدار القومية للطباعة والنشر، وهو عبارة عن سلسلة من الوثائق التي تدل دلالة قاطعة أن الصهيونية العالمية تتآمر منذ زمن بعيد على أرض فلسطين وتبذل كل الوسائل المنافية للشرف والكرامة والأخلاق لإغتصابها من أصحابها الحقيقيين. وكان وعد بلفور المشؤوم فاتحة الوسائل التي ألقت بهم في فلسطين، فدنسوها ولطخوها بآثامهم، والقارئ العربي الذي يطالع هذا الكتاب يقطع بأن الصهيونية العالمية أخطر شر في الأرض يجب إقتلاعه من جذوره، لأنها تهدد الإنسانية بأفظع الجرائم والآثام.

مؤامرة فلسطين، (سلسلة كتب سياسية، ١١٩)

حقيقة أن هذا الكتاب يُعدّ من الأهمية بمكان، حيث أورد مجموعة من الأحداث ذات الصلة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالقضية الفلسطينية وأبعادها المختلفة الجوانب.

الخاتمة:

من خلال دراساتنا للمصادر والمراجع التاريخية في دار الوثائق القومية السودانية التي تتناول القضية الفلسطينية، نجد أن تلك المصادر في الأساس تتكون من الوثائق وهي من المصادر الأولية ومتاحة للإطلاع للباحثين وفقاً للضوابط واللوائح المعمول بها في الأرشيف السوداني. و تُعدُّ هذه الوثائق من أهم المصادر التي تتناول القضية الفلسطينية بكل جوانبها السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية، وهذه الوثائق مصنفة

موضوعياً، إلّا أنه من الملاحظ عدم استفادة الباحثين من معلوماتها كما يجب، ويرجع ذلك، في تقديري، لقلة الدراسات الأكاديمية السودانية حول القضية الفلسطينية، وفي خلال بحثنا حول هذا الموضوع استطاع الباحث الوصول إلى دراسة أكاديمية واحدة تتحدث عن مؤتمر القمة العربي بالخرطوم عام ١٩٦٧م، وهي رسالة ماجستير أُعدت في معهد الدراسات الأسيوية والأفريقية بجامعة الخرطوم.

وأيضاً من المصادر التاريخية المتوفرة بشكل كبير حول القضية الفلسطينية في الأرشيف السوداني نجد الصحف السودانية الصادرة خلال تلك الفترة خاصة مع إندلاع المشكلة الفلسطينية فى عام ١٩٤٨م من حيث وفرت تلك الصحف وكثرة المعلومات عن أحداث تلك الحقبة في صدر صفحاتها الأولى. ولكن نسبة كبيرة من هذه الصحف إهترأت لكثرة تداولها والجزء المتبقي منها في طريقة للإندثار، مما يعني فقدان واحد من المنابع المعلوماتية المهمة للقضية الفلسطينية.

أما الكتب والمراجع في الأرشيف السوداني تأتي أهميتها في أنها طبعات قديمة يعود البعض منها إلى أربعينيات القرن الماضي، حيث تعطينا فكرة عن كيفية معالجة وتفكير الباحثين وتناولهم للقضية الفلسطينية ، كما أن البعض من هذه المراجع عبارة عن سرد وعرض لوثائق تاريخية مهمة.

ختاماً يرى الباحث أنه لا بدّ من تشجيع الباحثين والأكاديميين من جميع أنحاء العالم للاستفادة من الكم الهائل من الوثائق والمعلومات الموجودة في الأرشيف السوداني لإجراء الدراسات والبحوث حول النكبة والقضية الفلسطينية.

قائمة بأسماء المصادر والمراجع:

١/ الوثائق:

١- دوق/ وزارة الخارجية/ ١/ ١٢٥/ ٤٥٩
٢- دوق/ وزارة الخارجية / ٢/ ١٩٥/ ٢٢٦
٣- دوق/ وزارة الخارجية / ٢/ ٨٠/ ١٩٣
٤- دوق/ وزارة الخارجية / ٢/ ١٠٣/ ٢٥٨
٥- دوق/ وزارة الخارجية / ٢/ ٢/ ٦٤

٦- دوق/ وزارة الخارجية / ١/ ٨/ ٢٢
٧- دوق/ وزارة الخارجية / ١/ ٢١/ ٦٥٢
٨- دوق/ وزارة الخارجية / ٢/ ٨/ ١٨٤
٩- دوق/ وزارة الخارجية / ٢/ ٨/ ١٨٤
١٠- دوق/ وزارة الخارجية / ٢/ ٨٣/ ١٩٩
١١- دوق/ وزارة الخارجية / ٢/ ١٠٠/ ٢٤٤
١٢- دوق/ وزارة الخارجية / ٢/ ٢٤/ ٣٤٠
١٣- دوق/ وزارة الخارجية / ٢/ ٩٨/ ٢٣٤
١٤- دوق/ وزارة الخارجية / ٢/ ٧٧/ ١٨٦
١٥- دوق/ وزارة الخارجية / ١/ ١٩/ ٥٧
١٦- دوق/ وزارة الخارجية / ١/ ١٨/ ٥٤
١٧- دوق/ وزارة الخارجية / ١/ ١٨/ ٥٥
١٨- دوق/ وزارة الخارجية / ٢/ ٩٤/ ٢٢٦
١٩- دوق/ وزارة الخارجية / ٢/ ٩٥/ ٢٢٧
٢٠- دوق/ وزارة الخارجية / ٢/ ٩٤/ ٢٢٢

٢/ الصحف:

٢١- الرأي العام، العدد ٩٣٣، بتاريخ ٥ رجب ١٣٩٧ هـ الموافق ١٤ مايو ١٩٤٨م.
٢٢- الرأي العام، العدد ٩٣٤، بتاريخ ٦ رجب ١٣٩٧ هـ الموافق ١٥ مايو ١٩٤٨م.
٢٣- الرأي العام، العدد ٩٩٩، بتاريخ ٣ رجب ١٣٦٧ هـ الموافق ٣٠ يونيو ١٩٤٨م.
٢٤- الرأي العام، العدد ٩٧٨، بتاريخ ٩ رمضان ١٣٦٧ هـ الموافق ١٦ يوليو ١٩٤٨م
٢٥- الرأي العام، العدد ١١٣٥، بتاريه ٣ ربيع الأول ١٣٦٧ هـ الموافق ١٣٦٧ هـ ٣ يناير ١٩٤٩م.
٢٦- الرأي العام، العدد ١١٤١، بتاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٣٩٨ هـ الموافق ٢٢ يناير ١٩٤٩م.
٢٧- الرأي العام، بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٤٩م.
٢٨- النيل، العدد، بتاريخ ٧ يوليو ١٩٥٩م.
٢٩- الرأي العام، العدد ٥٠٨٠، بتاريخ ١٠ شوال ١٢٨١ هـ الموافق ١٦ مارس ١٩٦٢م.
٣٠- الصحافة، بتاريخ ١٨ سبتمبر ١٩٦٥م.
٣١- الصحافة، العدد ٩٧٨٨، بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٦٨م.
٣٢- الصحافة، العدد ١٧٨٣، بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٦٨م.

٣٣- الصحافة، العدد ١٧٤٠، بتاريخ ٢٢ اكتوبر ١٩٦٨م.
٣٤- الصحافة، العدد ٥٧٦٦، بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٧٨م.
٣٥- الأيام،العدد ١١٢٢٥، بتاريخ ١٦/ ٨/ ١٩٨٤م.

٣/ الكتب:

٣٦- صلاح العقاد، قضية فلسطين: المرحلة الحرجة (١٩٤٥م – ١٩٥٦م)، القاهرة، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٨م.
٣٧- عمر ابو النصر، فتح في الميدان يا عرب، بيروت، عمر ابو النصر للتأليف والترجمة والصحافة، دون تاريخ.
٣٨- الدار القومية، مؤامرة فلسطين، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، دون تاريخ.
٣٩- محمد المحجوب، السودان يخاطب ضمير العالم، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٦٧م.
٤٠- وزارة الإرشاد، ملف وثائق فلسطين من عام ٦٣٧م إلى ١٩٤٩م، القاهرة، ١٩٦٩م.
٤١- هشام شرابي، النزاع العربي الإسرائيلي: فلسطينياً وعربياُ ودولياً، الخرطوم، معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية، ١٩٧٥|، (سلسلة الدراسات الأفريقية الأسيوية)

الرأي العام

محاولة دنيئة لليهود للاعتداء على زعماء العرب

خواطر

التجنيد في السودان لفلسطين

العرب واليهود يقبلون مبدأ ايقاف القتال في فلسطين ، اليهود يتقدمون بشروط غير معقولة

اجتماع المجلس اليوم للنظر في ردود الطرفين ، انتهاء معركة اللاطرون وفرار اليهود منها، العراقيون يطوقون تل ابيب في شكل نصف دائرة ، استعداد العرب للهجوم الكبير

نزول العرب واليهود لمبدأ الهدنة

قرار اليهود حيال قرية اللاطرون

نشاط مدرع الطيران

ملحق رقم (١) صحيفة الراي العام السودانية

ملحق رقم (٢)

الرأى العام

لفت نظر من بنك السودان للطبعة الجديدة

من العملة فئة ال ٥٠ و ٢٥ قرشا

محادثات بين ادولا وشومبى لانهاء انفصال كاتنغا

افتتاح مؤتمر مقاطعة إسرائيل

شراء طائرات جديدة للخطوط الجوية السودانية

المفوض العام لمقاطعة اسرائيل يتحدث للصحفيين

في التاسعة من صباح أمس انعقد بمبانى البرلمان المؤتمر السابع عشر لضباط مقاطعة اسرائيل .

حضر المؤتمر مندوبون عن لبنان ، والسعودية ، والكويت ، والجمهورية العربية المتحدة ، وسوريا واليمن وليبيا ومثل السودان وفد برئاسة السيد حامد محمد الامين رئيس القسم السياسى بوزارة الخارجية وعضوية السيدين محمد ميرغنى المستشار بوزارة الخارجية وعلى طالب الله مدير مكتب مقاطعة اسرائيل .

تخلفت عن الاشتراك فى المؤتمر العراق بسبب اشتراك الكويت كما تشرنا سابقا . ولم يصل

اصدار طبعة جديدة من أوراق النقد فئة ال ٥٠ قرشا وال ٢٥ قرشا

يعلن بنك السودان بأن طبعة جديدة من أوراق النقد فئة ال ٥٠ قرشا وال ٢٥ قرشا قد وضعت فى التداول بين أيدى الجمهور وذلك منذ اليوم العاشر من شهر فبراير ١٩٦٦ وكما أن أوراق النقد المتداولة حاليا من الفئتين المذكورتين قد طبعت للجنة العملة السودانية فكذلك الحال فى الطبعة الجديدة حيث يظهر عليها اسم لجنة العملة السودانية وتوقيع السيد عامون بحرى بصفته رئيسا لها والسيد ابراهيم عثمان امضى عليهما من تاريخ الاصدار ١٥ سبتمبر ١٩٦٦

ان أوراق الطبعة الجديدة من الفئتين المذكورتين تماثل أوراق الطبعة المتداولة حاليا من حيث التخطيط الاساسى ولكنها تختلف عنها قليلا فى الحجم

الرئيس عبود يستقبل المدير العام السابق للسكة الحديد

استقبل صاحب المعالى السيد الرئيس الفريق ابراهيم عبود بمقصر الجمهورية امس السير جيمس فاركسون المدير العام السابق للسكة الحديد والمستر هارود المهندس العام السابق بها وحضر المقابلة معالى اللواء احمد مجذوب الجارى وزير المواصلات والسيد المهندس محمد الفضل مدير عام السكة الحديد . وقد

البقية على ص ٧

مرافقو معالى الرئيس فى رحلته الى واو

يرافق معالى الرئيس الفريق ابراهيم عبود لافتتاح خط واو معالى اللواء حسن

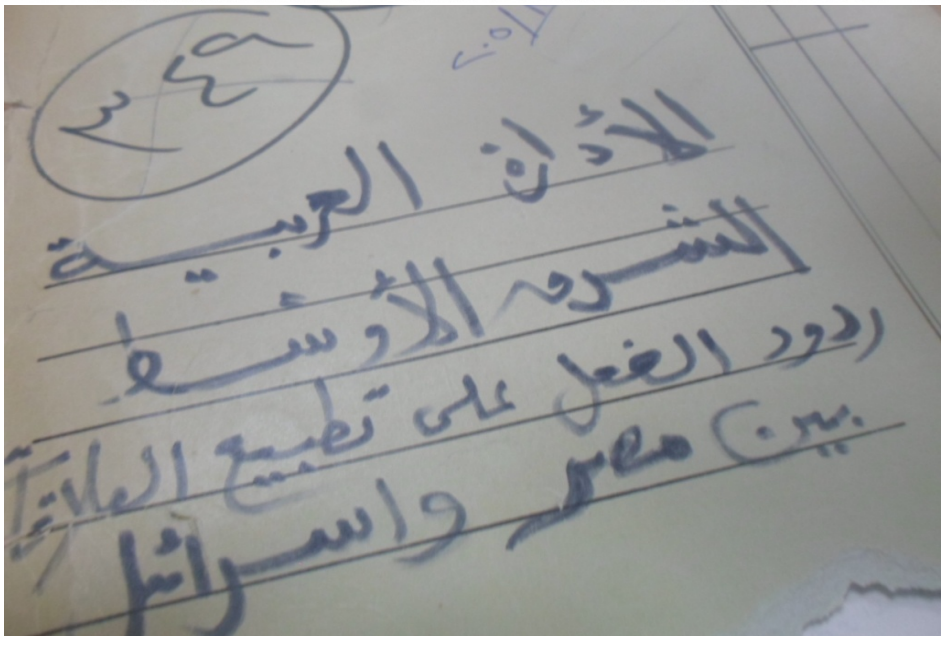

ملحق رقم (٣) صورة غلاف ملف يحتوي علي مجموعة من الوثائق الخاصة بالقضية الفلسطينية

ملحق رقم(٤) صورة لبعض الوثائق الخاصة بالقضية الفلسطينية في الارشيف السوداني

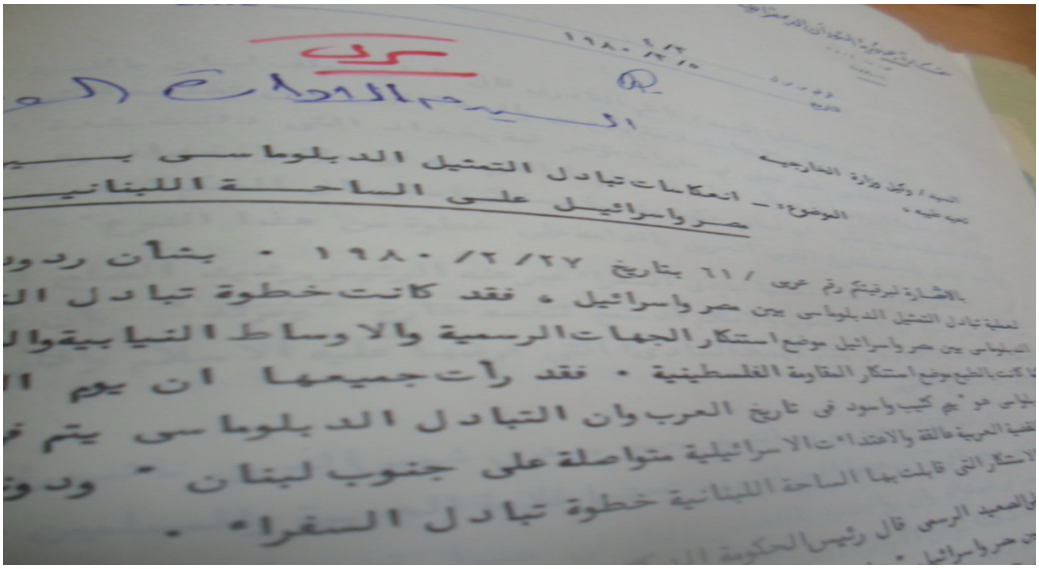

الموضوع : امكانيات تبادل التمثيل الدبلوماسي بين مصر واسرائيل على الساحة اللبنانية

بالاشارة للبرقيتكم رقم عرس / ٦١ بتاريخ ١٩٨٠/٢/٢٧ بشأن ردود فعل تبادل التمثيل الدبلوماسي بين مصر واسرائيل ، فقد كانت خطوة تبادل التمثيل الدبلوماسي بين مصر واسرائيل موضع استنكار الجهات الرسمية والاوساط الشعبية في كافة الاقطار العربية بما فيها موضع استنكار المقاومة الفلسطينية . فقد رأت جميعها ان يوم ... الذي هو يوم كئيب واسود في تاريخ العرب وان التبادل الدبلوماسي يتم ... القضية العربية عامة والاعتداءات الاسرائيلية متواصلة على جنوب لبنان ... الاستنكار التي قابلت بها الساحة اللبنانية خطوة تبادل السفراء .

الرأى العام

جريدة يومية سياسية

تفاصيل عن مظاهرة عطبرة الكبرى التى سارت رغم اوامر البوليس

انتهاء الانتداب البريطانى وزحف القوات المصرية والاردنية الى فلسطين ، اعلان الاحكام العسكرية في الدول العربية ، اعتراف امريكا بدولة اسرائيل ، جروميكو يسخر من هذا الاعتراف ، القائد الاعلى للقوات العربية يعلن ان فلسطين دولة عربية

ملحق رقم (٥) صحيفة الراي العام السودانية

القيم الإسلامية في خطاب الشيخ فرح ود تكتوك (دراسة بلاغية تحليلية)

د/ محمد حسن عطا المنان ، أستاذ البلاغة والنقد المشارك/ جامعة كسلا
د/ آمنة الجميل علي عبد الرحمن ، أستاذ النحو المساعد / جامعة نيالا

المستخلص

يهدف البحث الي دراسة بلاغية في النصوص الشعرية والنثرية لفرح ود تكتوك وفقاً لعلم البيان وعلم المعاني، والمحسنات اللفظية والمعنوية، ووفقاً لمنهج استقرائي, وتحليلي وصفي لنصوص فرح ودكتوك بلاغيا بناءً على تعريف بفرح ودكتوك، وإستقراء القيم الإسلامية في خطابه شعراً كان أو نثراً، واستكناه جماليات التعبير فيها، إن الباحثين في نهاية البحث خرجا بنتائج أهمها الكشف عن قدرة فرح ود تكتوك في توظيف الفكر الإسلامي والديني مستعيناً بفنون البلاغة المختلفة في كسوة نصوصه الشعرية ذات القيم الأخلاقية بجمالية أخاذة دون تكلف.

مقدمة:

الحمد لله الذي بعث فينا نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام معلمَاً، ومتمماً لمكارم أخلاق الأمة الإنسانية بلا استثناء وبعد :

في خضم الخلط بين الواقع والخيال، وتداخل الأسطورة نضع بعض ملامح التفرد الثقافي للشعوب ذات الارث الشفهي، تصدق هذه المقولة في السودان حيث يتعلق الأمر بضعف النقل الشفاهي للثقافة الوطنية عبر الأجيال، فبالرغم من الدور المهم للشفاهية في نقل التراث وحفظه فإن غياب التسجيل المكتوب لبعض تراثنا الوطني أدي في بعض الحالات، إلى ضعف المعرفة، بذلك التراث، أو إلى تشويه جزء منه، فوقعت بعض الأحداث ضحية النقل الشفهي المبتور، وبمثل هذا النقل المبتور تتناقض موضوعية الراوي، وتشوه الرواية، وتطمس أهم معطيات تقويم الأحداث، وتقدير صناع الأحداث، وتضيع بالتالي فرص تقويم وتقدير دور إسهام كثير من المؤسسات والأفراد في بلورة واقع الثقافة السودانية، وقولنا هذا ينطبق علي شخصية سودانية عاشت في غضون القرن السادس عشر، وحظيت بكبير من الروايات الشفهية، وهي شخصية فرح

ود تكتوك، الذي عاش في كنف الدولة السنارية الإسلامية، وأصبح علماً من أعلام زمانه ومصدرا من مصادر الحكمة السودانية.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة في الآتي:

١/ من أهمية شخصية الشيخ فرح وتفرده بأقواله وأساليبه في عصره باعتباره مصدراً من مصادر الحكمة الإنسانية.

٢/ تسعي الدراسة للوقوف علي جمال الأثر الديني في خطاب الشيخ فرح ود تكتوك من بيان وبديع.

أهداف البحث:

هذه الورقة تأتي بهدف استقراء الأثر الديني في الخطاب الأدبي للشيخ فرح ود تكتوك، ثم الوقوف على جمال بلاغته المستقاة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومعرفة مقدرات الشيخ ومهاراته اللغوية، والبلاغية علي وجه الخصوص في نظم خطابه الإبداعي.

مشكلة البحث :

تظهر مشكلة البحث في غياب التسجيل لبعض وقائع تراثنا الوطني والتحريفات المصاحبة للنقل الشفهي، والتحريفات المصاحبة للنقل الشفهي. كما أن هذا البحث محاولة لدراسة موضوع لم ينل نصيبه من البحث والتحليل لخطاب الشيخ فرح ود تكتوك، وفي الخلفية الدينية للشيخ فرح وأثرها في جمال أسلوبه.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة بين أيدينا ورقة تجديد الفكر الاسلامي عند الشيخ فرح ود تكتوك ليوسف من السيد الشيخ، وقد هدفت دراسته إلى إعادة ترتيب وصياغة المادة العلمية المتعلقة بالشيخ فرح ود تكتوك، وبيان ملامح التجديد الديني الذي تبناه الشيخ فرح، وقد أتبع المنهج الوصفي التحليلي في مناقشة تلك المادة العلمية، ووصل إلى نتائج أهمها أن الباحث لاحظ لاحظ تنوع تيارات الاصلاح الاسلامي ضمن التيار الصوفي العام، ومن النتائج أيضا في هذه الدراسة بروز الشيخ فرح ود تكتوك الاصلاحي بشقيه الاجتماعي من خلال إعلائه لقيمة العمل اليدوي .... وكان هذا البحث ضمن أوراق مؤتمر نظم

الحكم والإدارة في الدولة السنارية (محور الهجرات والتاريخ الاجتماعي) الذي عقد في الفترة من ٢-٤ أغسطس٢٠١٧ بجامعة الجزيرة .

منهج البحث:

استخدم الباحثان في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، ويظهر ذلك:

١/ في تحليل الشواهد والقوليات، والحكم، والأمثال عند الشيخ فرح ود تكتوك.

٢/ والوقوف على أساليب وأدوات الخطاب عند الشيخ فرح ومحاولة تقصي الأثر الديني فيها.

وقد جاء البحث في مقدمة وفصلين تناول في الفصل الأول تعريفا بفرح ودتكتوك ميلاده، ثقافته، وفاته، وفي الفصل الثاني تناول البحث جماليات القيم الإسلامية في خطاب الشيخ فرح ود تكتوك، ثم خاتمة احتوت علي النتائج والتوصيات

١/ تعريف بالشيخ فرح

اسمه : الشيخ فرح ود تكتوك هو فرح بن محمد بن عيسى بن قدور بن عبدل بن عبد الله بن محمد الأبطح ينتسب لقبيلة البطاحين فرع العبدلاب ولد وعاش في القرن السابع عشر أو (السلطنة الزرقاء) أو (دولة الفونج) في مدينة سنار بجنوب شرق السودان، أما كلمة تكتوك فأغلب الظن أنها لقب أطلق على والد الشيخ، ثم لحق بالابن فرح، والشيخ فرح يذكر ذلك في شعره، وأقواله الأخرى:

أنا فرح ودتكتوك..

أنعم لتكتوك أبيه وأمه

وإخوانه والأهل وسائر النفر

ورواية أخرى تقول بأن أحد المشايخ دعا على الشيخ فرح حينما كان طالباً عنده وذلك إثر إنجازه عملاً خاصاً فسقط مغشياً عليه، وصار صدره يتكتك فلقب بتكتوك. وقول ثالث: إن الجالس معه يسمع تكيك صدره لأنه ظل يقرأ القرآن دوماً.

٢/ميلاده

يقول يقول الطيب محمد الطيب إنه لم يجد تحديداً قاطعاً لتاريخ ميلاد الشيخ، لكنه يسوق شواهد لعلها تقرب تاريخ ميلاده يقول: (ذكر ود ضيف الله في ترجمته للشيخ أرباب

العقائد (أرباب بن علي الخشن)، من تلاميذ الشيخ خوجلي بن عبد الرحمن (أبو الجاز)، وحمد ود أم مريوم، وفرح ود تكتوك، ومن المعروف أن شيخهم أرباب العقائد توفي سنة١١٠٠هـ، معنى هذا أن الشيخ ربما كان مولوداً في منتصف القرن الحادي عشر، وهذا تعضيد لما ذكره في أحفاده، أن الشيخ بلغ مائة سنة وبضع سنوات(الطيب، ٢٠١٠،٣٧)

٣/ بيئته الدينية

عاش الشيخ فرح ود تكتوك في ظل حضارة إسلامية مكتملة الأركان كانت تشع بالفكر الديني في كل الأرجاء، حيث المساجد، والخلاوي، والزواي، وحيث إن للتعليم فلسفة كبيرة تستمد أصولها من الاسلام لا غيره، وحيث كانت الحركة الدينية العلمية في السودان تأثرت بالهيمنة الصوفية فحدت من قوة انطلاقها، وقد كانت تشق طريقها محفوفاً بكثير من الصعاب والمشقات فبينما كانت الحركة الصوفية سريعة التقبل والانتشار، في يسر وسهولة وبريق أخاذ، ويشير ود ضيف الله أن الشيخ تاج الدين البهاري قدم من بغداد، وأدخل طرق الصوفية في الفونج، وهو أول داعية للطريقة القادرية، والتي تشير معظم المصادر إلى أنها أقدم الطرق دخولاً إلى السودان، وقد كانت الحركة العلمية تحتاج إلى الصبر والجهد والرحلة في طلب العلم مما جعل الكثيرين يتجهون إلى التصوف ليسره وسهولته (حسين: ٢٠١٧، ١١٨)، مما خلق بيئة دينية صوفية جعل الشيخ فرح ينهل منها كل عناصر ثقافته ومكوناتها وفكره، فقرأ العقائد على ألفيه أرباب ولازم الخطيب عمار، وقرأ عليه علم العربية.

قالوا إنه بعد أن حفظ القرآن ودرس الفقه، وتعلم العربية بدأ كأهل زمانه، فساح ودخل الخلوات وسكن فترة بمنطقة (بنسو) بالقرب من الرصيرص، ومن آثاره هناك الغار الذي كان يتخذه خلوة وقام عنده اليوم خزان الرصيرص، وحكوا أن غاره الأول قام عليه خزان سنار، وقيل إنه طاف بمنطقة الفونج قرية قرية وجبلا جبلا... يقولون أيضا إن الشيخ في أول عهده بالتصوف بدأ يتخبط كغيره من دهماء المشايخ الذين يتعبدون من غير علم، وذكروا قصته مع الجماعة الذين لاقوه في سياحته، وسألوه عن عن صحة عبادتهم فجادلهم وجادلوه، وقالوا: إنهم أكثر منه عبادة وخشية، فوضع لهم قصبة من سيقان الذرة الواهية على فم بئر، وقال لهم: من كان منكم يعبد الله حقا فليقف علي

هذه القصبة. فأسقط في أيديهم ومشي هو على القصبة، بل ووقف عليها برهة طويلة، وهو يسبح ويحوقل، والله أعلم(الطيب: ٢٠١٠، ٣٧).

٤/وفاته:

يقول الطيب محمد الطيب إنه وجد عند الشيخ فرح القاسم بكساب الجعليين وهو من أحفاد الشيخ فرح، مخطوطاً كتبه محمد بن محمد تلميذ الشيخ، ومحمد هذا مدفون مع الشيخ في مكان واحد. ما نصه: (إن الشيخ فرح توفي بسبب الحمي التي قامت عليه خمسة أيام، توفي بالأحد أول الظهر في اليوم العشرين من شهر الله ربيع الآخر، سنة سبع وأربعين بعد المئة والألف ١١٤٧هجرية) (الطيب: ٢٠١٠، ٣٧).

جماليات القيم الإسلامية في خطاب فرح ود تكتوك

لقد انحصرت القيم الاسلامية في ما بين أيدينا من نصوص في كما يلي:

أولاً : قيمة البكور في العمل:

كان فرح يري أن صحة الأبدان ونشاطها وحيويتها في بواكير مزاولتها للعمل؛ لذلك لما شكا إليه أحد عمال الزراعة من ألم في يده أخذ بها يعزم عليها (الطيب: ٢٠١٠، ٦٥) وظل يخاطبها في جمالية مجازية عالية، ورائعة تظهر من خلال إسناد الفعل إلي اليد لعلاقة السببية ،ويدعوها إلي العمل باكراً؛ لما في ذلك من شفاء لها وقدرة علي الإنتاج .

يا إيد البدري
قومي بدري
اتوضي بدري
صلي بدري
ازرعي بدري
حشي بدري
احصدي بدري
كدي شوفي كان تنقدري

في نص (إيد البدري) هذا ،نجد أن الشيخ كان يغمز بطرف خفي عن حكاية الكرامات التي كان يدعيها عددٌ من الشيوخ، وقد بدأ فرح وكأنه يعزم على (إيد البدري)، ولكن

بدعوتها إلي العمل بدلاً من انتظار الشيخ ليرفع عنها ضعفها، وقد كانت عقيدة كرامات الشيوخ سائدة في أذهان الناس عصر فرح ودتكتوك، ولا ننسي أن ثقافة البكور لقضاء الحاجات عند فرح ود تكتوك ذات أصول دينية استدعاها من قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم بارك لأمتي في بكورها) (الشافعي: ١٩٩٧، ٤٢٦). ومعلوم أن البركة هي نزول الخير الإلهي في الشيء، وثبوته فيه، والزيادةُ في الخير، والأجر، وفي كل ما يحتاجه العبد من منافع الدنيا والآخرة.

واستعملها الشيخ بأثرها القرآني هنا لتأتي متسقة ومتنجانسة، تماماً مع اسم الرجل الشاكي من يده واسمه (البدري) لتعطي نصه الأدبي قيمة صوتية عالية لها من التأثير في المتلقي ما لها، إضافة إلي التصويرية في النص، وهي القدرة علي التعبير عن الأفكار والانفعالات عن طريق الصور الذهنية الواضحة والبعيدة عن أي غموض، والتصويرية مدرسة من المدارس الأدبية التي ظهرت في أوائل القرن العشرين، ولقد تميز بها خطاب الشيخ فرح، حين امتلك القدرة علي تصوير وتجسيد الحدث برسمه بالكلمات بقوة ووضوح يحققان له حضوراً أمام جمهور المستمعين، رغم أن هذه البراعة كانت ذات أهمية بالغة زمن الاتصال فقد كان المجتمع شفهياً يتوقف للنجاح الإعلامي فيه علي براعة القائم بالاتصال في تجسيد الحديث باللفظ.

ولعل هذا الأسلوب من الأسلوب الاقناعي عند علماء الاتصال وهو أسلوب يناسب جمهوراً إيجابياً ملتزماً يراد تعميق إلتزامه، أو جمهوراً محايداً يراد كسب رأيه. وفرق بين هذا الأسلوب والأسلوب الدعائي، الذي يقوم على مخاطبة العاطفة وتسعى لتغيير رأي الفرد أو سلوكه جبراً، أو بكل الوسائل الأخلاقية أو غير الأخلاقية، مثل: التخويف، والتنابذ كما حدث بين فرح خصومه من الزباعلة، أدعياء التدين، وأصحاب الطريقة المضللة دعاة الطريقة المضللة حين دمغهم فرح بالضلالة والبعد عن الله سبحانه وتعالى، ثم ذكرهم بالموت حيث ينقلون (بالعنقريب)، فوقتها لن ينفعهم كرين ود عبد الله بشيء (الطيب: ٢٠١٠، ٧٥).

يابان عملا ماهو لي الله
وقت العنقريب فوقكم انبله

ما ينفعكم كرين ود عبد الله

فالزباعلة مجموعة عدائية بالنسبة لفرح؛ ففرح هنا يريد أن يحرك عاطفتها تجاه تذكر الموت واستحضار قوله تعالي {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} آل عمران:١٨٥: وقوله تعالى:(يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) من خلال قوله (وقت العنقريب فوقكم انبله) (ما ينفعكم كرين ود عبد الله)، فلا يقبلون على البدع احترازاً من قوله صلى الله عليه وسلم: (وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ) (مسلم ، دت،١١).

لم يقف الأمر عند الغمز عن حكاية الكرامات التي كان يدعيها عدد من الشيوخ ،وهم ليسوا سواء، فلا يمكن هنا إنكار أثر العصور الوثنية والمسيحية السابقة في واقع المجتمع السناري فالإيمان بالخوارق، وبقدرة ذوي الحظوة من البشر علي الطيران، والسير فوق الماء، وإبراء السقيم، وإحياء الموتي هي من بقايا المعتقدات الأفريقية التي احتل فيها (الكجور) بقدراته الخارقة موضعاً مركزياً. وهي معتقدات لم تكن بعيدة زماناً ومكاناً عن الدولة السنارية، ومن ثم فإن العصر السناري تميز بشيوع البدع والخرافة بسيادة الإيمان بالقدرات للشيوخ والأولياء الصالحين. وقد أدى ذل البسطاء إلى إكساب الشيوخ والأولياء رهبة اجتماعية رفعت بعضهم إلى مراتب القدسية.

ثانياً: قيمة التقوى:

هذه المرة يخاطب الشيوخ مباشرة، وينبههم إلي ضرورة الالتزام بمبادئ الإسلام من حيث التقوى، وكان يشار إليهم (بالفقرا) وإلا فإن كل ما يفعلونه من استخفاف لعقول البسطاء غير خالص لله في خسران مبين يوم القيامة، وفرح كان يعلم بشيوخ من هذا النوع الذي لا ينتبه(الطيب: ٢٠١٠، ٩٣)، في عصره ولذلك رأي أن يخاطبهم بقوله:

دب الفقير إما اتقي
وقبل علي دار البقا
يوم الجمع يوم اللقا
يسلم من اللوم والشقا

مضمناً تعبيره ألفاظاً من القرآن: (دار البقا) أي: الدار الآخرة، وتعود جذور هذا التعبير في ثقافة فرح إلى استعمال القرآن لاسم التفضيل المشتق من المصدر (البقاء) في قوله تعالى: (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) [الأعلى ١٣]، كما تعود جذور عبارة (يوم الجمع) إلى قوله تعال: {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ} (التغابن ٩)، ليبدو النص بديعاً وجميلاً من حيث حسن النسق، (وفيه يأتي المتكلم بكلمات متتاليات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً، بحيث إذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها، واستقل معناها بلفظها، فذكر فرح يوم الجمع، ثم لقاء، أي: لقاء الناس بربهم لحسابهم، ثم لوم، وشقاء في موقع جواب الشرط) لإما (أي: إن لم)، كما يبدو مترابطاً ترابطاً موضوعياً ليصبح النص ذا وحدة دلالية تنطوي على سيرورة، واستمرارية وتطور واتجاه نحو غاية محددة تضمن له التدرج والانتقال وتنفي عنه الانتقال غير المسوغ، ووجود مثل هذه العلاقات المعنوية داخل النص، ييسر فهمه فهما منطقياً . (بودرع: ٢٠١٤، ١٢٤).

ثالثاً :قيمة التواضع:

يُحكي أن الشيخ فرح جالس وناظر عدة مشايخ كالشيخ عبد القادر ود هجو المشهور (عبد القادر راجل أم قزازة)، حيث افتتح الشيخ محمد ود عبد الحي الحديث مفاخراً بأنه قد وصل مرحلة النضج في الولاية والصلاح(الطيب: ٢٠١٠، ٧٠) وقد كني عن ذلك بأنه صار صلداً قوياً قادراً علي إصلاح الضرر بآخرين كما يفعل شوك (الكداد) وهو القتاد شوك مثل الإبر، فواصل ود عبد الحي افتخاره وشطحه وتبيان ملامح نضجه وقوته بأنه كخنصر الديك أي أصبعه الصغري هو كمنقار الدجاجة قال:

أنا ود عبد الحي

أنا النجيض مالي

أنا ود عبد الحي يابس كدادة

خنصر الديك وقدوم الجدادة

فاستهل الشيخ فرح حديثه، رداً علي ذلك مشيراً إلى أنه وني ضعيف، وأن مبتدأه كان من مني يمني، وأن طول فترة تكوينه الأول كان في موضع الرحم بحيث لا يفاخر أحد

بذلك، وأنه في مرحلة خروجه الأول للحياة بدمه ورفثه، ما كان للقابلات أن يستقبلنه لولا تلك الرحمة التي أودعها الله في قلوبهن قائلا :

أنا فرح الوني
أول أمري مني
وموضوع في محلا شني
لولا فضل ربي الغني
لا بتلمس ولا بندني

فعند التركيز علي رد الشيخ فرح لعبد الحي، يظهر لنا أن فرح يريد أن يلفت نظر ود عبد الحي، ويحيله إلي أصله؛ ليكسر غروره وإعجابه، ولعل فرح في هذا الاتجاه الأخلاقي متأثر جداً بمنهج القرآن الكريم في الرد علي المغرورين والمتكبرين والمعجبين بأنفسهم، كما في قوله: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى) [القيامة:٣٦-٤٠]، حيث ورد أن هذه الآيات تعني شخصاً معيناً بالذات، قيل: هو أبو جهل (عمرو بن هشام)، وكان يجيء أحياناً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه القرآن. ثم يذهب عنه، فلا يؤمن ولا يطيع، ولا يتأدب، ولا يخشى؛ ويؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول، ويصد عن سبيل الله. ثم يذهب مختالاً بما يفعل، فخوراً بما ارتكب من الشر)، (سيد قطب: ١٩٩٦، ٤٠٨) وكان نبي الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إن لكل أمة فرعوناً وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل، أيحسب الإنسان أن يترك سدى - أي هملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الآخرة - ألم يك نطفة - أي ماء قليلاً - من مني يمنى - أي يصيب في الرحم، والمعنى كيف يليق بمن خلق من شيء قذر مستقذر أن يتكبر ويتمرد عن الطاعة). (الخازن ،١٩٧٩،١٨٨).

قوله (وموضوع في محلا شني) إمعان في الإشارة لود عبد الحي بحقارة نفسه، وتوبيخ له، ويتناص فرح بهذا التعبير في التوبيخ مع التوبيخ الذي أشار إليه البقاعي في تفسيره (نظم الدر) لقوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ

إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) [الإنسان٢٣ / ١٢-(هنا) ، يقول عن هذه الآيات : (إنها أعرق في التوبيخ وأوغل في التعريف وهو أنه _ أي الإنسان _قد كان لا شيء، فلا نطفة ولا علقة ، ثم أنعم الله عليه بنعمة الإيجاد ونقله تعالى من طور إلى طور فجعله نطفة من ماء مهين في قرار مكين ثم كان علقة ثم مضغة إلى إخراجه وتسويته خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ....) (البقاعي،١٤١٥ه،٢٦٠).

إن هذا الاتجاه الفكري لدى الشيخ فرح المتأثر بالدين، حين يطلب من ود عبد الحي التواضع ليفضي به إلى الرفعة يُظهر لنا تأثرا ً آخر لعله بالحديث النبوي، مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ (مسلم ، دت ،٢١)

رابعاً : قيمة الصدق

وليست سمة التواضع وحدها هي التي تميز الشيخ وينادي بها، وإنما تميز بصفة الصدق أيضاً فمن أقواله فيه: (كان الصح ما نجاك الكذب ما بنجيك) (الطيب: ٢٠١٠، ٩٨) ، فقصة هذا المثل- بين أيدينا- تبدأ عندما استنجد بفرح رجل مفزوع متبوع وكان متهما بجريمة كبيرة، فوقع وقال له : (أنا في حالة خطر، أرجوك أن تحميني). قال له الشيخ:_ ادخل في كومة التبن هذه.ففعل، ووصل المطاردون ، وسألوا الشيخ: (هل مر بك رجل هارب منا ؟_ قال لهم: (نعم رأيته). قالوا : (أين هو؟قال لهم: داخل كومة التبن هذا. فصاح عاقلُهم وقال لهم : (هذا فقير مخرف، اتبعوني، وانطلقوا، وخرج الرجل بعد برهة، وقال : (يا شيخ فرح أقول لك استرني، تقول لأعدائي الرجل في التبن؟!) قال الشيخ فرح : (كان الصح ما نجاك ....الكذب ما بنجيك).

لقد انطوي المثل علي مشهد درامي، والدرامية خاصية فريدة في أسلوب الخطاب عند الشيخ فرح وتأخذ شكلين، أولهما صياغته للموضوعات التي يريد التحدث عنها في قالب درامي روائي، بحيث يتحول موضوع الخطاب إلى رواية طريفة تشوق السامعين، وتلهب خيالهم وتحفزهم للمتابعة، والثاني هو اتجاهه إلي نصب مسرح تمثيلي روائي يتقاطر إليه الجمهور ويقوم بالتمثيل فيه أحيانا وحده ، وأحياناً بمصاحبة آخرين.

ولعل هذا المثل إضافة إلي ذلك قد شاع لخفته وحسن عبارته وعمق ما فيه من حكمة تبلورت في ثقافة فرح ودتكتوك من خلال ارتباطه الدائم والوثيق بالقرآن والسنة، فالصدق هو المنجي من كل المهالك في الدنيا والآخرة عند الشيخ فرح ود تكتوك، وقد استقي ذلك من قوله صلي الله عليه وسلم كما أخرجه (مسلم، دت، ٢٩) في صحيحه: عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِى وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم:« إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، كما أن في مرجعيته الدينية أيضا ًأن الكذب لا يهدي إلا إلى الفجور المهلك والمضيع للحقوق والواجبات وسائر القيم الانسانية والأخلاقية من قوله صلي الله عليه وسلم (وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا »، كما انطوي هذا المثل على ألفاظ متقابلة بينها مطابقة مثل..(الصح ، ويقصد به الصدق، والكذب، فقيمة الطباق هنا فضلاً عن أنه يكسب المعني حسنا وبروزاً ووضوحاً، وأكثر تأثيرا) في نفس القارئ، فإنه يسلّط الضوء على الفرق الشاسع بين الوجه الإيجابي للمعنى (الصدق) والوجه السلبي للمعني (الكذب) فما على المتلقي إلا أن. يختار سلوك الصدق المنجي أو سلوك الكذب المهلك .باعتبار قوله تعالى: (فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ..) [الكهف: ٢٩] ولعل هذا يفضي بنا إلي أثر قيمي دعوي رائع يتعلق بحرية الاعتقاد في ثقافة فرح ، بل في ثقافة عصر دولة الفنج كلها .

خامساً : قيمة الورع

على الصعيد السياسي فقد كان السلاطين قد جعلوا الفقهاء واسطتهم إلي الناس، إذ كانوا يرغبون في تزيين السلطة، واصطناع وجه اسلامي لها باسترضاء الشيوخ وتقريبهم إليهم، فتقرب السلاطين من الشيوخ وأغدقوا عليهم من المال والعطايا ما جعل بعضهم أكثر غنًي من الدولة نفسها فأصبح الفقهاء يملكون الأراضي الشاسعة وقطعان الماشية، والرقيق بما كفل لهم سطوة سياسية بجانب سطوتهم الدينية، حتى صار الفقهاء ذوي نفوذ عند السلاطين مما جعل لهم مركز قوة سياسية لا يمكن الاستهانة بها في المجتمع السناري، وهم ليسوا سواء فمن الشيوخ من كان مترفعاً لا يقبل الهدية إلا الشيء اليسير، كالشيخ إبراهيم ولد بدري (ود ضيف الله: ٢٠٠٩، ٤٢).

فللشيخ فرح ودتكتوك منظومة طويلة، يشير فيها الطيب محمد الطيب رحمه الله إلى إنها مبتورة، ولم يتمكن من العثور على مطلعها ونهايتها (الطيب: ٢٠١٠، ١٣٠)، لعل فيها يظهر حرص فرح على وعظ أولئك الشيوخ المترفين بتقربهم من السلطة مذكراً إياهم بمصير المترفين الطغاة من أمثال فرعون وقارون.

كم دفن فرعون ذخائر
كم حفر ليهن حفائر
كم قلبت قبله جائر
خلاها سائر
.....
كم بني هامان وعلي
في القصور طلع وطلي
اندمر خلاها ولي
.....
كم جمع قارون نفائس
كم جمع ليهن دسائس
كم لم أبكار العرائس
اندمر خلاها قائس

نجد في هذا النص أسماء لشخصيات ذكرها القرآن مثل: فرعون، وقد ورد كثيراً في القرآن مثل: {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا}، (الشعراء:٢٣)، وكذلك هامان {فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ} (القصص: ٣٨)، وكذلك قارون {إِنّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىَ فَبَغَىَ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَآ إِنّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَآ آتَاكَ اللّهُ الدّارَ الآخرة وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ الْمُفْسِدِينَ} (القصص: ٧٦).

فهذه الشخصيات استدعاها فرح، بقريحته القرآنية دون تكلف منه، كرموز يريد أن يضعها (كشفرات ثقافية، والشفرة الثقافية تنطوي فيها الخطابات الإبداعية علي عدة عصور ، ولابد أن تستوعب أي قراءة لها هذه الحقيقة ، وتنطلق منها، وتؤكد هذه المقولة أهمية الحدث المؤسس للخطابات الإبداعية والبحث في العلاقات التي تقيمها الخطابات مع أحداث الثقافة المختزنة في الثقافة الجمعية. وهذا يعني أن الحدث الثقافي المؤسس يعاد تناوله دوماً داخل الخطابات عبر استخدامات جديدة تدخل عليه بعض التعديلات من خلال السياق الخطابي الجديد، فانتقال المعني من منظومة نصية إلي منظومة ثقافية هو ما نسميه بظاهرة الترسيب وهي تعني باختصار ما يترسب في النص من ثقافات وأفكار تراثية عن طريق الجدل المستمر مع الخطابات الأخري) (يوسف: ٢٠١٠، ٢١٢).

فمن أسماء فرعون وقارون وهامان المضمخة بعبق التاريخ القرآني نستكشف دلالات ومعاني يريد فرح من خلالها تأسيس خطاب إرشادي وعظي إبداعي للمتلقي، ففرعون وهامان وقارون رموز وأيقونات لكل سائر من هؤلاء الفقهاء والشيوخ المترفين الذين يعنيهم فرح بالقول، في ذات اتجاه هذه الشخصيات الطاغية التي تركت ما بنت، وما ادخرت وما صنعت، وكان متاعها بها قليلاً ،ثم اضطرهم الله إليه بعد ما سلب قوتهم، وقواهم إليه؛ لعلها تساهم -أي هذه الأيقونات- في أخذ العظة والاعتبار والوعي بحقيقة الدنيا الفانية التي لا مجال فيها للهم والتحزين بالوقوف علي أبواب السلاطين أكثر من التوكل علي الله، ولعل هذا هو مقصود الشيخ فرح من قوله لبعض الشيوخ (الطيب: ٢٠١٠، ٧٠).

يا واقفا علي أبواب السلاطين ارفق بنفسك من هم وتحزين

سادساً : قيمة الحلم

وتحضرنا هنا علي ذات الصعيد فيما يتعلق بالتعامل مع أهل السلطان حتي في العصور ما بعد عصرح فرح ودتكتوك قصة الأمير، والبعير، والفقير، تلك القصة التي تدل على حسن التخلص وكسب الوقت وعدم الحيرة، حيث طلب الأمير من العلماء تعليم البعير، فقبل الشيخ فرح ، الأمر فلما سألوه، قال: (يا في الأمير، يا في البعير، يا في الفقير).

وهو مثل إستفاد منه سكان الجزيرة في ضبط أعصابهم وعدم الغضب والتصرف بحكمة (يس: ٢٠١٧، ١٤١) خصوصاً بعد الرجوع إلى ما يحمله النص من إحالة عظيمة إلى حديث الرسول صلي الله عليه وسلم : (فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : أوصني قال لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب)(رواه البخاري).

بالإضافة إلى جمال التعبير نفسه الناشئ من التكرار في كلمة (يا في) ذو الدلالة النفسية القيِّمة التي تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس النص، ويحلل نفسية كاتبه؛ فليس هناك أكثر من تحليل سوي أن فرح قد تمكن من تفويت كل فرص الشعور بالغضب والتوتر على نفسه، ولعل هذا هو الدور الأسمى للتكرار في عكس تجربة فرح ذات القيمة الانفعالية الرائعة، من هنا (فلا يجوز أن ينظر إلي التكرار علي أنه تكرار ألفاظ بصورة مبعثرة غير متصلة بالمعني، أو بالجو العام للنص ، بل ينبغي أن ينظر إليه علي أنه وثيق الصلة بالمعني العام؛ فالتكرار المشار إليه في النص وثيق الصلة بمعني التحمل والارتكاز حول نقطة محورية إنسانية أساسية جدا في التعامل مع الآخرين بحكمة ألا وهي الحلم، لا سيما و(أن الدين المعاملة) هذا غير أنه تكرار يسهم بما فيه من دفق فكري في تقوية النبرة الخطابية وتمكين الحركات الإيقاعية من الوصول إلي مراحل الانفراج بعد لحظات التوتر القصوي) (شارف: ٢٠١٥، ١١٩) فلم يكن الشيخ فرح ليسلم نفسه إلى تلك الدرجات فعلا ولعل هذا كان سلوكه في كل المواقف التي تستدعي الحلم والصبر حتي فشل كثير من الناس أن يغضبوه من ذلك: أن بعضهم بال علي طرف ثوبه أثناء وضوئه فما كان من الشيخ إلا أن دعا له وقال بأنه أصلا كان شاكا في طهارة ثوبه وهو بفعله هذا قطع له الشك. فالحلم من صحة العقل وجودة النظر إلي العواقب.

سابعاً: قيمة الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها

لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من التذكير بأمر الآخرة، ومآل الناس فيها، والدعوة إلى عدم الاغترار بالدنيا، والانشغال بها. فمثلا: قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بها وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ

بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ في جَنّاتِ النّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللّهُمّ وَتَحِيّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للّهِ رَبّ لْعَالَمِينَ}[يونس: ٧-١٠] وفي السنة نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها، فقدم بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم، ثم قال: (أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟)، فقالوا: أجل، يارسول الله، فقال: (أبشروا وأمّلوا ما يسركم، فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم).(الحميدي: ٢٠٠٢، ٢٦٤)

لقد عبر الشيخ فرح ودتكتوك عن الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها بالكشف عن حقيقتها في قوله :

الدنيا وكِت ترُشَّك ما تصدقها بتُغشَّك

يوم تصُد منَّك تكُشَّك بي مناجِلِها بتَّحشَّك

ويعني بذلك (أن الدنيا إذا أقبلت عليك، لا تصدقها وتكن لها علي أمان، فسوف يأتي يوم تدبر منك، وتبعد وتهينك وتقطعك كما يحصد المزارع، زرعه بآلة المنجل والتي تستخدم في حصاد بعض المحاصيل، وهذه سيمة من السمات التي ترينا مدي تأثر الشيخ فرح ببيئته الزراعية وسماتها في شخصيته الشعرية، وترينا من خلال شعره أنه كان يعمل بالزراعة) (النعمة: ٢٠١٧، ١٤٠)،

فضلا عن تأثره بالسجع القرآني، إذ إن القرآن نزل قائما علي الفواصل المتوازية، فجاء حلوا طيبا ليقع في الآذان حتي قال الوليد بن المغيرة: (إن لأوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة) (ابن كثير: ١٩٩٤، ٥٣٣)، وقد ملك القرآن ألباب المشركين لما تميز به من جمال أسلوب وقوة، وقد جاء جمال الأسلوب القرآني، وقوة معنيه نتاجاً لارتكازه على السجع المتوازن.

هذا بالإضافة إلى أن السجع القرآني كان قريباً في صيغته الفنية من أسلوب تراتيل النصاري واليهود والوثنيين؛ وذلك لأن القرآن لم يشأ أن يغير مناهج الناس في ليلة واحدة، بل قصد إصلاح العقائد وتعويد الناس على فكرة التوحيد فالسجع كان هو الأقرب لنفوس أصحاب الديانات السابقة بما فيهم الوثنيين، لأن الترانيم وطقوس العبادة الأخري تقوم على أشكال من السجع وتقطيع الكلام، فهذا الواقع هو عينه الذي جعل الشيخ فرح قريبا من قلوب العامة في سنار أولا في بقية السودان في الزمان اللاحق؛ فالمجتمع السناري وقتها لم يكن بعيد عن المسيحية أو الوثنية، كما أنه متأثر بأشكال الاتصال عند المجتمع الافريقي الذي اختلطت به العربية، ثقافة ولغة(فضل: ١٩٨٩، ٥٤) حيث يتميز نص فرح ودتكتوك بجمالية رائعة وراءها السجع المستخدم في الأبيات، عن دراية تامة وقد قصده الشيخ فرح ليشد به الانتباه، ويضمن به تعرض المتلقي للرسالة، فجاءت الأبيات متميزة (بنغمة موسيقية صاخبة تشبه إيقاع الطبول الأفريقية الصاخبة مما جعل السجع عند الشيخ فرح موضع التميز والتفرد)(النعمة: ٢٠١٧، ١٣٩).

وليس الزهد في الدنيا، وعدم الاغترار بها يعني التبطل عن الكسب منها والعيش عالة على الناس لذلك حرص الشيخ فرح مستخدماً في ذات أسلوب السجع البيسط المستند إلي العامية الدارجة (لكي تصبح العربية الدارجة جاذبة، لابد لها من إتباع أساليب البلاغة المتعارف عليها في الفصحي كالمحسنات البديعية فهي الأكثر إمتاعا عند وقعها في الأذن) (فضل: ١٩٨٩، ٣٩). فقد جاءت الدعوة إلى اكتساب المرء نصيبه من الدنيا بالعمل وليس بسؤال الناس في كلمات قوية مشحونة بالقيم التي يدعو إليها كالحث على الزراعة في قوله:

في الخريف كتر حشيشك وفي الصيف كتر طشيشك

إن ختيت خمارة دريشك الدناعة ما بتعيشك

والمعني: الخريف هو موسم الزراعة في السودان والبيئة السنارية، فلا بد للزارع أن يجتهد في تنظيف زرعه، وعملية النظافة تعرف بالحش. ووقت الصيف زمن جفاف لا يوجد فيه عمل زراعة فحاول وأبحث في أصقاع الأرض لرزق وعمل حتى لا ينفد مخزون زراعتك ويتبدد؛ لأن الانسان حينما يقضي على مخزون زراعته لا يستطيع أن يجابه فترة الجفاف،

ويضطر إلى سؤال الناس واليد العليا خير من اليد السفلي. فالشيخ فرح يريد لأفراد مجتمعه أن يكون عالين الهمة غير متسولين؛ لأن التسول مذموم في الاسلام منهي عنه(النعمة: ٢٠١٧، ١٤١) فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِى يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَتَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ. قَالُوا فَمَا الْمِسْكِينُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: الَّذِى لاَ يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ وَلاَ يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا).(مسلم، د.ت ،٩٦).

الخاتمة

لقد سلط الباحثان الضوء علي أبرز شخصيات دولة الفنج التي اتخذت سنار عاصمة لها للوقوف على طبيعة الأدب في ذلك العصر من خلال شخصية فرح ودتكتوك عبر أشعاره وأمثاله، التي أحصاها الطيب محمد الطيب في كتابه القيم: (الشيخ فرح ود تكتوك حلال المشبوك).

النتائج

ولقد اتضح للباحث من خلال هذه الدراسة ما يلي :

١/ الارتباط الوثيق بالحديث النبوي الخاص بترسيخ مفهوم بركة إنجاز الأعمال في البكور، وأشرنا إلي أن هذا المفهوم موجود في الشعر العربي قبل فرح وبعده ظل علامة علي تأثر الشعراء بالحديث النبوي الذي أشرنا إليه.

٢/ نجد الشيخ فرح قد استفاد من حسن النسق القرآني في توجيه خطابه للشيوخ وتنبيههم للدار الآخرة وما فيها من حساب.

٣/ ظهور المقدرة الفائقة التي تمتع بها فرح ود تكتوك في مناظرة ود عبد الحي المعجب بنفسه وتظهر علامة تلك المقدرة في استدعاء فرح السريع لما يمكن أن يكسر به غرور ود عبد الحي بنفسه من القرآن والتفسير مما أكسب مقدرته قوة حين تمثل ذات الموقف القرآني في الرد علي أبي جهل المتكبر المعجب بنفسه، هذا بالإضافة إلى استغلال فرح الموقف ذاته في حمل ود عبد الحي علي التواضع من خلال الأحاديث النبوية المرشدة الي التواضع لما فيه من رفعة للمؤمن الصالح.

٤/ لقد اتضح أن فرح في مسيرته التربوية والوعظية والإرشادية ضمن أدبه وأشعاره شخصيات أشار إليها القرآن كفرعون وهامان وقارون كرموز وشفرات ثقافية يغذي بها فرح خطابه الابداعي لصياغة وجدان المتلقي اتجاه أخذ العظة والعبرة.

٥/ استند فرح إلى ثقافته الحديثية في التنبيه إلى أهمية الصدق في نجاة الانسان في الدنيا والآخرة.

٦/ إن أكثر ما نراه في خطاب الشيخ فرح هو استخدامه للسجع وقدرته على صياغة الرسالة بأسلوب سلس تفرد به حتى أصبح الأسلوب نفسه علما عليه، وصار غيره يقلدونه، بل وأصبحوا يصنعون أقوالاً شبيهة بأقواله وينسبونها إليه.

٧/ بروز السجع في خطاب الشيخ فرح، يشير إلى أن فرح درس اللغة العربية دراسة مستوفية، فهو علي علم تام ودراية بكافة أركان البلاغة من بيان، وبديع، ومعان، فالقارئ لتراثه يلمح بوضوح تمكنه من أساليب البيان المعروفة كالمجاز، والاستعارة، والكناية، كما أن معرفته بالبديع واضحة في استخدامه القوي لأساليبه المختلفة من تورية ومقابلة واقتباس، وفي استعمالاته المكثفة والمقتدرة للسجع لم يكن فرح متكلفا له، وانما جاء عفويا ذوقيا مناسبا للبيئة، والمجتمع الذي يتعامل معه.

التوصيات

١/ إن الباحثين لا يجزمان بأنه قد أحاطا بكل شيء علما في تحليل أدب الشيخ فرح؛ لذا يرجوان تُناول هذه الورقة بنقاش جاد وبناء، بغية الوصول إلى رؤية أفضل في تقديم مادة تعكس شكلا من أشكال الأدب في عصر دولة الفنج بالتركيز على شخصية فرح ود تكتوك .

٢/ كما يرجو الباحثان أن تتسع الدراسة، في المستقبل لمزيد من التحليل البلاغي، للوقوف على جماليات التعبير عند فرح من خلال شعره ونثره بصفة خاصة، والوقوف علي طبيعة التعبير البياني في عصر دولة الفنج بصورة عامة .

المصادر والمراجع :

١. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي١٤١٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمود حسن، دار الفكر، بيروت.

٢. أبو الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (د.ت). الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت.

٣. البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، (١٤١٥هـ) نظم الدر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٤. البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، (١٩٩٦م) أنساب الأشراف، الطبعة الأولى تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، بيروت، دار الفكر.

٥. بودرع، عبد الرحمن (١٤٣٤هـ) نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، كتاب الأمة، العدد ١٥٤، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

٦. التبريزي، الخطيب (١٩٩١ ،14)، شرح ديوان أبي تمام، تحقيق راجي الأسمر، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الكتاب العربي.

٧. تحليل الخطاب، أعمال المؤتمر الدولي السادس للجمعية المصرية للنقد الأدبي، أبريل٢٠١٤.

٨. الحميدي، محمد بن فتوح (٢٠٠٢م)، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق علي حسين البواب، الطبعة الثانية، دار ابن حزم، لبنان، بيروت.

٩. حسين، بابكر فضل المولي (٢٠١٧م) مظاهر الحضارة في دولة الفنج الإسلامية، الطبعة الأولى، مطابع العملة المحدودة، الخرطوم.

١٠. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، (١٤١٥هـ) لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق محمد علي شاهينا، ، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.

١١. الدينوري، عَبْد الله بن مُسْلِم بن قتيبة، عيون الأخبار(١٩٨٦هـ) تحقيق يوسف علي طويل، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، (د.ت)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت.
١٣. الشافعي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم (١٩٩٧م)، كتاب الفوائد (الغيلانيات)، تحقيق حلمي كامل أسعد عبد الهادي، دار ابن الجوزي، السعودية، الرياض.
١٤. ضيف الله، محمد الفضل (٢٠٠٩)، الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق يوسف فضل حسن، الدار السودانية للكتب، الخرطوم.
١٥. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد،(١٤١٥هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ج٥، القاهرة، دار الحرمين.
١٦. الطيب، محمد الطيب (٢٠١١) الشيخ فرح ود تكتوك حلال المشبوك، دار البدر للطباعة والنشر، القاهرة.
١٧. فضل، يوسف (١٩٨٩م) مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، دار الخرطوم ، الخرطوم
١٨. قطب، سيد (١٩٩٦م) في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت.
١٩. النعمة، أحمد (٢٠١٧م) الشيخ فرح ود تكتوك، حياته وجهوده في الدعوة، سلسلة كتاب سنار(٢٠)، مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم
٢٠. الهيثمي، حافظ نور الدين علي بن أبي بكر (١٩٩٢م) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت.
٢١. يس، يوسف حسن محمد (٢٠١٧م) أثر المرويات الشفهية عند الشيخ فرح ود تكتوك في المجتمع، أوراق مؤتمر نظم الحكم والإدارة، محور الهجرات والتاريخ الاجتماعي.